مجلة إسلامية شهرية جامعة

# البيان

AL BAYAN

السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٨٥ . جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ . أبريل ٢٠١١ م

**جماهيرية**
سيف بن معمَّر

**التوظيف الحداثي**
للاجتهادات العُمَرية

**تحت راية الشريعة**

**حزب اللّه** في السنغال

**المشهد العراقي**
بعد ثمانية أعوام من الاحتلال

# الانتفاضة العربية...
# حقائق وأوهام

# مستشفى أبها الخاص

## الراعي الطبي لمهرجان أبها للتسوق

إتفاقية التعاون الطبي مع جامعة ماكجيل بكندا ومركز ديترويت الطبي العالمي

## استشاريون سعوديون في جميع التخصصات

### مجمع خاص ومتكامل للنساء

### كفاءات طبية متميزة

### تجهيزات طبية حديثة

## وحدات متخصصة في خدمتكم

وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
وحدة الجراحة العامة والمناظير
وحدة الأنف والأذن والحنجرة
وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
وحدة أمراض الشرج والمستقيم

وحدة طب وجراحة العيون
وحدة النساء والولادة
وحدة الأطفال وحديثي الولادة
وحدة جراحة الأطفال
وحدة الجلدية والتناسلية
وحدة الأمراض الصدرية
وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل

وحدة أمراض الكلى
وحدة السمنة والسكر
وحدة الطب النفسي
وحدة أمراض القلب والشرايين
وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
وحدة طب وجراحة الأسنان
وحدة العناية المركزة

**وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث على مدار ٢٤ ساعة**

جهاز الليزر الأخضر KTP
لاستئصال تضخم البروستاتا

جهاز الأشعة تحت الحمراء
للبواسير

جهاز الموجات الصوتية رباعي الأبعاد

جهاز الليزر الكربوني للعناية بالبشرة

جهاز قياس جهد القلب

جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام

المنظار
الجراحي


أبها - شمال الخطوط السعودية -هاتف: ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس : ٢٢٤٤٨٠١ ص ب : ١٧٩٤
البريد الإليكتروني : info@aph.med.sa www.aph.med.sa



ABHA PRIVATE HOSPITAL

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة



## خدمة العملاء

**السعودية**

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
هاتف خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

## للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

## الموزعون

**الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
**الإمارات العربية المتحدة :** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
**سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
**البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
**السعودية :** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
**السودان:** الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
**قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
**الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
**المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
**اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥



رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي



عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

## الحسابات

**السعودية:** مصرف الراجحي
**آي بان:** SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

## الاشتراكات

| | | |
|---|---|---|
| السعودية ودول الخليج | ١٢٠ | ريال سعودي |
| بريطانيا وايرلندا | ٤٧ | يورو |
| أوروبا | ٥٥ | يورو |
| البلاد العربية وإفريقيا | ٤٥ | يورو |
| أمريكا وبقية دول العالم | ٥٥ | يورو |
| المؤسسات الرسمية | ٦٠ | يورو |

## الافتتاحية

٤ **تحت راية الشريعة**
التحرير

## العقيدة والشريعة

٨ **التوظيف الحداثي للاجتهادات العُمَرية (قراءة نقدية)**
سلطان العميري

## قضايا دعوية

١٦ **منهجُ القرآن العظيم التوطئةُ في الأُمُورِ الْعِظَامِ**
د. توفيق علي زبادي

## قضايا تربوية

٢٠ **استثمار تربوي لعلم (مصطلح الحديث)**
طارق زوكاغ

## الإسلام لعصرنا

٢٤ **وانفصل الجنوب**
أ. د. جعفر شيخ إدريس

## معركة النَّص

٢٦ **التسامح الفقهي**
فهد بن صالح العجلان

## حوار

٢٨ **حوار مع الشيخ محمد المهدي**
أجرى الحوار: محمد الثالث

## ملف العدد

٣٤ ■ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
٣٨ ■ **احترس... الرئيس قابل للكسر**
٤٠ ■ **نصر الله... إذ يغسل عاره بطُهر الثورة**
أعد الملف كاملاً: أحمد فهمي

## تحقيقات

٤٤ الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بمصر... مبادرة رائدة
جلال الشايب

## المسلمون والعالم

٥٠ جماهيرية سيف بن معمَّر
د. يوسف بن صالح الصغير

٥٤ ليبيا: الغرب... عين على النفط وأخرى على الإسلاميين
تحليل : محمد جمال عرفة

٥٨ رياح التغيير في اليمن
حسين بن علي الزومي

٦٢ ثماني سنوات عجاف... أنتهى زمانها أم آن أوانها؟
أنس المندلاوي

٦٨ عصر الشعوب
د. إبراهيم الشمري

٧٠ المشهد العراقي بعد ثمانية أعوام من الاحتلال
إعداد: عبد المجيد خضير

٧٦ عائد من بغداد
أ. د. نعمان السامرائي

٨٠ حزب الله في السنغال
عبد الله بابا جنع السنغالي

٨٤ مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

## نص شعري

٨٩ يا سبتة الأمجاد
عمر عبد الله البخاري

## عين على العدو

٩٠ التقديرات الصهيونية للتعامل مع غزة
د. عدنان أبو عامر

## قصة قصيرة

٩٢ حقاً تحتَ قَدَمَيكِ!
محمود حسين عيسى

## الورقة الأخيرة

٩٤ حجاب الفقراء
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

## [ كلمة صغيرة ]

### والله غالب على أمره

إن كثيراً ممن لا يعلمون ينفقون كثيراً من الأوقات والجهد والمال في التدبير لتحقيق مآربهم المنحرفة؛ وكأنهم ينسون إرادة الله وتدبيره وسننه الغلابة! فتجد بعضهم يقطع الأزمان والفيافي والقفار في تحصيل أمرٍ مما حرَّمه الله – تعالى – ويمسكه بكلتا يديه، ويعض عليه بنواجذه ظاناً إحاطته به وتمكُّنه منه، وهو لا ينظر إلى فعل الله – تعالى – وقدره؛ وكأنه هو المالك للكون المسيطر عليه، الذي لا يخرج عن حكمته وتدبيره شيء! وقد جرت سنة الله – تعالى – في أنه لا يؤاخذ المجرمين بأول جرمهم؛ بل يفسح لهم ويؤجل عقابهم علَّهم يراجعون أنفسهم ويعودون إلى مسلك الرشد، لكنَّ منهم من لا يرعوي ولا يعود للجادة، بل يظل سادراً في غيِّه؛ فيمد الله له مداً حتى إذا أخذه لم يفلته.

لا تزال الأحداث تتكرر على مدار التاريخ، ويقع اللاحق في ما وقع فيه السابق؛ فكأنهم لم يسيروا في الأرض ويعلموا ما حاق بمن سبقهم ممن سلك سبيلهم ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [ **يوسف** : ١٠٩]؛ فقد قضى الله وقضاؤه لا يرد، وهو – سبحانه – يقدِّر من الأمور وييسر من الأسباب ما به يتحقق ما قدَّره قبل خلق الخلائق جميعها، حتى إن الناظر في ما يجري ليَعجَب أشد العجب مما آلت إليه الأمور التي كانت مباديها لا تؤدي إلى نهاياتها (في المنظور البشري القاصر)؛ خاصة في ظل الأوضاع السائدة! من كان يظن أن الأنظمة القمعية التي تسلطت على شعوبها وحكمتها بالحديد والنار عقوداً طويلة يمكن أن تسقط وتتهاوى بهذه السهولة وتلك السرعة؟ من كان يظن أن الزعيم الملهَم الذي يُتغَنَّى باسمه ويقال في فعاله وسيرته الأشعار: تضيق عليه الأرض التي طالما استعبد أهلها بما رحبت؛ حتى يصير كل همه أن يخرج منها هارباً لا يلوي على شيء؟ بل من كان يظن أن من أُوكِل إليه اعتقال الناس وسَجنُهم وتعذيبهم: لا تمر الأيام والليالي حتى يشرب من الكاس نفسه ويقاد إلى السجن ملوماً محسوراً، بادية عليه آثار المذلة والانكسار؟ لكن المسلم المستيقن من عدل الله وحكمته لا يستغرب هذا بل يعلم أن الله – تعالى – لم يكُ ليتركهم بما أفسدوا وطغوا في البلاد والعباد حتى يذيقهم الخزي في الموضع الذي كانوا يتعززون فيه، وحتى يعلموا أن المُلْك لله يُعِز من يشاء ويُذِل من يشاء وما ربك بظلام للعبيد، حينها ينقلب المؤمن راضياً سعيداً وهو يتلو قوله – تعالى –: ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [ **يوسف** : ٢١].

# تحت راية الشريعة

**الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:**

حين نتجاوز مرحلة الاستعمار التي سيطرت فيها القوى الإمبريالية الغربية على مصالح الأمة الإسلامية وأنظمتها، ونعود بذاكرتنا إلى قرون متتالية من تاريخ المسلمين، فإننا سنجد أن ثَمَّ حقيقةً موضوعيةً ثابتةً كانت حاضرةً في التاريخ الإسلامي لا تتغيَّر بسبب اختلاف الزمان أو المكان أو طبيعة النظام، هذه الحقيقة: هي أن الحكم والنظام في أي دولة إسلامية قامت كان إلى (الشريعة الإسلامية) ولم يُعرَف في التاريخ الإسلامي تحاكماً إلى أي نظام أو قانون آخر، وعلى الرغم من وجود مظالم كثيرة، وحكومات جائرة، وأنظمة باغية في التاريخ إلا أنه لم يحصل أن وجد الناس أنفسهم يتحاكمون قسراً إلى غير كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

لذلك فإن **عودة الحكم بالشريعة أمر ضروري ومستقبل حتمي لا مناص عنه لأمة محمد** ﷺ؛ لأنه يمثل دينها وتاريخها العميق الضارب في جذرها الذي قامت به وخرجت منه؛ فهي أمة مسلمة قامت على الإسلام، واجتمعت عليه، ولن ترضى عنه بديلاً؛ لأنه هو الأساس الذي يشكِّل هويتها وذاتها ويعرِّفها بنفسها وبالآخرين، ومهما ابتعد الناس عن ذلك (أو أُبعدوا) فإن هذه العودة ضرورية ولن يستطيع أحد أن يقف في وجهها مهما حاك لها من مكر كبَّار وجمع لها من قوى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، وهذا ما يفسِّر حنينَ المسلمين في كلِّ مكان إلى الحكم بالشريعة، ووقوفَ أكثرهم مع الجماعات والحركات التي تتبنى الخيار الإسلامي. ولم تفلح عقود التغريب والتهميش والقمع في زعزعة الولاء للإسلام والانتماء إليه في الضمير الجمعي للمجتمعات المسلمة.

إن ذلك أمر يدركه أعداء الإسلام جيداً؛ فوجود حركة أو جماعة ترفع الراية الإسلامية يُعَد أمراً مخيفاً ومقلقاً؛ يثير كوامن الاستخبارات والدراسات الغربية لمعرفة كيفية مواجهتها وإخراجها عن المشهد العام، ومهما بذلت الحركات الإسلامية من تطمينات وقدَّمت من تنازلات أو اقتربت من المنظومة العَلمانية، فإنها ستبقى حالة استثنائية تخافها النظم الديكتاتورية وتخوِّف بها مَنْ وراءها مِن قوى (غربية وشرقية).

إنه شعور عميق بأن الشعوب المسلمة تميل بفطرتها إلى أي راية ترفع الإسلام، ومهما ضعفت قدراتهم السياسية أو المالية أو الإعلامية أو سحبت عنهم الأضواء والمناصب فإن دورهم سيبقى واسعاً وعميقاً.

إن الرجوع إلى الإسلام والحكم بالشريعة هو من أعظم الحقوق التي يطلبها المسلم؛ لأن هذا لازمٌ لإيمانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وهو قول كل مؤمن: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، لكن ثَمَّ عوامل وقوى كثيرة ما تزال تسعى بكلِّ ما أوتيت من قوَّة للحيلولة دون حصول المجتمعات المسلمة على حقها في التحاكم إلى دينها الذي يشكل هويتها؛ فالقوى الغربية متحالفة مع النظم العَلمانية ومع وسائل التضليل الإعلامي. وتيارات العلمنة والفساد الفكري والسلوكي كلُّها تقف دون حصول هذا الحقِّ الطبيعي البدهي لأهل الإسلام.

كيف لا؟ والحكم بالشريعة لا يعني الاشتغال بشؤون عباديَّة معيَّنة، أو هو مقتصر على جانب الحدود والعقوبات كما يحرص على إشاعة ذلك الحانقون من خصوم الإسلام، بل الشريعة نظام شمولي يحقق للإنسان سعادة الدنيا والآخرة، ويحفظ حق الفرد والمجتمع، ويقيم بناء الإنسان والدولة؛ فهو أكبر ضمان حقيقي لحفظ حقوق الناس وحرياتهم وقيمهم ومَنْع أي تعدٍّ على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، كما أنَّه ضمان لإقامة النظام الشوري العادل القائم على الرحمة والإيمان، المؤدِّي إلى النهضة وتحقيق القوة والإنتاج، وإعادة الحضارة إلى المسلمين بعد أن غُصِبوها قروناً.

وهذا ما يميز (التجمعات الإسلامية) في أي مكان؛ أنها تسعى لإعادة المجتمعات المسلمة إلى وضعها الطبيعي؛ أي عودة الإسلام سُلطة عُليَا لا يعلوه شيء؛ فهو سبب وجودهم وسبب التفاف الناس حولهم، وهو ما يجعل سعيهم وجهدهم مشكوراً مهما اختلفت اجتهاداتهم؛ لأن من كان ساعياً لإعادة الشريعة وصيانتها فهو محمود وعلى أجر عظيم ولن يجزيه حق جزائه إلا الله.

**لكن ثَمَّ تغيُّر ملفت طرأ على بعض الرؤى الإسلامية في الإصلاح لا بدَّ من الإشارة إليه بكل صراحة؛**

حيث إن بعض الحركات الإسلامية في مبتدأ وجودها حين أرادت المشاركة في النظم المعاصرة كانت تقرر بوضوح أن هدفها الأول هو (الشريعة)، وأنها تشارك في النظام الذي لا يحكم بما أنزل الله من قبيل (الضرورة)، وأن دخولها في اللعبة الديمقراطية إنما هو (وسيلة) لغاية الشريعة، وكانوا يصرِّحون بوضوح على أن ما يحصل ليس هو مرادهم بل هو منكر دخلوا فيه لأجل إصلاحه (أو الإصلاح من خلاله قدر المستطاع)، هذه رؤية كانت واضحة جداً لدى كافة القوى الإسلامية التي شاركت في أي نظام ديمقراطي، وما تزال الدراسات والبحوث شاهدة عليه.

لكن الذي حصل بعد هذا: أنه أصبح كثير من العاملين في الحقل الإسلامي يتحدثون عن الديمقراطية بوضعها الحالي على أنها وسيلة شرعية إسلامية صافية، وأن المشاركة فيها أمرٌ مشروع لا غبار عليه، وأن الإسلام يكفل الحريات للجميع أيّاً ما كانت توجهاتهم وعلى أي رأي يقولون؛ ما دام لم يحصل منهم أي اعتداء. تماماً كالرؤية الليبرالية العَلمانية في الموضوع؛ فأصبح ما كان (ضرورة) بالأمس هو الأصل الآن، وما كان وسيلة لأجل الشريعة أصبح هو الشريعة بذاته؛ فهو إذن انقلاب مخيف في المنهج الإصلاحي لبعض الحركات الإسلامية، التي دخلت في المجالس البرلمانية والمشاركة السياسية لأجل الوصول إلى الحكم بالإسلام بدعوى الحاجة والضرورة ثم تحولت النظرة لديها بعد سنوات لتكون المشاركة ذاتها من صميم الإسلام ومن لبِّ الحقوق التي تكفلها الشريعة؟

**إن الحكم بالإسلام وتطبيق أحكامه هو المكوِّن الأساسي لقيام الحركات الإسلامية، وحين تتنازل عنه بعض الحركات - تحت أي مسوغ كان - فإنها تفقد مبرِّر الوجود، وتسحب عن نفسها مقوِّم البقاء**؛ فإذا كانت الحركات الإسلامية تسعى فقط للحريات والحقوق والديمقراطية والمساواة والعدالة (بمفاهيمها السائدة) فهذه دعوى تتفق وجميعَ التيارات العَلمانية والليبرالية والقومية عليها؛ فما الذي يميِّز الحركة الإسلامية إذن؟ ولماذا يطلَق عليها وصف الإسلامية من دون بقية الحركات؟

لا شكَّ أن حفظَ حقوق الناس وإقامةَ العدل ورفعَ الظلم وتحقيق المساواة والعادلة بين الناس، وإقامة حكم شوريٍّ قائم على الرحمة والعدل من أعظم مطالب الإسلام وعلى رأسِ أولويات الشريعة الإسلامية، ويجب أن يكون حاضراً في أدبيات جميع العاملين والدعاة إلى الإسلام، لكنَّ هذا يجب أن يكون ضمن منظومة الحكم بالإسلام وليس خارجاً عنها، وتحت إطار الشريعة لا أن تكون الشريعة داخلة في إطاره، وحين يقتصر الإنسان في دعوته على هذه الحقوق الدنيوية فقط، فإنه لا يكون محققاً لما يريده الإسلام؛ لأن هذه الحقوق يتفق الجميع عليها؛ فأي شيء يتميَّز به الإسلام؟ فالاكتفاء ببعض أحكام الإسلام التي يتفق عليها الجميع لا يكون فيه تحقيق الإسلام ولا يكون ثَمَّ تميز للحركة الإسلامية.

**إننا ندرك ونتفهَّم جيداً ما يقوله كثيرون من أن تطبيق الشريعة لا يمكن تحقيقه في المرحلة الراهنة، وثَمَّ عوائق كثيرة تقف في وجهه، وأنَّ وجود حريات حقيقية ونظام ديمقراطي قويٍّ كفيل بأن يوصلنا إلى حكم الإسلام.**

والحقيقة أن الإشكال ليس في أن تتبنى بعض الحركات الإسلامية المشاركة في مجلس برلماني معيَّن أو توافق على الحريات كمرحلة من مراحل عملها الإصلاحي، فليست المشكلة هنا، فهذه قضية عين تختلف فيها الاجتهادات، ولكلٍّ أن يقدِّر الموقف الصحيح من مشاركته أو عدم مشاركته، وهي في النهاية محكومة بقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد.

لكن الإشكالية الحقيقية تكمن في أن بعض المفكرين الإسلاميين بدؤوا يتبنون المفاهيم العَلمانية كما هي، ليس بسبب مرحلة معينة أو ضرورة ما، بل أخذوا يعتنقوها على أنها حق شرعي أصيل، فأصبحت مفاهيم الحريات المطلَقَة والحكم للشعب ومساواة المسلم بغيره تُقرَّر على أنها شرعية ثابتة جاءت الشريعة الإسلامية بها وتُكتَب فيها المؤلفات والدراسات.

## فالخلل

**هنا أن ما كان (ضرورة) صار يُبحَث له عمَّا يجعله هو (الأصل)، وما كان مرحلة لحاجة ولوضع معيَّن صار هو (الغاية) التي لا يجوز الوصول إلى الشريعة إلا من خلالها.**

حتى صار بعض الإسلاميين يتباهى بتقرير أن الحرية قبل الشريعة؛ فبعد أعوام طويلة من النضال والتضحيات في سبيل الشريعة صارت هذه الشريعة ما هي إلا درجة تالية للحرية الليبرالية؛ فأولاً الحرية ثم تأتي الشريعة بعدها.

وإذا كان الأمر متعلقاً بضرورة أو مرحلة، فإن الحرية لن تكون أولاً قبل الشريعة، بل ستكون الشريعة هي المقصود والحرية وسيلة لها، وربما يظن بعض الناس أن الفرق هنا يسير وقد يكون لفظياً، وليس الأمر كذلك، بل الفرق عميق جداً وخطر على مفاهيم الناس؛ لأنك حين تقرر أن الحرية أولاً، فمعنى ذلك أن هذه الحرية - بمفهومها الليبرالي العَلماني - سابقة على الشريعة وأصل لها، وهي التي تجعل الشريعة مشروعة وبإمكانها أن تزيلها كما أتت بها، وهذا خطأ بارز لا يتجرأ عليه آحاد الناس بينما يقرره بكل وضوح بعض المنتسبين للدعوة الإسلامية!

وإذا كانت الحرية مما كفلته الشريعة؛ فكيف تكون قبل الشريعة؟ هذا إقرار ضمني بأن الحريات ليست متوافقة مع الإسلام، بل هي مخالفة للشريعة منابِذة لها؛ فكيف يقال: إن الحريات مما كفلته الشريعة، ثم يقال بعدها: إن الحريات سابقة على تحكيم الشريعة؟ هاتان نتيجتان متناقضتان وتربكان الوعي المسلم: فإما أن تكون الحرية شرعية ومما كفله الإسلام فتطبيقه داخل في تطبيق الإسلام إذن ولا يصحُّ أن يقال: إنها سابقة عليه، وإما أن تكون سابقة عليه، وبناءً على ذلك يجب أن يرفع الإسلاميون صوتهم عالياً بحقيقة هذه الحريات المخالفة للشريعة، وأن يبينوا ذلك للناس.

ثمَّ لماذا نجعل الحرية قبل الشريعة؟ أما نجد في الإسلام وأصوله ومقاصده رؤية واضحة ومحررة نقدِّمها حول الحريات؟ فبدلاً من تبنِّي المفاهيم الغربية ومحاولة ضغطها وتملُّص الدلائل لأجلها، لماذا لا تكون دعوتنا إلى الشريعة وهي الكفيلة بحفظ حقوق الناس وحرياتهم الدينية والدنيوية على أكمل وجه؛ فلها قوَّة النظام، ولها قوَّة الضمير؟ ويقال مثل ذلك في أي راية أخرى تتبنى العدالة أو المساواة فبدلاً من الاندفاع خلفها بدعوى أنها لا تنافي الإسلام، لماذا لا نجتمع على الإسلام نفسه ومن خلاله تتحقَّق كلُّ هذه القيم والمبادئ.

وإذا كان الأمر متعلقاً بمرحلة مَّا فبإمكان إخوتنا أن

يكوِّنوا في الوعي المسلم مفهوم (**التدرُّج في تحكيم الشريعة**)؛ فهو يجعل الشريعة قِبلَة لنا نسير إليها، وكلُّ مرحلة نعبرها فهي مرحلة في الطريق تنتهي حال وصولنا إلى تلك الغاية التي نريد، بخلاف صنيعنا حين نقول: الحرية قبل الشريعة؛ فإنك في الحقيقة لن تصل إلى الشريعة بتاتاً؛ بل ستقف عند عتبة الحرية وستكون هي الحاكمة على الشريعة المفصِّلة لأحكامها، ومن العسير جداً على من يقرِّر الحريات بمفهومها الغربي حتى تكون ضمنَ أولوياته وأساس أدبياته أن يعود بعد هذا ليقرِّر الأحكام الشرعية بصفاء من دون أن يضغط على الأحكام التي لا تستقيم مع الحريات المعاصرة.

ثمَّ إن كان تحكيم الشريعة غير ممكن واقعياً في كثير من المجتمعات، **فهو ممكن على مستوى الوعي والمفاهيم** عند الناس، فلا أحد يحول دون أن يقدِّم المفكرون والعلماء والمخلصون رؤيتهم لأهمية تحكيم الشريعة وأن يبصِّروا الناس بحقوقهم وحرياتهم التي تكفلها الشريعة وما تتميز به الشريعة في هذا المجال، وأن يرسخوا في وعيهم أهمية مطالبتهم وتأكيدهم على حكم الشريعة؛ فهذا مجال متاح وممكن؛ فلماذا يغيب دوره عند كثير من الإسلاميين؟ ومما يؤسف له أن الليبراليين والعلمانيين يقدّمون رؤاهم الفجَّة في مصادمة الشريعة ومخالفة قطعياتها مع معرفتهم أنها ليست ممكنة في الواقع ولا عند الناس لكنهم يدركون أن وعي الناس يمكن أن يتغير مع الزمن.

إن الإشكالية التي نراها بوضوح الآن أن المفاهيم الصحيحة للشريعة بدأت في التشويش لدى كثير من الناس في مجتمعاتنا المسلمة، وأصبح بعض روَّاد الخطاب الإسلامي يقدِّم لجمهوره مفهوم الشريعة بحسب ما هو ممكن له سياسياً وليس بحسب حقيقة الشريعة في الأمر نفسه، وهذا تحوُّل خطر سيؤدي إلى تغييب كثير من الناس عن حقيقة دينهم وحلول مفاهيم باطلة محل المفهوم الشرعي الصحيح، وحينها سيكون دور الإصلاح أصعب بمراحل كثيرة؛ فإذا كان الإسلاميون قد شاركوا لأجل إصلاح السياسة في مرحلة سابقة حتى تكون على وَفْق ما يريد الناس، فإنهم في المرحلة القادمة سيحتاجون لإصلاح مفاهيم الناس وهي مرحلة أصعب وأعقد.

**إنه من المهم جداً أن يحصل الفصل بين (الضرورة) و (الأصل)، وأن يعي الإسلاميون أن دورهم الحقيقي هو في قيادة المجتمعات المسلمة نحو التحكيم الحقيقي للإسلام؛ كما يريده الله ويريده النبي ﷺ، وأن يستفيدوا من الواقع لأجل الوصول إلى هذه النتيجة وأن يهيئوا الأسباب لذلك، ولا يجوز أن يكون دورهم شرعنة ما هو موجود، والحكم بإعدام كلِّ مفهوم لا يمكن أن يطبقوه**، بل لهم اجتهادهم في المجال السياسي، وعليهم أن يبذلوا إصلاحاً آخر في تصحيح مفاهيم الناس أو على الأقل أن لا يفتحوا خصومة مع من يفعل هذا؛ لأن إصلاح وعي الناس هو الكفيل بأن يطالبوا في ما بعد بحكم الشريعة وأن يقفوا ضدَّ أي تيار يرفضه، وهو ما يحقق العودة إلى حكم الشريعة.

وحين يقال هنا بأن الناس لا يريدون تطبيق الشريعة الآن وغير مهيئين له وأن الدعوة المقبولة هي الدعوات التي يتفق الجميع عليها، فهذا في الحقيقة مما يزيد أهمية العناية بالشريعة ويعلي من ضرورتها في المرحلة الحالية؛ ضرورة أن يعتني الدعاة والمصلحون بإصلاح دين الناس وسلوكهم ومفاهيمهم، وبتعظيمهم لله ولرسوله ﷺ، وبإصلاح عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم لتكون على ما يريده الإسلام منهم؛ حتى يكونوا أشدَّ مطالبةً وتمسُّكاً بتحكيم الشريعة؛ فهذه حالة تستدعي مزيد عناية بأمر الشريعة لا إعلان التخلِّي عنها إلى مرحلة قادمة وغيب مستقبل، وتلحُّ على ضرورة العناية بتقرير وتوضيح المفاهيم الشرعية الصحيحة؛ حتى ترسخ في وعيهم وضمائرهم، وأي محاولة أو سعي لتأويل الأحكام الشرعية وتغيير الصورة الصحيحة للشريعة فما هي إلا عامل إضعاف لإعادة المجتمعات المسلمة إلى حكم الشريعة ونظام الإسلام يجب الوقوف في وجهه بكل قوة وعزة؛ فالمطلوب السير بالمجتمعات نحو الشريعة وليس توجيه الشريعة لتسير نحو ما عليه المجتمعات المعاصرة.

إنها دعوة لأنفسنا وإخوتنا ولجميع المسلمين بأن يطالبوا بعودة نظام الإسلام في كلِّ أحكامه وتشريعاته، وهي دعوة إيمانية نجد في نفوسنا ضرورة لها؛ لأنَّها لازمُ الإيمان وثمرته؛ فمقصودها تحقيق مراد الله والسعي لمرضاته، وهي واجبة على الجميع، وليست هي راية حزبية لتجميع الناس على أهداف ومقاصد ضيِّقة، وليست شعاراً سياسياً لتحقيق أهداف شخصية عاجلة، أو لأجل تجميع الأنصار، أو للتلويح بها تخويفاً لأمم الشرق والغرب.

# التوظيف الحداثي للاجتهادات العُمَرية (قراءة نقدية)

سلطان العميري

يتميز الفكر الإسلامي بكونه فكراً دينياً بامتياز، ويتصف بتجذُّر البعد الديني فيه إلى الأعماق؛ ونتيجة لذلك فإن الأفكار لا تجد لها موطئاً ولا تستطيع أن تنمو وتعيش إلا إذا وجدت لها مأخذاً دينياً تركن إليه، وهذا ما يفسر بعض التنافس المحموم بين أكثر التيارات المتصارعة في الفكر الإسلامي في محاولة تأسيس البعد الديني والتاريخي لها بشتى السبل.

وقد أدرك الخطاب الحداثي بعد تجارب طويلة هذه الحقيقة، وتيقن بأن الأفكار التي يدعوا إليها لن تجد قبولاً ولن تظفر بأرضية تترعرع فيها إلا إذا استندت إلى فكرة تمثل لها البعد الديني والامتداد التاريخي في الفكر الإسلامي.

وبذل لأجل ذلك جهوداً كبيرة في سبيل الظفر بما يمكن أن يحقق له تلك الرغبة ويكوِّن أساساً دينياً وتاريخياً لأفكاره.

ومن الأحداث التاريخية التي ظفر بها الخطاب الحداثي وغدا يلوح بها كثيراً: بعض الاجتهادات الصادرة من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مما اتصف بالعمق في الاستدلال والخفاء في المأخذ والتعامل البعيد عن مجرد الاعتماد على ظاهر اللفظ؛ وذلك حين استجدت في عصره قضايا راعى فيها هو ومن معه من الصحابة اختلاف الأوقات وتنوُّع الأحوال، وهو ما أدى بهم إلى تغليب اجتهاد على اجتهاد، كمثل إيقاف عمر لنصاب المؤلَّفة قلوبهم، وعدم تطبيقه لحد السرقة في عام الرمادة، وعدم تقسميه الأرض المفتوحة على الغانمين، وزيادته في حد شرب الخمر، وقتله التسعة بالواحد، وغيرها من الاجتهادات الفقهية.

فبادر الخِطاب الحداثي إلى الاعتماد على بعض تلك الاجتهادات، وسلط الأضواء عليها، وصوَّرها على أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تخلَّصَ من سلطة النص وألغى ما دل عليه من الفرائض وما تضمنه من الأحكام، وغيَّر شعائر ثابتة في الإسلام لأجل المصلحة، ولأجل تطوُّر السياق التاريخي، وأكد للقراء أن المصلحة مقدَّمة عنده في بناء الأحكام الشرعية وفي

فهم النصـــوص الدينية والتعامل معها، وأنهـــا هي المبدأ الوحيد التي تحاكم إليه.

ونفـــذ بذلك إلـــى تأكيد الفكرة الجوهرية في المشـــروع الحداثي، وإلى شـــرعنة الهدف النهائي له، وهو الانتهاء إلى القول بتاريخية الشـــريعة الإسلامية ونســـبية الأحكام التي جاءت بهـــا، فإن هذه الفكرة تُعَد قطب الرحى وحجر الزاوية لديهـــم[1]، وبناءً عليها وانطلاقاً منهـــا رام الخطاب الحداثي أن يتخلص من سلطة النص الشـــرعي وأن يتجاوز محدداته ومضامينـــه الأصلية وينتقل إلى مضامـــين أخرى تتوافق مع السياق التاريخي كما يقول.

وممن فعَّل الاجتهادات العُمَرية بشكل مكثف: نصر حامد أبو زيـــد؛ فإنه برر مواقفه التي توصل فيهـــا إلى أن العقائد الدينية مرتهنة بالواقع، تتغير بتغيره، وتتبدل بتبدله، بالاعتماد على بعض اجتهادات عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث يقول: (ونرجع إلى مواقـــف عمر بن الخطاب من نصِّ المؤلَّفة قلوبهم؛ فلو تعامل مع النص تعاملاً حرفياً ولو لم يســـتطع أن يضعه في سياقه لما اســـتطاع أن يكشف علَّته التي إذا انتفت انتفى الحكم، والذي هو هنا إعطاء المؤلَّفة قلوبهم نصيبهم من الصدقات مقرراً لهم بالنص؛ إذن عمر بن الخطاب لم يتعامل مع النص كسلطة دائمة عندما وضعه في سياقه)[2].

ولـمَّا حـــاول التوصل إلى إبطال قاعـــدة (العبرة بعموم اللفـــظ لا بخصوص الســـبب)، ورام البلوغ إلـــى أن الأحكام الشـــرعية مرتهَنة بالسياق الاجتماعي الذي جاءت فيه وليس لها استقلال عنه، أخذ يســـتحضر موقف عمر – رضي الله عنه – من المؤلَّفة قلوبهم، وجعله مستنداً تاريخاً له[3].

وانتهى في نهاية المطاف إلى أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لم يكن خاضعاً لسلطة النص، ولا متبعاً لمضامينه، وإنمـــا كان يتعامل معـــه تعاملاً مقاصدياً؛ بحيـــث إنه يلغي الأحـــكام التي لا تتوافق مع الحالة الاجتماعية ويوقف الحكم الشرعي الذي يرى أنه جاء لتحقيق مصلحة محددة، ولو كان النص قطيعاً وظاهراً في الدلالة عليه.

وكذلـــك الحال عند طيب تيزينـــي؛ فإنه يعتقد أن النص الديني يعيش حالة جدلية مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي، وأنه يتطور بتطوره، ويتكيف على حســـب ملابساته، وتوصَّل إلى آلية تتلخص (في ضرورة امتثال الدين للوســـط الجديد عبر تكيُّفه معه وتحوله إلى بُعْد من أبعاده، وتخليه عن المنطقة التي نشـــأ النص فيها)، وبناءً على ذلـــك يكون النص الديني تابعاً للواقع وسائراً خلفه، واستشهد على شرعية هذه النظرية بما (أحدثه عمر بن الخطاب من ترســـيخ للحركة الاجتهادية والتأويلية المستنيرة حيال النص القرآني والحديثي)[4]، ثم مثَّل بموقف عمر من المؤلَّفة قلوبهم وموقفه من حد الســـرقة عام الرمادة.

وتوصل محمد ســـعيد العشـــماوي إلى أن نســـخ وإلغاء الأحكام الشرعية ليس خاصاً بالشـــريعة، بل هو موكول إلى الأمة؛ لأن الأحكام المقررة في الشـــريعة ليست مطلقة – كما يقول – وإنما هي نســـبية مؤقتة خاضعـــة للظروف الزمانية والمكانيـــة؛ ولهذا فقد نســـخ عمر بن الخطـــاب – رضي الله عنه – حكم المؤلَّفة قلوبهم، وأوقف توزيع الأرض المفتوحة على الغانمين[5].

وممن استند إلى الاجتهادات العُمَرية في تقديم المصلحة علـــى النص الديني وتحكيمها عليه فـــي كل الأحوال: محمد عابد الجابـــري؛ فقد أكد على أن الفكر الإســـلامي المنادي بتطبيق الشـــريعة يحتاج إلـــى بناء مرجعيـــة صلبة تتجاوز الخلافات المذهبية، وقرر (أن المرجعية الأصل الســـابقة على كل المرجعيات في التجربة التاريخية العربية الإســـلامية هي عمل الصحابة على عهد الخلفاء الراشـــدين)[6]، ثم شرع في بيان المبدأ الوحيد المعتمَد عندهم، وانتهى إلى أنه (المصلحة) فقط، وقرر أنها مقدَّمة عندهم على كل شيء حتى على النص القطعي؛ حيث يقول: (المبدأ الوحيد الذي كانوا يراعونه دوماً هو المصلحة ولا شـــيء غيرها، وهكـــذا فكثيراً ما نجدهم يتصرفون بحســـب ما تمليه المصلحة، صارفـــين النظر عن النص حتـــى ولو كان صريحـــاً قطعيـــاً؛ إذا كانت الظروف الخاصة تقتضي مثل ذلك التأجيل)[7].

ودعـــا الجابري إلى ضـــرورة تجديد القواعـــد الأصولية بحجة أنها كانت خاضعة لاستجابات تاريخية ومرتبطة بأوضاع اجتماعيـــة خاصة بالعصور المتقدمة، وتوصَّل إلى أنه لا بد من

(١) انظر: إسلام المجديدين، محمد حمزة (٥٦).
(٢) جريدة العربي ١٩٩٥/٦/٢٦، بواسطة: منهج عمر الخطاب في التشريع، محمد بلتاجي.
(٣) انظر: مفهوم النص، أبو زيد (١٠٤).
(٤) النص القرآني، طيب تيزيني (٢١٩).
(٥) نقلاً عن: التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان أمامة (٤٤٦).
(٦) الدين وتطبيق الشريعة، الجابري (٩).
(٧) الدين وتطبيق الشريعة، الجابري (١٢ – ٤٢).

إنشـــاء قواعد أخرى تلبِّي متطلبات عصرنا وتغطي حاجياته، ومن القواعد الأصولية التي دعا إلى تجاوزها وتبديلها قاعدة: (الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً)، واقترح أن تستبدل بقاعدة أخرى هي: (الحكم يدور مـــع المصلحة وجوداً وعدماً)، واحتج على مشـــروعية هذه القاعدة بفعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال: (إذا كان عمر بن الخطاب (المشـــرع الأول في الإســـلام) قد اعتبر المصلحة ومقاصد الشريعة فوضعها فوق كل اعتبار، لماذا لا يقتدي المجتهدون والمجددون اليوم بهذا النوع من الاجتهاد)[1].

وكذلك انتقد قاعدة (العبـــرة بعموم اللفظ لا بخصوص الســـبب) بحجة أن الأخـــذ بها يؤدي إلى بعد الشـــريعة عن الواقعية وتلبية مصالح الناس، وأكد على ضرورة ربط أحكام الشريعة بأسبابها كي تبدو الشريعة أكثر واقعية وأشد مسايرة لمصالح الناس وأحوالهم المختلفة، وأبرز في هذه الدعوة بعض الاجتهادات العُمَرية[2].

إذن فقد حظيـــت الاجتهادات العُمَريـــة باهتمام خاص من المشروع الحداثي، وشـــكلت بُعْداً تراثياً حاضراً في كثير من منتجاته الفكرية، وأضحت مرتكـــزاً ظاهراً في عدد من الكتابـــات المعاصرة[3]. وقد كان هـــذا الاهتمام حاضراً منذ الرواد الأوائل للتيار العَلماني، واشترك معهم عدد من المتبنِّين للاتجـــاه التحديثي في الفكر الإســـلامي، وقامت محاولات كثيرة لإبراز الاجتهادات العُمَرية على أنها أســـاس تشـــريعي لتلك الأفكار التحديثية، وتوارد أقطاب ذلك التيار على التلويح باجتهادات عمر في مناســـبات كثيرة، فهـــا هو خالد محمد خالد يقول: (ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسُّنة عندما دعته المصلحة لذلك؛ فبينما يقسم القرآن للمؤلَّفة قلوبهم حظاً من الزكاة، ويؤيده الرســـول ﷺ وأبو بكر، يأتي عمر فيقول: لا نعطي على الإسلام شيئا)[4].

وأول ما يقابلنا في تعامل الخطاب الحداثي مع الاجتهادات العُمَرية إعلاؤه من شأن المصلحة وتحكيمُه إياها على النصوص الشـــرعية؛ فالتأويل المقاصدي لديه يمثل الطريق الأنسب، بل الأوجب في التعامل مـــع نصوص الوحي، ولا فرق بين القطعي منها والظني، فكل الأحكام الشـــرعية يجري التعامل معها وَفْقَ النظـــرة المقاصدية، ومصير كل حكـــم أو نص يخالف المصلحة الإلغاء والنفي؛ ولو كان قطعياً في الثبوت والدلالة.

ونحن إذا توجهنا إلى تحليل النظرة المقاصدية التي نادى بها الخِطَاب الحداثي وحاكمناهـــا إلى المنهجية العلمية التي تراعي الضـــرورات العقلية والدلائـــل التاريخية والمتطلبات المعرفيـــة، وتحاول أن تجيب عن كل الأســـئلة المحتملة، نجد أنها تعاني من إشكاليات منهجية عميقة، تضرب في أعماقها وتحدث الخلل والاضطراب والفساد في منظومتها.

ولكننـــا إذا طوينا التـــداول الحداثـــي لنظرية المقاصد، وتوجهنـــا إلـــى صلـــب البحث (وهـــو التوظيـــف الحداثي للاجتهادات العُمَرية بخصوصهـــا)، فإننا نجده كذلك يعاني من إشـــكاليات عميقة، وأخطاء معرفية متجذرة، ومخالفات منهجية متنوعة، منهـــا ما يرجع إلى طريقة البحث التاريخي والشـــرعي، ومنها ما يرجع إلى كيفية التحليل ومواده، ومنها مـــا يرجع إلى مقدمات الاســـتدلال ونتائجه، وتتضح كل تلك الأشياء في الأمور التالية:

**الأمـــر الأول:** التصور الخاطئ: فإن الخطاب الحداثي حين اعتمد على بعض الاجتهادات العُمَرية لم يكن متصوراً لحقيقة تلك الاجتهادات، ولا مدركاً لفحواها، وقد اجتهد عدد من العلماء والمفكرين المعاصرين في بيان حقيقتها، وتوضيح ملابســـاتها، وشـــرح حيثياتها (الواقعية والزمانية والشرعية)، واستعرضوا جميع الأمثلة التي اعتمد عليها الخطاب الحداثي، وبيَّنوا كيف أنها لا تتوافق مع توصيفهم لها، وأنه ليس فيها شيء من تقديم المصلحة على النص الشـــرعي، وليس فيها تجاوز لسلطته ولا تخلُّص مـــن إلزاميته، وأفردوا في ذلك مؤلَّفات وبحوثاً خاصة، وأطالـــوا في بيانها كثيراً حتى بُحَّـــت أصواتهم وكلَّت أقلامهم، وهم يشرحون ويبيِّنون ويطالبون بالرجوع إلى التاريخ والمصادر الصحيحة، وبالالتـــزام بالقرائن والدلائل المؤثـــرة[5]، والغريب حقاً أن الخطاب الحداثي ما زال مســـتمراً يكرر وصفه كما هو بالطريقة نفسها، وكأنه لم يسمع ولم يبصر.

ولن نطيل هنا بتكرار كل الأمثلة التي وظفها الخطاب الحداثي؛ وإنما سنقتصر على أكثرها حضوراً وتوظيفاً لديهـــم؛ حتى يتبن مقـــدار الهوة بين الفهـــم الحداثي

(١) وجهة نظر، الجابري (٦٣).
(٢) انظر: وجهة نظر، الجابري، ص (٥٨، ٦٩).
(٣) انظر: مزيداً من التوظيف الحداثي للاجتهادات العُمَرية: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد الطعان، ص (٣٩٣).
(٤) الديمقراطية أبداً، خالد محمد خالد، ص (١٥٠).
(٥) انظر في بيان ذلك: (نظرات في فقه عمر الفاروق) محمد المدني، و (منهج عمر بن الخطاب في التشريع) محمد بلتاجي، و (السياسة الشرعية في نصوص الشريعة ومقاصدها) يوسف القرضاوي، ص (١٦٩ - ٢٢٢)، و (ضوابط المصلحة) محمد سعيد البوطي، ص (١٥٢ - ١٧٥).

للاجتهـــادات العُمَرية وبـــين ما يثبتـــه التاريخ وتؤكده القرائن والملابسات:

### المثال الأول: إيقاف حد السرقة في عام الرمادة:

وصورته عند الخطاب الحداثي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خالف النص القطعي في قطع يد الســـارق، وهو قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّـــارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّـهِ واللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائـدة: ٣٨]، فلم ينقذ هذا الحكم في عام الرمادة لأجل المصلحة التي أوجبها التغير الطارئ على الســـياق الاجتماعي والتاريخي، وهو ما يقتضي عدم القطع، فها هو عمر يلغي الحكم القطعي لأجل المصلحة.

ونحن إذا رجعنـــا إلى التاريخ لنتحقق من حقيقة ما فعله عمر، ولنتبين مدى صحة تصـــور الخطاب الحداثي للواقعة، فسنجد الأمر مختلفاً عن الصورة التي قدموها للحادثة.

وقبل أن نبيِّن ذلك لا بد أن نشـــير إلى أن عدداً من علماء الحديث قد ضعَّفوا الخبر الذي جاء فيه أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أوقف حدَّ السرقة في عام الرمادة[1].

ولكن على فرض صحة القصة فإنه ليس فيها شـــيء مما تصوَّره الخطاب الحداثي؛ لأنه من المعلوم لدى كل المســـلمين أن الحدود في الشـــريعة لا تقام على العبد بمجرد الوقوع في المخالفة الشـــرعية المترتب عليها الحد؛ وإنما لا بد من توفُّر شـــروط كثيرة وانتفاء موانع كثيـــرة كذلك حتى يمكن تطبيق الحد، وقد شددت السُّنة النبوية على ضرورة التأكد من تكامل موجبات الحدود، وحثت على درء الحد عن المســـلمين؛ حيث يقول النبي ﷺ: «ادرؤوا الحدود عن المســـلمين ما استطعتم؛ فإن وجدتم لمســـلم مخرجاً فخلوا سبيله»[2]. ومن الموانع التي تمنع من تنفيذ أي حد في الشـــريعة: حصول الشبهة، ولهذا فقد استفاض الخبر عن الصحابة: كأبي هريرة وابن مسعود وعلي وعائشـــة - رضي الله عنهم - بدرء الحدود عند وجود الشـــبهة؛ لأنهم رأوا أن من محققـــات الاحتياط في تطبيق الحدود حصول الشـــبهة أثناء فعل المخالفة الشرعية، وهذا الحكم مـــن الأحكام المجمَع عليها بين علماء المســـلمين، ولم يخالف فيها إلا الظاهرية فقط، وقد حكى الإجماع ابن المنذر وابـــن قدامة وغيرهما[3]، وهذا المعنى يدل على أن الحكم في آية السرقة مقيد بقيود أخرى بُيِّنت في السُّنة النبوية.

فكان من رأي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن من الشُّـــبَه التي يُدرَأ بها حد السرقة: أن يسرق الرجل في حال المجاعـــة والاضطرار إلى الأكل، وهذا ما يدل عليه نص كلام عمـــر؛ فإنـــه حين جيء إليـــه بالســـارق في عـــام الرمادة قال: (لا قطع في عام ســـنة)، فقوله هذا يدل على أن القطع حكم ثابت، ولكنه لا يطبَّق في وقت المجاعة لتعلُّق الشبهة بذلك.

فعمـــر - رضي الله عنه - إذن لم يُقِم حد الســـرقة لأنه لم يثبت أصلاً ولم تتحقق شروطه، لا لأنه يرى ألغاءه وتوقفه لاختلاف السياق الاجتماعي.

ومما يدل على ذلك: أنه امتنع عن إقامة الحد في مشاهد أخرى غير ما حصل في عام الرمادة، ومن ذلك قصته مع غِلمَان حاطب ابن أبي بلتعة حين ســـرقوا بُلْغَة لرجل من مزينة، فأمر عمر - رضـــي الله عنه - أول الأمر بقطع أيديهم، ثم تأمل في حالهـــم، وأمر برفع الحكم عنهم، وعلـــل ذلك فقال: (لولا أنكم تجيعونهـــم حتى إن أحدهم أتى ما حـــرَّم الله لقطعت أيديهم، ولكن - والله - لئـــن تركتَهم لأغرِّمنَّك فيهم غرامة توجعك)[4]، وهذه الحادثة لم يَرِد ما يدل على أنها كانت في عام الرمادة.

وهذه الوقائع تدل على أن عمر لم يخالف النص الوارد في حد الســـرقة؛ وإنما عمل بتقييداته التي جاءت في النصوص الأخرى. وعلى فرض أنـــه خالفه فهو لم يخالفه لأجل تقديم المصلحة عليه؛ وإنما بناءً على نص شـــرعي آخر. فمنطلقات عمر - رضي الله عنه - إذن في كل الأحوال راجعة إلى النص الشرعي ولا ورود للمصلحة في هذه الحادثة كما هو ظاهر.

### المثـال الثاني: عـدم إعطـاء المؤلَّفـة قلوبهم من الزكاة:

مـــن المعلوم أن المؤلَّفـــة قلوبهم من الأصنـــاف التي جاء التنصيـــص عليها في القرآن كما فـــي قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَـاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَـاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَـةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَـبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيـمٌ﴾ [التوبـة: ٦٠]، فنصيبهم ثابـت بالنص القطعي، وقد أعطى النبي ﷺ عدداً منهم، وفي خلافة أبي بكر الصديق رأى عمر أن يوقف ما كانوا يأخذونه من الزكاة، فاشتكى بعضهم (عيينـة بن حصين والأقـرع بن حابس) إلى أبي بكر - رضي الله عنه - ذلك، وعلل عمر - رضي الله عنه - اجتهاده فقال: (إن رســـول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذٍ ذليل، وإن

(١) انظر: إرواء الغليل، الألباني: (٨/ ٨٠).
(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٢٦) (٨١٦٣) وصححه.
(٣) انظر: المغني، ابن قدامة: (٩/ ٥٥).
(٤) أخرجه: البيهقي في السنن: (١٧٧٤٩).

الله قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما)[1].

فبادر الخِطَاب الحداثي وصوَّر هذا الاجتهاد من عمر - رضي الله عنه - على أنه إلغاء للنص وتقديم للمصلحة عليه.

ونحن إذا رجعنا إلى القصة لنقرأها من جديد مع مراعاة الملابسات والظروف المحيطة بها ومع استحضار المناطات المؤثرة في بناء الحكم فسنجد أن عمر - رضي الله عنه - لم يكن مخالفاً للنص وإنما كان متَّبعا له غاية الاتِّباع؛ فإن أوصاف الأصناف الثمانية المذكورة في الآية ليست أوصافاً ملازمة للشخص لا تفارقه حتى يموت، بل هي أوصاف مفارقة وطارئة، فالرجل قد يكون في وقت من الأوقات فقيراً معوزاً فيعطى نصيبه من الزكاة، ثم يرتفع عنه وَصْفُ الفقر فلا يكون من أهل الزكاة، وعدم إعطائه في هذه الحالة ليس إبطالاً للنص ولا إلغاءً للحكم؛ وإنما تعليق له لارتفاع علته، فكذلك الحال في المؤلَّفة قلوبهم؛ فقد يكون الرجل في وقت من الأوقات من المؤلَّفة قلوبهم فيعطى من الزكاة، ثم يرتفع عنه هذا الوصف فلا يعطى منها، وعدم إعطائه ليس إلغاءً للحكم وإنما هو من قبيل انتهائه لانتهاء علته، فعُمَر - رضي الله عنه - إذن لم يلغ الحكم وإنما أوقفه عن أناس محددين ارتفع عنهم الوصف المؤثر في الحكم فلم يعودوا من أهله.

وهذا ما فهمه عمر بن عبدالعزيز (وهو من أشد الناس اتباعا لجده عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأحرصهم على التأسي به)؛ ولهذا فإنه رجع إلى تطبيق حكم المؤلَّفة قلوبهم من جديد لـمَّا رأى أن العلة الموجبة لذلك قائمة في بعض الأشخاص[2]؛ وهو ما يؤكد أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لم يلغِ نصيب المؤلَّفة قلوبهم ولم يوقفه إلى الأبد.

وبهذا الشرح ينكشف لنا مقدار الخطأ الذي وقع فيه الخطاب الحداثي في تصوُّر وتصوير الاجتهادات العُمَرية، وهذا الخطأ عام وشامل لكل الاجتهادات التي جرى تفعيلها من قِبَلِهم.

**الأمر الثاني:** المنطق الانتقائي: فالخطاب الحداثي مارس العملية الانتقائية بشكل ظاهر جداً في التعامل مع الاجتهادات العُمَرية، فإنه تغافل عن الآثار والفتاوى المروية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولم يسلط الأضواء إلا على قدر يسير جداً مما يمكن أن يستفيد منه.

وهذه الطريقة متنافية مع الآليات العلمية الصحيحة، وهي في الوقت نفسه يمكن أن تؤدي إلى نتائج معاكسة لما توصل إليه الخطاب الحداثي؛ فلو أخذنا بالمنطق الانتقائي الذي مارسه أصحاب هذا الخطاب فإنه يمكن أن نصل إلى أن عمر لم يكن معتبراً للمقاصد ولم يكن يلتفت إليها، وأنه كان يتعامل مع النصوص تعاملاً حرفياً محضاً، ومن الشواهد التي يمكن أن تورَد مثالاً على ذلك: أنه التزم بتقبيل الحجر الأسود وقال: (أَمَا إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك)[3]، ومن الشواهد التي يمكن أن تدل على ذلك: أنه - رضي الله عنه - قال: (ما لنا وللرَّمَل؛ إنما راءينا به المشركين وقد أهلكم الله، ثم قال: شيء صنعه رسول الله ﷺ لا نحب أن نتركه)[4].

ولو سلَّمنا بأن عمر - رضي الله عنه - كان يقدم المصلحة على النص، واعتمدنا المنطق الانتقائي فإنَّا يمكن أن نصل إلى نتيجة مغايرة لما توصَّل إليه الخطاب الحداثي؛ إذ توصَّل إلى أن عمر - رضي الله عنه - كان يمارس التيسير وإلغاء الأحكام الشرعية تيسراً على الناس، ولكننا يمكن أن نصل إلى أن مذهب عمر يقتضي الزيادة في التشديد على الناس والمبالغة في تنفيذ الأحكام الشرعية إذا رأينا منهم إهمالاً للشريعة وعدمَ إقبال عليها. ومن الشواهد التي يمكن أن تورَد مثالاً على ذلك: الزيادة في حد الخمر؛ فعن السائب بن يزيد قال: (كنا نؤتى بالشارب في عهد رسول الله ﷺ وفي إمرَة أبي بكر وصدراً من إمرَة عمر فنقوم إليه فنضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان صدراً من إمرَة عمر فجلد فيها أربعين حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين)[5]، ومما يمكن أن يورَد كذلك: التشدد في قضية الطلاق؛ فعن طاوس أن أبا الصهباء قال لابن عباس: (هات من هنَّاتك، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة ؟ فقال: قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم)[6].

إن كل هذه النتائج خاطئة بلا شك؛ لأنها لم تعتمد على الطريقة الصحيحة في استخلاص الأفكار ، ولم تستعمل الآلية الناضجة للوصول إلى الاستنتاجات المستقيمة.

والمنهجية العملية تأبى ذلك كله، وتوجب على الباحث عن الحقيقة أن يجمع أكبر قَدْر من النماذج، ثم يقوم بعملية تحليلية لكل ما كان صحيحاً منها؛ ليتوصل إلى المبادئ العامة

(١) أخرجه: البيهقي في السنن: (١٢٩٦٨)
(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: (٥/٥٥٨).
(٣) أخرجه: مسلم: (٣١٢٦).
(٤) أخرجه: البيهقي في السنن: (٩٥٤٤).
(٥) أخرجه: البخاري: (٦٢٨١).
(٦) أخرجه: مسلم: (١٤٧٢).

المشتركة التي كان لها التأثير في بناء الحكم.

وقد قام عدد من الباحثين بعملية استقرائية واسعة، استوعبوا فيها جميع ما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من الفتاوى والآثار الفقهية، وقاموا بدراستها من جهة ثبوتها أولاً، ثم تناولوها بالتحليل والتوضيح. وقد شملت تلك الآثار أبواباً مختلفة من أبواب الفقه: كمسائل الطهارة والصلاة ومسائل الزكاة والأموال، ومسائل القضاء، ومسائل الحدود ومسائل الأنكحة وغيرها[1]، وهذا الجمع سهل الطريق أمام البلوغ إلى حقيقة المذهب الصحيح الذي كان عليه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ولكن الخطاب الحداثي تغافل عن كل تلك الدراسات وما تضمنته من آثار وأخذ يعتمد على عدد محدود لا يمثل عُشْر ما نُقل عن عمر - رضي الله عنه - ورتب عليه نتائج كبيرة... أليس هذا خللاً منهجياً كبيراً؟ ألا يدل هذا الصنيع على فقدان الأمانة العلمية في الخِطاب الحداثي؟ ألا يدل هذا على أن الخطاب الحداثي لا يهمه الحقيقة بقدر ما يهمه الوصول إلى نتائج مقررة مسبقاً؟ وهذا الصنيع يدفعنا إلى أن نقول كما قال الأستاذ عباس العقاد: (ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة بأن تفتح باب الاتهام في سلامة المقصد قبل الاتهام في سلامة التفكير)[2].

**الأمر الثالث:** التعالي على الحقائق التاريخية: فنتيجة للمنطق الانتقائي توصل الخطاب الحداثي إلى أن عمر - رضي الله عنه - لم يكن خاضعاً لسلطة النص، وأنه استطاع أن يتخلص من هيبته، وأنه قدم نموذجاً مثالياً في التعامل المرن مع النص، لأجل أنه لم يكن يقدم على المصلحة شيئاً حتى ولو كان نصّاً قطعياً.

ونحن إذا رجعنا إلى التاريخ لنتحقق من هذه النتيجة التي توصل إليها الخِطاب الحداثي لا نجد ما هو مستفيض فيه منسجماً مع تلك النتيجة، بل هو على النقيض منها؛ فإنا نجد الروايات المنقولة عن عمر - رضي الله عنه - تقدم نموذجاً مثالياً عالياً في الخضوع للنص الشرعي والاستسلام لهيبته وهيمنته، وقبولاً تاماً لقدسيته، وانطلاقاً واضحاً من مضمونه، وتقديماً له على كل شيء، وقد غدت هذه الحال مشهورة عن عمر - رضي الله عنه - حتى لُقِّب بـ (الوقاف عند كتاب الله)[3].

والآثار التي تؤكد هذا المعنى كثيرة جداً، فقد كتب إلى قاضيه يشرح له المنهجية المعتمَدة في بناء الأحكام الشرعية فقال له: (إذا حضرك أمر لا بد منه؛ فانظر ما في كتاب الله فاقضِ به، فإن لم يكن ففي ما قضى به رسول الله ﷺ، فإن لم يكن ففي ما قضى به الصالحون وأئمة العدل، فإن لم يكن فأنت بالخيار؛ فإن شئت أن تجتهد رأيك فاجتهد رأيك، وإن شئت أن تؤامرني)[4].

وترك عمر في مشاهد كثيرة رأيه الذي بناه على القياس والاجتهاد لـمَّا علم أنه مخالف للنص ومعارض له؛ فقد كان يفتي بأن المرأة لا ترث من دية زوجها حتى أخبره الضحاك بن سفيان الكلابي بأن رسول الله ﷺ ورَّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها فرجع عمر - رضي الله عنه - عن قوله[5].

وكان - رضي الله عنه - يفتي بالتفاضل بين الأصابع في الدية اجتهاداً منه وتقديراً للمصلحة، حتى أُخبِر بقوله ﷺ: «في كل إصبع عشرة من الإبل»، فرجع عن قوله[6].

فهذه الشواهد التاريخية تظهر مقدار خضوع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للنص الشرعي ومقدار تسليمه له وتقديره واحترامه ومهابته، ومن المستبعد عقلاً مع تلك الحال أن يُقدِّم على النص شيئاً، ومن المستبعَد عقلاً أيضاً أن يلغي الحكم الثابت من أجل ما رآه من قياس أو مصلحة أو اجتهاد، وكيف يحق لنا أن ننقل عنه شيئاً يخالف الحال المعهود عنه؟

إن الغريب حقاً أن الخطاب الحداثي بنى تصوراته عن موقف عمر - رضي الله عنه - من النص الشرعي من غير أن يلتفت لتلك الأخبار ومن غير أن ينبه عليها أو يقدم جواباً مقنعاً حيالها. ولا بد أن نقول: إن تقديس النص الشرعي والخضوع له ليس خاصاً بعمر - رضي الله عنه - فقط، بل هو المعروف عن الصحابة جميعاً - رضي الله عنهم - فهم من أشد الناس تمسكاً بمدلولات الكتاب والسُّنة، وأكثر الناس التزاماً

(١) انظر نماذج من تلك الدراسات: (النظام المالي في عهد عمر بن الخطاب) أحمد الشافعي، و (سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ومقارنتها بالأنظمة الحديثة) عبد الله السعدي، و (أولويات الفاروق السياسية) غالب القرشي، و (فقه عمر بن الخطاب في الجنايات وأحكامها موازناً بفقه أشهر المجتهدين) رويعي الرحيلي، و (فقه عمر بن الخطاب في النكاح مقارناً بآراء أشهر المجتهدين) جمعان الغامدي، و (فقه عمر بن الخطاب في الطهارة موازناً بفقه أشهر المجتهدين) طارق السبيعي، و (فقه عمر بن الخطاب في المعاملات المالية مقارناً بفقه أشهر المجتهدين) عادل الفخري، و (نظرات في فقه عمر الفاروق) محمد المدني، و (منهج عمر بن الخطاب في التشريع) لمحمد بلتاجي، و (موسوعة فقه عمر بن الخطاب) محمد رودس قلعه جي، وغيرها كثير.

(٢) ماذا يقال عن الإسلام؟ ص (٧٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٢٧٦).

(٤) أخرجه: النسائي: (٥٤١٤)، والدارمي في المسند: (١/ ١٦٥)، وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه: الترمذي: (١٠٣٦)، وأبو داود: (٢٥٥٨)، وهو صحيح الإسناد.

(٦) أخرج القصة: عبدالرزاق في المصنف: (١٧٦٩٨)، ابن أبي شيبة في المصنف: (٩/ ١٩٤).

بها، وتحاكماً إليها، ولا يقبلون مساومة على ذلك، وهذا المعنى مستفيض عنهم يظهر في تصرفاتهم وفتاواهم ومواقفهم.

ولو ذهبنا ننقل أخبارهم ومواقفهم التي تؤكد هذا المعنى لاستغرق ذلك وقتاً طويلاً، ومن ذلك: قول ابن مسعود – رضي الله عنه –: (إذا حضرك أمر لا تجد منه بداً فاقض بما فيه كتاب الله، فإن عييت فاقض بسنَّة نبي الله، فإن عييت فاقض بما قضى به الصالحون، فإن عييت فأومئ إيماءً، فإن عييت فافرر منه ولا تستحِ)[1].

وأنكر ابن عباس – رضي الله عنه – بشدة على من خالف النصوص برأي أبي بكر وعمر وقال: (يوشك أن تنزل عليكم حجرة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله. وتقولون: قال أبو بكر وعمر)[2].

ومن أقوى الشواهد التاريخية الخاصة التي تدل على أن الصحابة لا يقدِّمون المصلحة على النص، ولا يلغون الحكم الشرعي لأجل المصلحة ولو كان في قضية هينة، ومن ذلك الحادثة التي وقعت بين مروان بن الحكم وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – فإنه غيَّر من هيئة الترتيب في صلاة العيد، فقدَّم الخطبة على الصلاة، وتعلل بأن المصلحة تقتضي ذلك؛ لأن الناس لا يجلسون للخطبة فإذا صلُّوا انصرفوا، فأنكر عليه أبو سعيد فعله، وجعله من التغيير في دين الله ومن الابتداع فيه[3].

فهذه الأخبار وغيرها تصوِّر للقارئ حال الصحابة مع النصوص الشرعية، وكيفية تعاطيهم معها، وتحدد المبدأ الوحيد المقدم على كل ما عداها.

وإذا قمنا بالمقارنة بين هذه الحالة وبين ما نسبه محمد عابد الجابري إلى الصحابة؛ من أنهم يقدمون المصلحة على كل شيء حتى على النص القطعي فسنجد أنه مارس التضليل المعرفي بشكل ظاهر، وصوَّر التاريخ على صورة مختلفة عما هي عليه؛ فهو لم يشر ولو إشارة بسيطة إلى تلك الأخبار، ومن ثَمَّ لم يقدم عنها أي جواب فضلاً عن أن يكون مقنعاً، وهذا كله يبيِّن للقارئ مقدار الخلل المنهجي في الآلية التي استخدمها الجابري في تحليل تراث الصحابة، ومقدار التسرب المعرفي في التصورات والنتائج التي بيَّنانها عنه.

إن وقوع مثل هذا الخطأ الضخم يفتح الباب على مصراعيه أمام التساؤلات التي تضرب في أعمال البنية التي يقوم عليها الفكر الحداثي، ويثير أسئلة منهجية كبرى حول طريقته التي تعامل بها مع التراث، ويستوجب الاحتياطَ الشديد والتشككَ البالغ في النتائج التي توصل إليها.

**الأمر الرابع:** القفز على الامتدادات التاريخية: فمن العلوم لدى دارسي تاريخ العلوم الإسلامية أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يُعَد أحد أساتذة المدرسة الفقهية التي نشأت في المدينة المنورة في عصر التابعين؛ فقد اهتم علماء المدينة بنقل فتاواه وآثاره، واشتغلوا بالتفقه في مضامينها واستخراج أصولها ومبادئها، ومن أشهر من عُرِف بذلك: سعيد بن المسيب؛ فقد وُصِف بأنه أعلم الناس بفقه عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – وشاركه بذلك بقية الفقهاء السبعة، وهم: عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد ابن أبي بكر، وعبيد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار وسالم بن عبد الله (حفيد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه)[4]، ولم يُعرَف عن أحد من هؤلاء ولا عن أحد من تلاميذهم من توصل إلى ما توصل إليه الخطاب الحداثي؛ من أنه يقدِّم المصلحة على النص الشرعي، أو أنه يلغي الحكم الشرعي لأجلها، وهم – بلا شك – أعلم بحال عمر وأكثر إدراكاً لتصرفاته وفتاواه، وأعمق فهماً للسياق التاريخي والاجتماعي الذي كان يعيشه؛ فهل من المقبول عقلاً أنَّ نترك ما فهمه الناس القريبون من عمر – رضي الله عنه – والأعلم به ونتبع من هو أبعد وأجهل؟

إن الخطاب الحداثي في تصرفه هذا مارس قفزاً فاضحاً على التاريخ، ولم يراعِ القرائن والدلائل المناقضة لما توصل إليه، ولم يعتبر الامتدادات التاريخية الواضحة التي لها التأثير البيِّن في مسيرة الفكر وتطوراته.

وبعد هذه الجولة الواسعة في التوظيف الحداثي للاجتهادات العُمَرية ظهر لنا مقدار الخلل المنهجي الضارب في أعماق ذلك الخطاب، وبان لنا حجم الأزمة البحثية التي يعاني منها أصحابه، وانكشفت الممارسات المخالفة للأصول العلمية الصحيحة، وهو ما يستوجب على الباحثين الجادين في الفكر العربي أن يقوموا بعمليات نقدية كبيرة ليتخلصوا من الأضرار المعرفية التي أحدثها ذلك الخطاب في جسم الفكر العربي والإسلامي المعاصر.

(١) أخرجه: عبدالرزاق في المصنف: (١٥٢٩٥).
(٢) أخرجه: أحمد: (٣١٢١).
(٣) انظر القصة في: صحيح البخاري: (٩٥٦)، وصحيح مسلم: (٢٠٩٠).
(٤) انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الحجوي: (١/٢٥٣)، وتاريخ الفقه الإسلامي، إلياس درودور: (١/٣٨٩).

# مكتبة دار الزمان
## للنشر والتوزيع

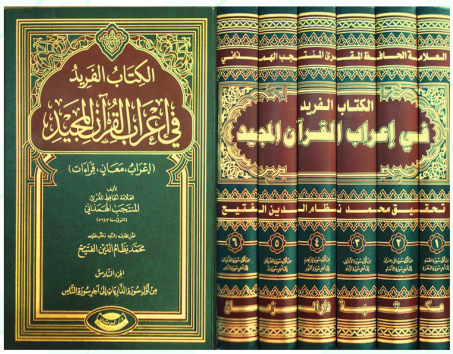

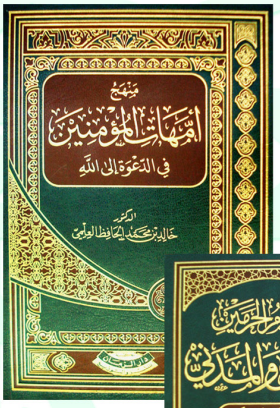

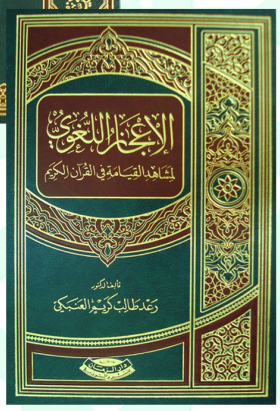


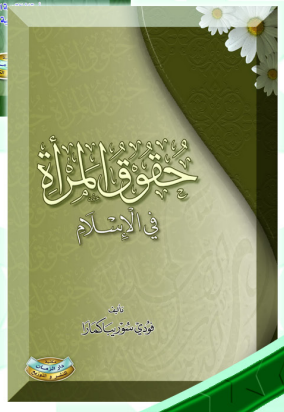


خدمة العلم
وطلابه ..
هدفنا

مكتبة
دار الزمان
للنشر و التوزيع


المدينة المنورة ؛ شارع الستين - ص. ب : ٩٠١ - جوال : ٥٠٣٣٠١٢٢٣ ٠٠٩٦٦ - هاتف : ٨٣٦٦٦٦٦ ٠٠٩٦٦ - فاكس : ٨٣٨٣٢٢٦ ٠٠٩٦٦
فرع شارع أبي ذر ؛ هاتف : ٨٣٦٢٩٩٣ ٠٠٩٦٦ - تليفاكس : ٨٣٤٤٩٤٦ ٠٠٩٦٦
موقعنا على الانترنت www.daralzaman.com البريد الإلكتروني zaman@daralzaman.com

# منهجُ القرآن العظيم

## التوطئةُ في الأُمُورِ العِظَامِ

د. توفيق علي زبادي

عادة الله - تعالى - في الأُمُور العِظَام تهيئة النفوس حالاً فحالاً إلى أن تألفَ الأمرَ وتقبله وتعمل به، وهذا أثر من آثار اسم (الرب) الذي يعني في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام[1].

وَطَّأَ الشيءَ: سَهَّلَه، وتقول: وطَّأْتُ لك الأَمْرَ إذا هَيَّأْتَه، ووَطَّأْتُ لك الفِراشَ ووَطَّأْتُ لك المَجْلِس تَوْطِئَةً، والوطيءُ من كلِّ شيءٍ ما سَهُلَ ولان، وفِراشٌ وطِيءٌ لا يُؤْذي جَنْبَ النائم والتَّوْطِئة: التَّمهيدُ والتَّذليلُ[2].

قال ابن القيم - رحمه الله -: (عَادَةُ الله - سُبْحَانَهُ - في الأُمُورِ العِظَام التي يَقْضِيهَا قَدَراً وَشَرْعاً: أَنْ يُوَطِّئَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا مُقَدِّمَاتٍ وَتَوْطِئَاتٍ تُؤْذِنُ بِهَا وَتَدُلُّ عَلَيْهَا)[3].

(١) المفردات: ١٨٤.
(٢) لسان العرب: ١/ ١٩٥.
(٣) زاد المعاد: ٣/ ٢٧٥.

### نماذج من هذه المنهجية:

**أولاً: قصة نسخ القِبْلة:**

لما كان نسخ القِبْلة شديداً على النفوس جداً انظر كيف وطَّأ - سبحانه - قبله مجموعة موطئات:

• منها ذِكْر النسخ: قال - تعالى -: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

• ومنها أنه يأتي بخير من المنسوخ أومثله: قال - تعالى -: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

• ومنها أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم: فعموم قدرته وعلمه صالح لهذا الأمر الثاني كما كان صالحاً للأول. قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [البقرة: ١٠٦]

• ومنها تحذيرهم من الاعتراض على رسوله كما اعترض مَن قَبْلَهم على موسى، بل أمرهم بالتسليم والانقياد: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨].

• ومنها تحذيرهم من الإصغاء إلى اليهود وأن تستخفهم شبهاتهم؛ فإنهم يودون أن يردوهم كفاراً من بعد ما تبين لهم الحق: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

• ومنها إخباره أن دخول الجنة ليس بالتهوُّد ولا بالتنصر؛ وإنما بإسلام الوجه والقصد والعمل والنية لله مع متابعة أمره: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١١ – ١١٢].

• ومنها إخباره – سبحانه – عن سعته وأنه حيث ولَّى المصلي وجهَه فثم وجهه – تعالى – فإنه واسع عليم؛ حيث ذكر الإحاطتين (الذاتية والعلمية) فلا يتوهمون أنهم في القبلة الأولى لم يكونوا مستقبلين وجهه – تبارك وتعالى – ولا في الثانية؛ بل حيثما توجهوا فثم وجه – تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

• ومنها أنه – سبحانه وتعالى – حذر نبيَّه ﷺ من اتِّباع أهواء الكفار من أهل الكتاب وغيرهم؛ بل أمر أن يتبع هو وأمته ما أوحى إليه؛ فيستقبلونه بقلوبهم وحده: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

• ومنها أنه ذكر عظمة بيته الحرام وعظمة بانيه وملَّته، وسفَّه من يرغب عنها، وأمر باتباعها فنوه بالبيت وبانيه وملَّته: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٤ – ١٢٥] حتى قوله – تعالى –: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وكل هذا توطئة بين يدي التحويل مع ما يتضمنه من المقاصد الجليلة والمطالب السَّنية، ثم ذكر فضل هذه الأمة وأنهم الأمة الوسط العدل الخيار فاقتضى ذلك أن يكون نبيهم ﷺ أوسط الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – وخيارهم، وكتابهم كذلك، ودينهم كذلك، وقبلتهم التي يستقبلونها كذلك[1].

## ثانياً: التوطئة لتمكين يوسف، عليه السلام:

قال – تعالى –: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾ [يوسف: ٤] يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل – عليهم الصلاة والسلام –: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فكانت هذه الرؤيا مقدِّمة لما وصل إليه يوسف – عليه السلام – من الارتفاع في الدنيا والآخرة.

وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأمور العظام قدَّم بين يديه مقدِّمة توطئة له وتسهيلاً لأمره، واستعداداً لما يَرِد على العبد من المشاق، لطفاً بعبده وإحساناً إليه؛ فأوَّلَها يعقوب بأن الشمس أمه، والقمر أبوه، والكواكب إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراماً وإعظاماً، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.

وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاً له فيها؛ ولهذا قال: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٥ – ٦][2].

وقد استنبط الشافعي – رحمه الله – من قصة يوسف – عليه السلام – سنَّة من سنن التمكين وهي سنة الابتلاء؛ فعندما سُئِل يوماً: أيها أفضل: الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي – رحمه الله –: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتُحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله – عز و جل – امتحن إبراهيم – عليه السلام – ثم مكنه، وامتحن موسى – عليه السلام – ثم مكنه، وامتحن أيوب – عليه السلام – ثم مكنه، وامتحن سليمان – عليه السلام – ثم مكنه وآتاه مُلكاً، والتمكين أفضل الدرجات. قال الله – عز وجل –: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٦]، وأيوب – عليه السلام – بعد المحنة العظيمة مُكِّن. قال الله – تعالى –: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٤][3].

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٦٣ – ١٦٤.

(٢) السعدي، ص٣٩٣.

(٣) إحياء علوم الدين: ١/ ٢٦.

## ثالثاً: قصة طالوت توطئة لغزوة بدر:

قال – تعالى –: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨ – ٢٥٢].

**في هذه القصة:**

• توطئة لغزوة بدر وتدريب لمن كُتب عليهم القتال وهو كره لهم، وتأديب وتهذيب.

• وإشارة عظيمة واضحة إلى خلافة الصديق – رضي الله تعالى عنه – بما دل عليه من أمر استخلافه في الإمامة في الصلاة التي هي خلاصة هذا الدين، كما أن ما في تابوت الشهادة كان خلاصة ذلك الدين، وتحذير لمن لعله يخالف فيها أو يقول: إنه ليس من بني هاشم ولا عبد مناف الذين هم بيت الإمامة والرئاسة ونحو ذلك مما حمى الله المؤمنين منه، كما ورد عن عَبْد اللَّه بْن زَمْعَةَ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِباً فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ! قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ – وَكَانَ عُمَرُ رَجُلاً مُجْهِراً – قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ». فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ[1].

(١) سنن أبي داود: استخلاف أبي بكر، (٤٦٦٢). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

## رابعاً: صلح الحديبية توطئة لفتح مكة:

قال ابن القيم – رحمه الله –: (بَعْض الْحِكَم الَّتِي تَضَمنَتْهَا هَذِهِ الْهُدْنَةُ وهِيَ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا إلا اللهُ الذي أَحْكَمَ أَسْبَابَهَا فَوَقَعَتْ الْغَايَةُ عَلَى الْوَجْهِ الذي اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ:

فَمِنْهَا: أَنهَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ الذي أَعَز اللهُ بِهِ رَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَدَخَلَ الناسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، فَكَانَتْ هَذِهِ الْهُدْنَةُ بَاباً لَهُ وَمِفْتَاحاً وَمُؤْذِناً بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَهَذِهِ عَادَةُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وتعالى – فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي يَقْضِيهَا قَدَراً وَشَرْعاً؛ أَنْ يُوَطِّئَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا مُقَدِّمَاتٍ وَتَوْطِئَاتٍ تُؤْذِنُ بِهَا وَتَدُلُّ عَلَيْهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذِهِ الْهُدْنَةَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ؛ فَإِن الناسَ أَمِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْكُفَّارِ وَبَادَؤُوهُمْ بِالدَّعْوَةِ وَأَسْمَعُوهُمُ الْقُرْآنَ وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ جَهْرَةً آمِنِينَ، وَظَهَرَ مَنْ كَانَ مُخْتَفِياً بِالْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِيهِ فِي مُدَةِ الْهُدْنَةِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْخُلَ؛ وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللهُ (فَتْحاً مُبِيناً). قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: قَضَيْنَا لَكَ قَضَاءً عَظِيماً. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مَا قَضَى اللهُ لَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ. وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْفَتْحَ فِي اللغَةِ فَتْحُ الْمُغْلَقِ، وَالصلْحُ الذي حَصَلَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْحُدَيْبِيَةِ كَانَ مَسْدُوداً مُغْلَقاً حَتى فَتَحَهُ اللهُ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ فَتْحِهِ صَدُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ الْبَيْتِ وَكَانَ فِي الصورَةِ الظاهِرَةِ ضَيْماً وَهَضْماً لِلْمُسْلِمِينَ وَفِي الْبَاطِنِ عِزّاً وَفَتْحاً وَنَصْراً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالْعِزِ وَالنصْرِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ، وَكَانَ يُعْطِي الْمُشْرِكِينَ كُل ما سَأَلُوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم وهو ﷺ يَعْلَمُ مَا فِي ضِمْنِ هَذَا الْمَكْرُوهِ مِنْ مَحْبُوبٍ ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَرُبمَا كَانَ مَكْرُوهُ النفُوسِ إِلَى مَحْبُوبِهَا سَبَباً مَا مِثْلُهُ سَبَبٌ. فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى تِلْكَ الشرُوطِ دُخُولَ وَاثِقٍ بِنَصْرِ اللهِ لَهُ وَتَأْيِيدِهِ وَأَن الْعَاقِبَةَ لَهُ وَأَن تِلْكَ الشرُوطَ وَاحْتِمَالَهَا هُوَ عَيْنُ النصْرَةِ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْجُنْدِ الذي أَقَامَهُ الْمُشْتَرِطُونَ وَنَصَبُوهُ لِحَرْبِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَذَلُّوا مِنْ حَيْثُ طَلَبُوا الْعِز، وَقُهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَظْهَرُوا الْقُدْرَةَ وَالْفَخْرَ وَالْغَلَبَةَ وَعَزَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ انْكَسَرُوا لله، وَاحْتَمَلُوا الضيْمَ لَهُ وَفِيهِ؛ فَدَارَ الدوْرُ وَانْعَكَسَ الْأَمْرُ وَانْقَلَبَ الْعِز بِالْبَاطِلِ ذُلاً بِحَق، وَانْقَلَبَتْ الْكَسْرَةُ لله عِزاً بِالله، وَظَهَرَتْ حِكْمَةُ اللهِ وَآيَاتُهُ وَتَصْدِيقُ وَعْدِهِ وَنُصْرَةُ رَسُولِهِ عَلَى أَتَم الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا الَّتِي لَا اقْتِرَاحَ لِلْعُقُولِ وَرَاءَهَا)[2].

(٢) زاد المعاد: ٣/ ٢٧٥.

**خامساً: التوطئة لبعثة الرسول ﷺ:**

لقد وَطَّأ لبعثة الرسول ﷺ بمجموعة موطئات:

• فأول من نَوَّه بذكره وشهره في الناس، إبراهيم – عليه السلام – ولم يزل ذكره في الناس مذكوراً مشهوراً سائراً كما ورد في حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا كَانَ بُدُوُّ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ...».

• أفصحَ باسمه خاتمُ أنبياء بني إسرائيل نسباً، وهو عيسى ابن مريم – عليه السلام – كما قال ﷺ «... وَبُشْرَى عِيسَى بن مَرْيَمَ»؛ حيث قام في بني إسرائيل خطيباً، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

• وكذلك قوله: «وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»[١]، قيل: كان مناماً رأته حين حملت به، وقَصَّته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة، لبعثته ﷺ[٢].

• ومن تلك الموطئات: حادثة الفيل التي كانت تمهيداً لمبعثه ﷺ. قال ابن كثير – رحمه الله – وهو يتحدث عن حادثة الفيل: «كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث النبي ﷺ؛ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم – يا معشر قريش – على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرِّفه ونعظِّمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء»[٣].

## المستفاد من هذه المنهجية:

١ – على المفتي أن يذكر بين يدي الحكم الغريب الذي لم يُؤَلَف مقدمات تؤنس به وتدل عليه، وتكون توطئة بين يديه.

٢ – على المربين والدعاة والمصلحين تهيئة النفوس لقبول الإرشاد والوصول إلى الكمال الإنساني في العمل بالأحكام الشرعية. قال الشوكاني – رحمه الله –: «لا تأتِ الناس بغتة وتصكَّ وجوههم مفاجئة ومجاهرة وتنعى عليهم ما هم فيه نعياً صراحاً وتطلب منهم مفارقة ما أَلِفُوه طلباً مضيفاً وتقتضيه اقتضاء حثيثاً؛ بل أسلك معهم مسالك المتبصرين في جذب القلوب إلى ما يطلبه الله من عباده ورغِّبهم في ثواب المنقادين إلى الشرع المؤثرين للدليل على الرأي وللحق على الباطل»[٤].

٣ – على أُولِي العلم وأهل الفكر استنباط السنن الكونية والاجتماعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ كما استنبط الشافعي سُنة الابتلاء توطئة للتمكين لأهل الحق والرشاد.

(١) المسند: ٥/ ٢٦٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٤٤٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤٨ – ٥٤٩.
(٤) أدب الطلب: ١/ ٤٤.

# استثمار تربوي لعلم (مصطلح الحديث)

طـــارق زوكـــاغ

إن جمالية العلوم الإسلامية تَتَمَثَّلُ في كونها علوماً شاملة ومتكاملة؛ أي أننا نَجِـدُ فيها المجال التخصصي الدقيق الذي يضبـط جوانب العلم من خلال اهتمامه بالقواعد والشـروط والأركان، ونَجِـدُ فيها المجال الأخلاقي الرقيق المُتَعَلِّق بالجانب التَّرْبَوي الذي يَسْـتَفِيدُ منه الإنسان في حياته العامة. وهكذا ينتفع منها كل من احتك بها؛ ولو على مسـتوى المداخل العامة دون الدخول في دقائقها وجزئياتها. وأحسـب أن هذا من بين الأسباب التي دفعت علماء العصر إلى كتابة رسائل مُيَسَّرة في كل فَنٍّ من الفنون الشرعية كالشيخ ابن عثيمين في سلسلة كتبه الميسَّـرة (مصطلح الحديث، شرح المنظومة البيقونية، الأصول من علم الأصول، مقدمة في أصول التفسير...).

والسِّرُّ في شـمولية العلوم الإسلامية يتمثل في كونها خادمة للوحي الإلهي الذي من بين أهم خصائصه الشُّـمول لكل مجالات الحياة، ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة للإطلاع - على الأقل - على أبجديات هذه العلوم؛ لأنها تُمَثِّلُ جوهر شـخصية المسلم وثقافته التي يتميز بها عن غيره، وبِخُصُوص هذا الموضوع سَنَتَطَرَّقُ لبعض الإشارات التربوية التي نستفيدها من اطلاعنا على أبجديات علم (مصطلح الحديث)؛ هذا الفن الذي أَنْضَجَهُ علماؤنا حتى أصبحت مناهجه في قمة الإتقان وغاية الإبداع.

## أهمية موضوع علم (مصطلح الحديث):

انطلق المحدِّثون في رسـم أصولهم المنهجيـة المُحْكَمَة لضبـط الأخبار النبوية من الإشـارات الموجودة في نصوص (القرآن والسُّنة) كقوله - تعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [**الحجرات**: ٦]، وفي قراءة ﴿**تثبتوا**﴾[1].

وقول الرسـول ﷺ: «من حدَّث عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[2]. وقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِـي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[3].

وإذا كان هذا الفن قد استطاع أن يُحَقِّقَ مَقْصِدَهُ الأصلي المُتَمَثِّـل في حِفْظِ صِحَّةِ الأخبار النبوية، فإننا محتاجون إليه في مجال الأخبـار التي نتداولها في ما بيننـا؛ نظراً للثورة التواصلية التي يشـهدها العالم؛ حيث يَسْـتَقْبِلُ المسلم وابلاً من الأخبـار التي يُمْكِنُ أن يُسْـفِرَ عنهـا مجموعة أمراض وآفات تَضُرُّ بالنَّسيج الاجتماعي للأمة؛ مثل (انتشار الكذب،

(١) كلتا القراءتين صحيحة متواترة عن النبي ﷺ: قراءة (فَتَبَيَّنُوا) لنافع وابن كثير وأبي عمر وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب الحضرمي، وقراءة (فتثبتوا) لحمزة والكسائي وخلف العاشر.

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب (فضل نشر العلم)، حديث رقم: ٣٦٦٠.

والخرافة، وقَبُول الإشاعات والافتراءات، وتصديق الكاذب أو تكذيب الصادق، وتخوين الأمين).

إذن، حَرِيٌّ بنا أن نستفيد من منهج أهل صناعة الحديث في تمحيص ونقد الأخبار المتداولة حتى لا نقع في مفاسدها، ولا أقصد في هذا المقام الأخبار العلمية الدقيقة؛ لأن التعامل معها يُمكن أن يُسَمَّى دَرْساً علمياً؛ ولكن أقصد الأخبار التي تجري في العادة على أَلْسُنِ الناس أثناء تواصلهم.

وعند النظر في تعريف (مصطلح الحديث) الذي هو: (علم يُعْرَفُ به حال الراوي والمروي من حيث القبولُ والردُ)[1]، نَجِدُ أنه يَنْهَجُ مَسْلَكَيْنِ اثنين للتَّثَبُّتِ من الأخبار، هما: (التَّحَقُّقُ من سند الخَبَرِ، والنَّظَر في مَتْنِه)، ونحن في هذا المقام سَنَتَعَرَّفُ على بعض معالم هذين المسلكين والقواعد المنهجية المستخدَمة فيهما؛ بالشكل الذي يجعلنا نستفيد منهما في مجال الأخبار التي نتواصل بها في حياتنا العامة.

## أولاً: منهج النظر في إسناد الخبر:

يُقْصَدُ بالإسناد (رواة الحديث الذين نقلوه إلينا)، ومن أصوله المنهجية العامة التي لولاها لقال من شاء ما شاء[2] ما يلي:

**النظر في مصداقية ناقل الخبر:** بِمِقْدَارِ صِدْقِ الشخص المُخْبِر يُصَدَّقُ الخَبَر، والمعيار الذي وضعه أهل الصناعة لتحديد مصداقية ناقل الخبر هو النظر في مدى استفاضة سُمْعَتِه من حيث (العدالةُ والضبطُ):

- أما العدالة: فهي استقامة دين وأخلاق راوي الخبر.
- وأما الضبط: فهو أن يؤدي ما تَحَمَّلَهُ من مَسْمُوعٍ أو مرئي من غير زيادة ولا نقص، لكن لا يضر الخطأ اليسير؛ لأنه لا يسلم منه أحد[3].

أما إذا اختل هذان الشرطان (العدالة والضبط) في ناقل الخبر، أو لم نستطع تحديدهما فيه؛ لكونه مجهولاً عندنا أو أن حاله مستور عنا؛ فإنه لا ينبغي أن نصدق قوله إن كان خبراً أو نطبقه إن كان طلباً.

**النظر في صيغة نقل الخبر:** وتُعرَف عند علماء الحديث بـ (طرق التحمُّل والأداء)، والمقصود منها أن نلمس من تلك الصيغة احتمال سَمَاعِ أو رؤية الحَدَثِ المُخْبَرِ به، وأعلا تلك الصيغ مرتبةً هي: أن يُنْقَلَ الخبر بلفظ: (سمعت أو حدثني)، وأدناها صيغ: (قال، روى، ذكر)[4].

والأمر الذي يجب الحذر منه هو ما يُعرَف بـ (التدليس)؛ أي أن يروِيَ المُخْبِرُ عمَّن لَقِيَهُ ما لم يسمعه من قوله أو لم يرَه من فعله؛ بلفظ يوهم أنه سمعه أو أنه رآه، مثل: (قال، أو فعل، أو عن فلان، أو فلان قال، أو فعل... ونحو ذلك)[5]، وخَبَرُ الشخص المعروف بالتدليس غير مقبول؛ إلا أن يكون ثِقَةً ويُصرِّح بأخذه مباشرة عمَّن روى عنه، فيقول: سمعت فلاناً يقول[6].

**النظر في اتصال سند الخبر:** السَّنَدُ المُتَّصِلُ أو الموصول هو الذي يَلْتَقِي فيه كل رَاوٍ بمن روى عنه[7]. فإذا انقطع اتصال إسناد الخبر؛ كأن يروي أحد خبراً عن شخص لم يثبت بينهما ملاقاة في مكان، فإن هذا الخبر يبقى مَحَلَّ نظر، ولا يرتقي إلى مرتبة القبول.

ومن النكات الدقيقة المتعلقة بالإسناد المُتَّصِلِ ما اصْطُلِحَ على تسميته بـ (الحديث المُسَلْسَل)؛ وهو الذي يَصِفُ فيه راوي الخبر صيغة أداء أو حال الراوي أو غير ذلك[8]؛ مما يُدَلِّلُ على قوة ضبط الراوي وتَعَلُّقِه بالخبر أو الشخص المُخْبِر؛ حتى إنه يُقَلِّدُه في طريقة أداء الخبر قولاً أو فعلاً.

**النظر في طُرُقِ نقل الخبر:** المقصود بالطريق عند المحدِّثين هو عدد رواة الحديث؛ فإذا روى الخبر رَاوٍ واحد فإنه يُوصف بكونه غريباً، وإذا رواه اثنان سمي عزيزاً، وإن رواه ثلاثة رُواة فأكثر يسمى الخبر مشهوراً. وهذا أمر مهم في مجال تناقُل الأخبار، والأهم منه بالنسبة لنا هو تفريق علماء (المصطلح) بين (الخبر المشهور) وبين (الخبر المشتهر) على ألسن الناس من الأحاديث، فقد يكون هذا الأخير من الأخبار التي لا أصل لها؛ أي لا يُعْرَفُ من رواها، ومثاله مما هو مُشْتَهِرٌ على الألسن ولم يقله الرسول ﷺ حديث (خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد) وهو حديث لا أصل له، وحديث

---

(١) يُنظر (مصطلح الحديث) للشيخ ابن عثيمين، ص: ١١.

(٢) قال ابن المبارك: «لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» (يُنظر مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي).

(٣) يُنظر (مصطلح الحديث) للشيخ ابن عثيمين، ص: ١٧.

(٤) ينظر «نزهة النظر» لابن حجر، (الباب الخامس: صيغ أداء الحديث، ص: ١٠٧).

(٥) يُنظر (مصطلح الحديث) للشيخ ابن عثيمين، ص: ١٩.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٢٠.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٦.

(٨) مثاله: حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ! إني أحبك...» الحديث، فإن كل من حدَّث بهذا الحديث قال لمن رواه عنه: «وأنا أحبك»، ومثاله أيضاً في قصة الرجل المجامع في نهار رمضان الذي قال بعد أن أتته الصدقة: «يا رسول الله! أَعَلَى أفقرَ مني؟ فوالله ما بين لا بتيها أهل بيت أفقر مني»، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، فصار كل محدِّث يضحك إذا وصل إلى هذه الجملة، حتى تبدو نواجذه، فنُسمِّي هذا أيضاً مسلسلاً؛ لأن الرواة اتفقوا فيه على حال واحدة وهي الضحك. (يُنظر شرح المنظومة البيقونية للشيخ ابن عثيمين).

(حب الوطن من الإيمان) وهو حديث موضوع مكذوب، وأيضاً حديث (يوم صومكم يوم نحركم) وهو لا أصل له، وغيرها كثير، وهو ما دفع بالعلماء إلى جمع الأحاديث المشتهرة على الألسن في كتب مستقلة[1].

لأجل هذا كُلِّه يَنْبَغِي علينا عدم الاغترار بما هو شائع بين الناس من أحاديث، والمطالبة بمعرفة رواتها قبل أن نحكم على هذا النوع من الأخبار بالقَبول أو الرَّد.

## ثانياً: منهج دراسة مَتْنِ الخبر:

المَتْنُ: (هو الكلام الذي ينتهي إليه الإسناد)؛ وما وقع البحث في السَّنَدِ إلاَّ لأَجْلِ التَّحَقُّقِ من صِحَّةِ نِسْبَةِ المَتْنِ لقائله، ولم تقف جُهود المُحَدِّثِينَ عند غربلة الأسانيد فقط؛ وإنما امتدت لتشمل المتون. بل دراسةُ المتون ونقدها هي أعلى درجات التعامل مع الحديث، حتى شاع عندهم أنه لا يلزم من صحة السند سلامة المتن[2]. ونحن في هاته النُّبْذَة سَنَتَعَرَّفُ على بعض القواعد الأساسية التي ينبغي الانتباه إليها أثناء التعامل مع مضامين متون الأخبار.

**أولاً: الانتباه لسبب ورود الخبر:** سبب الورود هو الحادثة أو القصة التي ذُكِرَ بِسَبَبِهَا الخبر، وَقَدْ أَكَّدَ العلماء كثيراً على ضرورة معرفته والعلم به[3]، وفائدة معرفة سبب الورود تتمثل في كونه يجعلنا نُحَدِّدُ المُرَاد من الخبر بدقة من غير أن نُخضع كلماته المُجْمَلَةِ أو المُطْلَقَةِ للتأويلات الشخصية؛ بسبب فَصْلِ الخَبَرِ عن سِيَاقِهِ الذي قِيلَ فيه.

**ثانياً: الانتباه لرواية الخبر بالمعنى:** الأصل في الأخبار أن تُروى بألفاظها؛ إلا أن قلة الضَّبْطِ تجعل ناقل الخبر يلجأ إلى الرواية بالمعنى؛ أي أنه ينقل الحديث بلفظ غير لفظ المروي عنه، وهذا ما قد يجعل الخبر يخضع لفهم ناقله؛ لذا يُشترط في من يَنْقُلُ الحديث بالمعنى مجموعة شُروط، منها: أن يكون معروفاً بالفهم الجيد للغة المخاطب، وأن يأتي بما يُشْعِرُ أنه يروي الخبر بالمعنى؛ كأن يقول عَقِبه: أو نحوه، أو كما قال.

**ثالثاً: الانتباه للإدراج في متن الخبر:** المقصود بالخبر المُدْرَج: أن يَتَّصِلَ كلام ناقل الخبر بالمتن، فيُدخِل فيه دون بيان. قال البيقوني في منظومته:

والمُدْرَجَاتُ في الحديثِ ما أتَتْ
مِن بعضِ ألفاظِ الرُّوَاةِ اتَّصلَتْ

لذلك ينبغي أن نَتَحَقَّقَ من سلامة المتن من الإدراج حتى نُمَيِّزَ ونَفْرِزَ كلام متن الخبر عن كلام ناقله.

**الانتباه للشاهد:** إذا رُوِيَ مَتْنٌ يشترك مع متن آخر في المعنى فقط دون الألفاظ فإنه يُسَمَّى الشَّاهِد، والبحث عنه يُسمى بـ (عملية الاعتبار)، وهي عملية مفيدة جداً؛ لأن تَجْمِيعَ مُتُون الأخبار المتشابهة وتَتَبُّعَهَا واستقراءها يجعلنا نفهم الخبر بشكل موضوعي دون الوقوع في الوهم، أو إطلاق حكم كلِّي استناداً على واقعة جزئية واحدة.

**رابعاً: الانتباه للتصحيف والتحريف:** التصحيف والتحريف هما: (تغيير حرف أو حروف في الكلمة مع بقاء الخط في السياق؛ فإذا كان ذلك بالنسبة للنقط فإنه فيسمى تصحيفاً، وإذا كان بالنسبة إلى الشكل فيُسمَّى تحريفاً)[4]، ومن المعلوم أن تغيُّر مباني الكلمات يَنْتُجُ عنه تغيُّر معانيها، وبما أنه لم يسلم أحد من هذين الأمرين[5] فقد كان لزاماً على السامع منَّا الانتباه لأحرف الكلمات وحركات الحروف، والتأكد منها حتى لا نُغَيِّرَ المعنى المقصود منها في الخبر.

## خاتمة:

أخيراً أقول: ليست المُشَاحَّةُ هي المقصودة من الدعوة للاستفادة من منهج المحدثين في التعامل مع الأخبار؛ وإنما القصد هو تكوين الشخصية الفطِنَةُ العلمية المستقلة في رأيها؛ التي تستطيع أن تُمَيِّزَ الصالح من الطالح من حديث الناس، والأهم من ذلك أن هذا المنهج يُحَقِّقُ لنا الوقاية من الوقوع في كثير من المحذورات الشرعية مثل قوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقول الرسول ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع»[6]، وقوله ﷺ: «وهل يكُبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[7].

---

(١) مثل: «المقاصد الحسنة في ما اشتهر على الألسنة» للسخاوي، و «تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث» لابن الديبغ الشيباني الشافعي.

(٢) ينظر «مقدمة ابن الصلاح» بتحقيق نور الدين عتر، (ص: ١٣ – ١٤).

(٣) قال ابن حجر في (نزهة النظر): «من المهم معرفة سبب الحديث»، ص: ١٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١٨.

(٥) «قال الإمام أحمد: ومن منا لم يسلم من الخطأ والتصحيف»، ينظر (مقدمة ابن الصلاح)، ص: ٢٧٩. ومثال التصحيف والتحريف الذي وقع في بعض الأحاديث النبوية الشريفة قول الرسول ﷺ: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال»، رُوِيَ (شَيْئاً)، وقوله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يَزِنُ ذَرَّةً»، رُوي (ذُرَة) بالضَّم والتخفيف، وهو تصحيف. (يُنظر مقدمة ابن الصلاح، ص: ٢٧٩ وما بعدها).

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

## من نحن؟

مركـز متخصص لدراسة القضايا
والمستجـدات الفكرية والسياسية والاستراتيجية
التي تهم العالم الإسلامي بإشراف هيئة مكـــونة من
عدد من العلـماء والدعاة والخبـراء.

## من أهداف المركز:

١. تأصيل الرؤى الإسلامية المعاصرة في القضايا الشرعية والفكرية والسياسية وقضايا العمل الإسلامي.

٢. تزويد العلماء والـدعاة بدراسات ورؤى مستقبـلية تساعد في اتخـاذ القرار المناسـب، وتضع بين أيديهـم خيارات أوسـع في التحـــرك من أجل خدمة الدعوة الإسلامية.

٣. رصد ما ينشر من المخططات التي لها تعلق بالمسلمين، وتقديم رؤية استراتيجية لكيفية مواجهتها.

٤. استشراف مستقبل العمل الإسلامي، وتقديم رؤى إسلامية للقضايا الاستراتيجية المتعلقة به.

٥. تشجيع البحث العلمي والتواصل مع الباحثين والعلماء في ما يخدم الدعوة وقضايا العمل الإسلامي.

**يسرنا استقبال الرسائل العلمية في القضايا الفكرية والدعوية على البريد:**

buhooth@albayan.co.uk

مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان

للتواصل معنا: الرياض- مجلة البيان- مركز البحوث والدراسات، هاتف: ٠١٤٥٤٦٨٦٨ ، تحويلة ٧٥٥
ص.ب: ٢٦٩٧٠ الرمز البريدي: ١١٤٩٦ ، بريد إلكتروني: buhooth@albayan.co.uk

# وانفصل الجنوب

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

انفصل جنوب السودان عن شماله وتحقق للإنجليز ثم لخلفائهم الأمريكان وأنصارهم وأذنابهم ما أرادوا. كان الإنجليز حريصين (منذ أن وطئت أقدامهم أرض السودان غُزاةً مستعمرين) على أن لا يتأثر جنوب السودان بثقافة شماله العربية الإسلامية، لكنهم كانوا مع ذلك حريصين على أن يبقى جزءاً من السودان ما دام ذلك خادماً لمصالحهم الإستراتيجية. لذلك جعلوا الجنوب إقليماً شبه مستقل عن الشمال، لا يستطيع جنوبي أن يتخطى حدوده إلى الشمال ولا شمالي أن يتخطى حدود الشمال إلى الجنوب إلا بإذن يشبه التأشيرة. ثم إنهم اجتهدوا في أن يرسموا للشماليِّين في مناهجهم التعليمية صورة منفرة، صورة العربي الذي يخطف الأفارقة ويبيعهم ويسترقُّهم، بل وصل الأمر إلى حد المبالغة حين عوقب أحد الخياطين لصنعه ثوباً عربياً لأحد الجنوبيين كما تحكي كتب التاريخ. لكنهم في المقابل شجعوا جماعاتهم الدينية بكل أطيافها لتجتهد في تنصير الجنوبيين، وجعلوا التنصر سبيلاً للدراسة الثانوية والجامعية وما فوقها، فكان أن تنصر كثير من أبناء الجنوبيين بمن فيهم المسلمون بغية الحصول على فرصة للتعليم، فصرتَ تسمع أسماء مثل جون إبراهيم، وتيريزا إدريس مثلاً. ثم كانت نتيجة ذلك أن أصبحت الفئةَ المتعلمةَ المثقفةَ ومن ثَمَّ القائدة هي فئة المتنصرين، مع أن النصارى ما يزالون رغم كل تلك الجهود أقلية، بل يقال: إن عددهم ما يزال أقل من عدد المسلمين في الجنوب. ولكن وسائل الإعلام الغربية، ومقلديها في وسائل الإعلام الأخرى حتى العربية والإسلامية، كثيراً ما تذكر الأمر بطريقة مضلِّلة توحي بأن الجنوب إقليم نصراني. إنها توحي بذلك إذ تقول دائماً حين تتحدث عن الجنوب: الجنوب الذى أغلبيته من غير المسلمين، وهو كلام صحيح، لكن الصحيح أيضاً أن أغلبيته من غير النصارى.

وإذا كان الإنجليز قد تحمَّلوا ذلك الوِزْر فإننا في الشمال نتحمل جزءاً منه أيضاً؛ وذلك لأننا لم نفعل كلَّ ما في وسعنا بعد استقلال السودان في دعوة الجنوبيين إلى الإسلام، لم نبذل هذا الجهد حتى مع الذين كانوا معنا في الشمال وفي المدارس والجامعات؛ حتى إن أحد زملائنا الفضلاء من أساتذة جامعة الخرطوم قال لي: إن زميلاً جنوبياً بالجامعة قال له بعد حديث دار بينهما: أتدري يا فلان أن هذه أول مرة يدعوني فيها أحد إلى الإسلام؟ أقول لم نفعل كلَّ ما في وسعنا ولا أقول: إننا لم نفعل شيئاً؛ فقد كان هنالك دعاةً وهبوا أنفسهم للتبشير بالإسلام في البيئات الجنوبية كان من أشهرهم الشيخ محمد الأمين القرشي. وكانت هنالك منظمات أَبْلَت بلاءً حسناً في هذا السبيل، مثل منظمة الدعوة الإسلامية التي كان على رأسها أخونا الفاضل (مبارك قسم الله) عليه رحمة الله. أقول: إنه بالرغم من تقصيرنا فإن الكثيرين من الجنوبيين تأثروا تأثيراً كبيراً بالثقافة العربية؛ فصاروا يتكلمون العربية ويقرؤونها، بل صار بعضهم يكتب بها، كما أن كثيرين منهم دخلوا في دين الله تعالى. ومع أن ما يسمى بالحركة الشعبية التي تحكم الجنوب الآن ستحرص على إحلال الإنجليزية محل العربية فإن ذلك سيكون أمراً عسيراً إنْ لم يكن متعذراً؛ لأن العربية صارت الآن هي اللغة المشتركة بين كل الجنوبيين من العوام والمثقفين.

وإذا كنا قد قصَّرنا في دعوة الجنوبيين إلى الإسلام، فإن بعضنا قد ذهب إلى أكثر من هذا فاتخذهم ذريعة

إلى تحقيق مآربه العَلمانية. لقد كان الحزب الشيوعي السوداني أول من أشاع (بعد الاستقلال) فكرة أن للجنوبيين ثقافةً غير ثقافة الشمال، وشايعهم في هذا غيرهم من رجال الأحزاب العَلمانيين متعللين بوجود الجنوبيين في معارضتهم لفكرة الدستور الإسلامي.

وكان الموقف الغربي قد اضطرب بعض الشيء في موقفه من الانفصال؛ فقد كان بعضهم يرى أن الجنوبيين يتزايدون بمعدلات أكبر من الشماليين (وهي حقيقة)، وأنهم يوشكون أن يكونوا أغلبية في أقل من ثلاثين عاماً؛ فلماذا لا نصبر حتى يكون السودان كله حينئذٍ دولة إفريقية ذات أقلية إسلامية؟

فما الذي جعلهم الآن يغيِّرون رأيهم؟ يرى بعض المحللين أنهم يريدون الآن أن يصطادوا عصفورين بحجر واحد: يريدون للجنوب أن ينفصل، لكنهم يريدون للجنوبيين الذين يسكنون الشمال أن يبقوا فيه. فيكون الشمال قد خسر الأرض والبترول، لكنه يتحمل عبء البشر؛ أكلَهم وشربَهم وتعليمَهم وحريَّتهم الدينية، وأكثر من ذلك إمكانية اتخاذهم ذريعة لرفض أي حكم إسلامي. ليس هذا فحسب، بل إن هنالك أصواتاً شمالية وجنوبية تنادي بما يسمى بالجنسية المزدوجة للجنوبيين، وبما أسموه بالحريات الأربع: حريات التملُّك والتنقل والعمل والإقامة.

من الآثار الضارة للانفصال إلى جانب ما أشرنا إليه: أن البترول الذي كان السودان يعتمد عليه في نموِّه في السنوات الأخيرة سيكون معظمه من حظ دولة الجنوب الجديدة. يقول بعض المختصين: نعم؛ لكن مخزون الشمال من البترول هو أكبر من مخزون الجنوب. ويقال لهم: إنه حتى لو كان الأمر كذلك فإن استخراج هذا المخزون ربما استغرق مدة من الزمن، وأن السودان الموحد كان سيكون أغنى بإضافة الجديد من المكتشفات البترولية إلى القديم.

وهنالك مشكلة مياه النيل التي ستكون قسمتها الجديدة ضارة بمصر أكثر من ضررها بالسودان.

ما الذي سيحدث لإخواننا المسلمين الجنوبيين؟ إنهم يخشون أن يجدوا أنفسهم في دولة عَلمانية معادية للإسلام تضيِّق عليهم وإن كانت لا تستطيع أن تمنعهم من ممارسة دينهم؛ ولذلك فإنهم - خوفاً من هذا المصير - صوتوا لانفصال لا يريدونه، لكنهم خشوا من أن يُعتبَروا بمثابة المعادين أو الخائنين لدولة الجنوب الجديدة.

إن دولة الجنوب الجديدة لن تكون إذن دولة عَلمانية لا شأن لها بالدين سلباً أو إيجاباً؛ لكنها ستكون دولة معادية للدين الإسلامي في سياساتها الداخلية والخارجية؛ فقد أعلن بعضهم أنهم سيعترفون بإسرائيل، وبمحكمة الجنايات التي تطالب بتوقيف الرئيس عمر البشير، وأنهم - كيداً في إخوانهم السُّنيين - سيفتحون الباب للدعوة الشيعية.

ولن يقف الأمر عند هذا الحد فإنهم والأمريكيين يصرِّحون الآن بأنهم سيهدفون إلى إحداث تغيير جذري في بِنيَة الدولة الشمالية؛ يعنون تغييراً في توجهها الإسلامي.

إذا كان الأمريكيون قد خططوا لفصل الجنوب عن الشمال بهدف تغيير جذري في بِنية الدولة الشمالية، فإنهم لم يقفوا عند حد التخطيط؛ بل أتْبَعوا ذلك بمساعدات هائلة قدَّموها للجنوبيين جعلت منهم قوة عسكرية تضاهي القوات السودانية المسلَّحة أو تزيد عليها. وهذا هو الذي أطال أمد الحرب وضاعف تكاليفها المالية والبشرية.

إن انفصال الجنوب من أقوى الشواهد على أضرار حال التمزق الذي تعيشه الأمة العربية؛ ذلك لو أنها كانت أمة واحدة، بل لو كان بينها من الائتلاف ما بين الدول الأوروبية لما جَرُؤ أحد على اقتطاع جزء منها.

تلك مضار الانفصال؛ فهل له من منافع؟

أول منافعه التي يعترف بها بعض إخواننا السودانيين المحللين - بغضِّ النظر عن رأيهم في الانفصال -: أن السودان سيكون بعده أكثر انسجاماً؛ إذ إن نسبة المنتسبين إلى الإسلام فيه ستقارب ثمانية وتسعين بالمئة. وبهذا ستنهار كل الذرائع التي كان يتعلل بها العَلمانيون وأشباههم في رفضهم للدولة الإسلامية.

إن السودان ما كان يمكن أن يكون دولة إسلامية مع اتحاد بين شماله وجنوبه. كيف يكون كذلك مع وجود أناس غير مسلمين في المناصب التشريعية والقضائية والتنفيذية كما هو الحال الآن؟ وإذا لم يَجُزْ التخلي عن الأرض كما يقول بعض إخواننا ولا سيما مَنْ هم خارج السودان؛ فهل يجوز شراء الأرض بالدين؟

# التسامح الفقهي

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com

تمتاز الحوارات الشرعية والفكرية على شبكات الإنترنت بأن المتابع لها يستطيع أن يعرف الحقَّ بكافة أطرافه؛ خاصة حين يكون الحوار جاداً ومن شخصيات تملك قدراً جيداً من العلم بالموضوع، فإن القراءة لعدد من المتحاورين تجعل القارئ يتمكن من معرفة أطراف الموضوع ولو كان خليَّ الذهن منه قبل ذلك، كما يستطيع أن يعرف كافة النصوص والسنن والقواعد في مادَّة النقاش بما يضيء له الطريق الصحيح، فهذه قاعدة منهجية من الرائع حقاً أن يضعها العاقل نصب عينيه.

ومن خلال هذه القاعدة المنهجية يدرك المتابع قضية «تداخل الموضوعات» و «اختلاط الملفَّات» في كثير من القضايا التي يجري فيها الحوار؛ فبعض المتحاورين لا يستحضر جوانب أخرى من الموضوع يكون غافلاً عنها فيضع كلَّ براهينه واعتراضاته على اعتبار أن الموضوع يتجه في مسار واحد، بينما حقيقة الأمر أنه ثَمَّة مسارات عدة، وملفَّات مختلفة، فتمييز هذه الملفات وإبراز محتوياتها نافعٌ جداً في استيعاب مادة الحوار.

أكتبُ هذا كلَّه لأجل موضوع «التسامح الفقهي»، فهو من الموضوعات التي يتتابع الحوار والجدل فيها؛ فتتبُّع كلام جميع الأطراف مهم لمعرفة الحق كاملاً، وحين تختلط فيه الموضوعات فمن الضروري أن تُفرَد الموضوعات وتفصَّل لتتضح الصورة كاملة.

**ومن خلال متابعة مثل هذه الحوارات يمكن لي أن أفصِّلها إلى الملفَّات التالية:**

**الملف الأول: أخلاقيات وآداب الحوار:** كالأدب مع المخالف وتجنُّب الإساءة اللفظية الموجَّهة إليه، والعدل في أي أحكام يصدرها الشخص ضد أي أحد، وترك التنقيب عن الخفايا والمقاصد التي لا يعلمها إلا الله، وغير ذلك مما يدخل كلُّه في قيمة «الخُلُق» الذي أعلت الشريعة مقامه لمرتبة الأصول الكليَّة التي يجب التواصي بها والصبر عليها، وهي وصية الله لعباده ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] وهو خُلُق محمد ﷺ فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا بذيئاً ولا طعَّاناً ولا لعَّاناً، ولطالما انتُهكَت ساحة هذا الخلق العظيم وحصل فيها من التجاوزات ما يصل كثير منه إلى المنكرات التي يجب الاحتساب عليها، وقد تقع هذه الإساءات في قضايا فقهية اجتهادية قابلة للنظر والخلاف، وهذا يتطلَّب ضرورة أن يمرِّن الإنسان نفسه ويعوِّدها ويأطُرَها على ضبط النفس وكظم الغيظ والصبر والحلم.

هذه الأخلاقيات ملفٌّ يجب أن ينفكَّ عن موضوع الصواب والخطأ في البحث الفقهي والفكري، فالمُحاور الذي تكون عبارته جافَّة أو نابية لا يعني أن ما يقوله باطل، والمحاور الذي يكون في قمَّة الذوق والأدب لا يقدِّم رأياً صحيحاً بالضرورة، فيجب أن لا تكون «أخلاقيات الحوار» هي الحاكمة على «سلامة الأفكار».

**الملف الثاني: تأثيم المجتهد وتفسيقه وإسقاط عدالته أو الحكم عليه بالعقاب الأخروي:** وهو يبحث في سؤال تراثي كبير عن «أثر خطأ المجتهد» هل يكون سبباً لفسقه أو كفره أو إسقاط عدالته؟ وثَمَّ آراء ومذاهب شتى، أرى أن خير من حررها وجمع أطرافها شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أطال فيها النَّفَس وناقش كافة الأقوال في مجموع الفتاوى وخلص فيه إلى أنَّ «المجتهد المسؤول: من إمام وحاكم وعالم وناظرٍ ومفتٍ وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله البتة»[1].

هذه الرؤية المعتدلة تجعل الشخص يتجه إلى المسألة ذاتها فيحكم عليها ويوضِّح مدى موافقتها للكتاب والسُّنة، وأما الحكم على القائل بالإثم والفسق والكفر فهذا باب آخر؛ فالبحث الفقهي يتجه إلى المسألة وبيانها، وأما الحكم على الأشخاص فشيء آخر، وهذا الاشتباك بينهما هو الذي يجعل بعض الناس يتحرَّز عن بعض المسائل أو يقبل بها؛ لأنه

(١) مجموع الفتاوى: ١٩/ ٢١٧.

يتصوَّر أن رفضها يعني تأثيم وتفسيق القائل بها، كما أن بعض الناس يتجه لتفسيق المجتهدين؛ لأنه يرى أنهم أباحوا أمراً من المحرَّمات، وينزاح الستار عن كلا الرؤيتين حين يتمايز في نظر الإنسان «الحكم على المسألة» عن «الحكم على المخالف».

**الملف الثالث: الإنكار في مسائل الخلاف:** وهذه مسألة فقهية شهيرة قد اتجهت أنظار الفقهاء فيها إلى مذاهب شهيرة[1]، أقواها بلا شك جَعْل «الإنكار» متعلقاً بالنصِّ الشرعي، فكلَّما بَعُدَ «الخلاف الفقهي» عن النص كان أقرب للإنكار؛ لأن الشريعة جاءت بمعاني «المعروف» و «المنكر» وهذه المفاهيم إنما يحددها النص وليس خلاف العلماء. ووجود الخلاف لا يمنع من الإنكار بالحكمة وبحسب درجاته؛ فموضوع «الإنكار» متعلِّق بتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة، ولا يلزم من الإنكار تأثيم المخالف أو التضييق على اجتهاده، فهذا باب فقهي وذاك باب فقهي آخر؛ فالإنكار في كل المسائل، أو بطريقة تفتقد الحكمة، أو من دون مراعاة لحال المخالف، كلُّها مخالفة للتسامح الفقهي الصحيح، كما أن التسامح الفقهي لا يلغي مبدأ الإنكار في مسائل الخلاف.

**الملف الرابع: الاختيار بين المذاهب والأقوال الفقهية:** وهو تسامح فقهي يجب أن يبقى وسطاً بين طرفين:

طرف «إلزام الناس بقول واحد» ورَفْض أي اجتهادات وأقوال أخرى لمذاهب فقهية معتبرة؛ خاصة في المسائل الاجتهادية القابلة للنظر والخلاف.

وطرف «تخيير الناس بين الأقوال» وجَعْلها في متناولهم ليختاروا منها أسهلها وأيسرها وأقربها لنفوسهم ومقتضيات عصرهم. فلا هذا ولا ذا؛ إنما التسامح الحقيقي في أن القادر على النظر في الأدلة والمسائل لا يجوز له أن يتجاوز القول الفقهي الذي يراه راجحاً، وأما من لا يستطيع فيستفتي من يثق في دينه وعلمه من دون أن يتخيَّر من الأقوال والمذاهب ما يشاء؛ لأنَّ هذا من الترخُّص الذي أجمع الفقهاء على ذمه وعيبه لمنافاته أصل التكليف[2]؛ لأن المسلم متعبَّد باتباع النص ما استطاع، وجَعْل الأقوال في سلَّة يختار منها ما يشاء يجعله متبعاً للهوى والنفس. كما أن هذا التسامح يجب أن لا يجعل الأصل في المسائل الخلافية العفو والتجاوز؛ وأنَّ المسألة ما دام فيها خلاف فالأمر واسع «فالمختلَف في حرمته لا يكون حلالاً» وهو معلوم من دين الإسلام بالضرورة كما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية[3].

وحين يكون الأصل هو «النص» فإن ذاك يستدعي البحث عنه وإشهاره؛ وأن تكون دائرة البحث فيه وحوله، ولو حصل خلاف واجتهاد وتأويل له فإنه منطلق من النص، وهو تطبيق لأمر الله – تعالى – ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وأما حين يكون الخلاف بحدِّ ذاته حجة وعذراً فإن هذا في النهاية سيؤدي إلى هجران النصوص وإضعاف مكانتها في النفوس، وهو ما دفع الحافظ ابن عبد البرِّ أن يقرر بوضوح أنَّ (الاختلاف ليس بحجَّة عند أحد عَلِمْتُه من فقهاء الأمة؛ إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده ولا حجَّة في قوله)[4].

**الملف الخامس: التسامح مع الانحرافات العقدية:** وهو موضوع خارج عن حوار «التسامح الفقهي» كلِّه؛ لأن الخلافات الفقهية تدنو من النصوص ولا تصادم أصول الشريعة وقطعياتها بخلاف الظاهرة الفكرية المنحرفة التي تعبِّر عنها «الانحرافات والمذاهب العقدية»؛ غير أن بعض الناس يسعى لاستغلال «التسامح الفقهي» لتهوين الانحرافات العقدية في النفوس: إما بجعلها اجتهادات بشرية قابلة للاجتهاد؛ حيث لا وجود لمن يملك الحقيقة المطلقة، أو باعتبار أنَّ هؤلاء قد يكونوا مجتهدين ومعذورين فيبدأ في خلط ملفَّ «عذر القائل» بملف «الموقف من القول» أو يخلط فيها ملفَّ «أخلاقيات الحوار» و «إعطاء الناس حقوقهم» وغيرها من الملفات التي تربك بعض الناس فيغفل بسببها عن استحضار أن هذه منكرات مصادِمة للشريعة ومخالفة لسبيل المؤمنين

إن ظاهرة «اختلاط الملفات» و «دمج الموضوعات» ليست مختصَّة بالتسامح الفقهي؛ فكثيراً ما يتلبس على المتابع حقيقة بعض القضايا الفكرية والشرعية؛ لأنها تأتيه جميعاً فيختلط الحقُّ بالباطل والصواب بالخطأ، والمنهج الشرعي فيه هو ذات المنهج الصحيح في التعامل مع «الألفاظ المجمَلَة» فلا قبول لها بإطلاق ولا رفض لها بإطلاق، بل قبول للحق وردٌّ للباطل في منهج موضوعي يستفصل عن أفراد الموضوع حتى تكتمل الرؤية في كافة أطرافها.

(١) ثمَّ دراسات كثيرة تناولت مبحث «الإنكار في مسائل الخلاف» ومن أميزها رسالة لطيفة للدكتور فضل إلهي بعنوان «الإنكار في مسائل الخلاف».

(٢) لمعرفة بعض من نقل الإجماع هنا من أهل العلم راجع : ابن حزم في مراتب الإجماع ص٢٧١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١١٩، وابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع: ١/ ٦٥، وابن حمدان الحنبلي في صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، ص٤١.

(٣) ذكر ذلك في مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٢٧٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١١٥.

# الشيخ محمد بن محمد المهدي

## في حوار خاص مع البيان

يُعَـد الشـيخ (محمد بن محمد المهدي) عضو المجلـس العلمي بجمعية الحكمة اليمانية الخيرية ورئيس فرع إب، من القامات العلمية والسياسية الكبرى في اليمن؛ وذلك لسعة علمه وخبرته بالشأن اليمني الذي تمخض من خلال تجارب طويلة عايشها الرجل، وقد كان من العلماء السابقين في نشر الدعوة السلفية في اليمن، والشيخ بقدر اهتماماته العلمية والدعوية الكبيرة من خلال الإسـهام في تأسـيس كثير من المؤسسات السلفية المعنية بهـذا الشـأن التـي كان لها دور بـارز في أحـداث وجود قوي للسـلفيين في اليمن ولا سيما جمعية الحكمة. غير أن هذه الاهتمامات وهذه الجهود لم تشغله عن المشاركة في المشهد السياسي اليمني.

وقـد صـدر له كثير مـن الفتاوى والكتابـات التي تكشـف الواقع اليمني بعين رجل مطَّلع، وأُجري معه كثير من المقابلات في هذا الشأن. ونستطيع أن نقول: إن الشـيخ هو الأكثر حضوراً من بين المشـايخ السلفيين في كشف حقائق الحرب المشبوهة على الدعوة هناك. وقد استطاع الشيخ من خلال مشـاركاته المسـتمرة أن يرسـم صـورة ذهنيـة واقعيـة لما يحدث في المشـهد اليمنـي على كافة الأصعدة، وفي حوارنا معه حاولنا التقاط صورة واقعية لما يجري في ربوع موطن التاريخ والعراقة (اليمن)، وصورة أخرى نقرأ من خلالها مستقبل اليمن في ظل مشاكل الجنوب والشمال.

فـي البداية نرحب بك على صفحات البيان ونبدأ حوارَنا بالمشكلة الحوثية؟

**البيان: مـرَّت الفـتـنـة الحـوثـيـة في اليمن بمراحل كثيرة، وفي كل مرحلة تتكشف حقائق جديدة؛ إلا أن الصورة الحقيقة لم تتضح؛ بمعنى أن هناك ملابسات من حيث حقيقةُ مذهبهم، ومصادرُ دعمهم، والمواقفُ المتباينة في تحديد أسباب الفتنة؛ فهل من وَصْف يختزل كل ملابسات هذه الفتنة؟ وما هو دور العلماء؟**

**الشـيخ محمد المهدي:** أما بالنسـبة للعلماء فـإن علماء الزيدية في بداية ظهور حسين الحوثي وظهور أشرطته وبعض آرائه التي كان يطعن فيهـا بالمذهب الزيدي في جوانـب معيَّنة: مثل تقاربهـم مع مذاهب أهل السُّـنة، وعدم شـجاعتهم في الطعن بالمخالفين لأهـل البيت من الصحابة (كما يزعم): كأبي بكر وعمر وعائشة - رضوان

عليهم - وغيرهم من أهل السُّنة، وكان ينتقد علم الكلام عند الزيدية ويقول: إنهم أخذوه من المعتزلة؛ لكونه يرى أن المعتزلة من أهل السُّنة، وهو يقصد أنهم ليسوا مع الشيعة أو الجارودية في الطعن في الصحابة وإن كان عندهم مسائل في العقيدة خالفوا فيها أهل السُّنة وهي معروفة. فكان علماء الزيدية المعاصرون في البداية ينتقدون حسيناً الحوثي ولا ينتقدون أباه العلاَّمة بدر الدين الحوثي، الذي استقى هذه المعلومات كلها منه. لكن بعدما بدأت الحروب مع الحوثيين سكت كثير من علماء الزيدية، وبعضهم كان يشارك مع الحوثي ويتبنى المواقف الدفاعية عنه، ويرى أن حرب الحوثيين حرب على المذهب الزيدي، وهذا الخطاب استخدمه بعض العلماء منهم كالدكتور المحطوري وبعض السياسيين؛ ولذلك لم يكن لعلماء الزيدية موقف ثابت؛ وإنما كان لهم موقف مؤقت انتقدوا فيه حسيناً الحوثي لانتقاده المذهب الزيدي في بعض المسائل فقط.

وأما السياسيون منهم فكانوا يسيرون في نُصرته بكل ما أُوتوا من قوة؛ ولذلك حُبس بعض الصحفيين منهم، وحُوكم بعض العلماء، واتُّهم بعضهم بالارتباط بالسفارة الإيرانية، وهذا مثبَت في المحاكم. وقد سُجِن الخيواني مراراً بسبب استماتته في نصرة الحوثي وأتباعه في وسائل الإعلام، وهو حَنِقٌ جداً على أهل السُّنة.

ومهما يكن من شيءٍ فإن موقف السياسيين وكثير من علماء الزيدية كان مؤقفاً مناصراً للحوثي بأسلوب أو بآخر وقليل منهم من ظل مؤقفه ثابتاً ضد الحوثي.

وأما بالنسبة لعلماء السُّنة فهناك تفصيل: فبعض علماء السُّنة مرتبطون بأحزاب، وهؤلاء صامتون في الموقف الذي يصمت فيه الحزب ومتكلمون في الموقف الذي يتكلم فيه الحزب. والحقيقة أن أحزاب المعارضة من حيث الجملةُ لم تكن لها كلمة صريحة في معارضة الخروج بالسلاح من قِبَل الحوثي على الدولة.

وهناك علماء ليسوا متحزبين كانت لهم بيانات ومواقف انتقدوا فيها الحوثي لخروجه على الأمة بالسلاح ولم يكن كلامهم منصبّاً على المذهب الزيدي الجارودي الذي يتبناه الحوثي. لكن كانوا معارضين لخروجه بالسلاح، وقتله للجنود، ولمن خالفوه من القبائل، وهذا هو الموقف العام لعلماء اليمن.

واجتمع علماء اليمن مرات في صنعاء وفيهم الصوفيون والسلفيون، وفيهم العلماء المستقلون الذين هم من حيث الجملةُ من علماء السُّنة، وبعض الزيدية الذي كانوا يدعون الحوثي لترك السلاح، ويدعون الدولة لمعالجة الوضع بما يمكن بأقل الأضرار فإذا اضطرت إلى السلاح فذاك وإلا فالحوار هو الأولى.

**البيان: في أطروحتكم الجديدة التي فرقتم فيها بين الزيدية والإثني عشرية من أي الاتجاهين سيكون الحوثيون؟**

**الشيخ محمد المهدي:** كتبت رسالة بعنوان (التشيع في اليمن بين الزيدية والإمامية وجوه الاتفاق والافتراق) وهي مطبوعة. ومن خلال قراءتي لكتبهم وملازمهم رأيت أن الحوثيين ليسوا إثني عشرية ولكنهم زيدية جارودية، فليسوا من الزيدية المعتدلة التي تنتسب إلى الإمام زيد بن علي - رضوان الله عليه - لأنهم يطعنون في الخلفاء الثلاثة ويُنكِرون خلافتهم قبل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ويفسِّقون بعض الصحابة، ولا نستطيع أن نقول: إن حسيناً الحوثي إثنا عشري على الإطلاق؛ لأنه يختلف معهم في بعض الأصول: كالقول بتحريف القرآن، والتقية، وغيبة المهدي في السرداب... وغيرها. نعم، هو يسير على خطى أبيه الشيخ بدر الدين الحوثي الذي له قِدَم في المذهب الزيدي، وله مؤلفات كثيرة ولكنه كان معادياً لأهل السُّنة، وموقفه من الصحابة يجنح إلى الطعن والتفسيق لبعضهم كالجارودية. ونحن نعلم أن الإمام زيداً - رضي الله عنه - دافع عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - عندما طلب الرافضة منه أن يشتمهما فترضى عنهما، ولمَّا فعل ذلك تبرؤوا منه لرفضه شتمَهما فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة. وسواء تسميتهم رافضة لرفضهم إمامة زيد، أو لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر. وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القولين، فالشيخ بدر الدين الحوثي ينص في كتاب (إرشاد الطالب ص١٦ - ١٧) على أن (الولاية بعد رسول الله ﷺ لعلي - عليه السلام - ومِنْ بعده لأخيار أهل البيت الحسن والحسين وذريتهما الأخيار، والولاية لمن حكم الله بها له في كتابه وسنة رسوله ﷺ رضي الناس بذلك أم لم يرضوا؛ فالأمر إلى الله وحدَه ولا دخل للشورى)؛ أي إنه لا يقر بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - قبل علي، رضي الله عنه. وكان صريحاً في طعنه في كثير من الصحابة، ومن تلك الأمثله أنه: وَصَف أبا موسى الأشعري بأنه منافق ضال لم تثبت عدالته، فقال في كتابه تحرير الأفكار (ص٤٩٤): «وقد كان حكماً ضالاً مضلاً؛ سواء صحت الرواية أم لا. فلا خلاف أنه حكم بخلع أمير المؤمنين، عليه السلام».

وقال (ص٤٩٤) في معرض كلامه على قصة التحكيم: «وبما ذكرنا من أمارات بغضه لعلي - عليه السلام - مع ما تقرر من أنه لا يبغضه إلا منافق، تتأكد الرواية الدالة على أنه منافق». يقول هذا وهو أحد رسل رسول الله ﷺ إلى اليمن الداعين إلى الإسلام.

وقال أيضاً (ص ٤٩٨): «أما الدفاع عن أبي موسى الأشعري فلا موجب له؛ لأنها لم تثبت عدالته حتى يدافَع عنه» إلى أن قال: «فأما التمحُّل لكل مسلم أو لكل من يسمونه صحابياً فليس من النصيحة للدين؛ لأنه يؤدي إلى قَبُول روايات المفسدين للدين بالروايات المكذوبة على رسول الله ﷺ ولهذا المعنى تكلَّمنا في أبي موسى والدين النصيحة» اهـ.

وهو ينكر عدالة الصحابة - رضوان الله عليهم - ففي كتابه (تحرير الأفكار)

مبحث بعنوان: فســـاد القـــول بعدالة كل الصحابة (ص٣٥١) ينكر فيه عدالتهم.

**البيان: هل هو ينقل مذهب الزيدية على أن فيه طعن في الصحابة؟**

**الشيخ محمد المهدي:** لا. المعروف عن الزيدية أنهـــم كانوا يفضلون عليـــاً ابن أبي طالب ويرونه أحق بالإمامة ولكن يرون صحة إمامة الشـــيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على قاعـــدة معروفة عندهم وهي (صحـــة إمامـــة المفضول مع وجـــود من هو أفضل منه)؛ إذا ما أعرضنا عن الغلاة منهم كالجارودية، وهذا الذي ذكره العلاَّمة الكبير يحيى بن حمزة في رسالته المعروفة (الوازعة للمعتدين على صحابة سـيد المرسلين) ونقل عن آبائه من علمـــاء الزيدية وأهل البيت أنَّ لهم مذهبين معروفين: مذهب يقول بالترضي على الصحابة، ومذهب يقول بالسكوت وعدم الترضي وعدم الشتم، وأما شتمهم فهذا ليس على منهج أهل البيت والزيدية، وهذا الكلام نقله بعده الشوكاني في (إرشاد الغبي) وذكره الأســـتاذ محمد عزان وهو زيدي معاصر في كتابه (الصحابة عنـــد الزيدية). فبدر الدين الحوثي لم يكن إثني عشرياً بالمفهوم المعروف؛ يعني لم يحصرها في ولد الحسين، ولم يقل بعصمة إثني عشـــر إماماً، ولم يعتقد بطلان الإمامة في غيرهم كما يعتقد الإثنا عشرية.

والإثنا عشرية يعتقدون كُفر الإمام زيد إذا كان قد دعا إلى نفسه. أما أن يكون دعا إلى ابن أخيـــه أحد المعصومين كما يقولون فهذا أمر آخر، كذلك لا يمكن أن نقول: إن الحوثيين إثنا عشرية بمعنى أنهم يعتقدون حصر الإمامة في إثني عشر إماماً، أو أنهم جعفرية يقولـــون: إن الإمامة في جعفر. أو يعتقـــدون أيضاً أن أئمـــة الزيدية على مر التاريخ كانوا أئمة غير شـــرعيين، وأنهم كفـــار لأنهم ادَّعوا ما ليـــس لهم. كما ورد في الكافي (٣٧٢/١) أن من ادَّعى ما ليس له من الإمامة فهو كافـــر. ومن هنا كفَّروا أئمة الزيدية. وحســـين الحوثي والحوثيون ليســـوا من هذا القبيل؛ فكثيـــر من البدع التي يمارسها الإثنا عشرية ليست موجودة عند الحوثيين. نعم، الحوثيون حقدوا على أهل السُّنة، ونقموا على الصحابة، وتعاونوا مع مرجعية الشـــيعة لكن في حدود أن كلاً منهم يظن أنـــه يخدم مصلحتـــه، والذين تشيعوا الآن وصاروا إثني عشرية في اليمن معرفون محددون وليسوا من الحوثيين.

نعم. قد يكونوا منسِّـــقين ولهم عدو مشترك يســـمونه (الوهابية) كما يطلقون على أهل السُّنة؛ هذا وارد، لكن أن نقول: إن الحوثيين إثنا عشـــرية فأمر فيه نظر. فهـــم جارودية غالية في العداء لمخالفيها؛ حتى إنهم يتقاتلون مع تلاميذ الشيخ مجد الديـــن المؤيدي وهم زيديـــة، من أبرزهم الشـــيخ عبد العظيم الحوثـــي وهو عالم زيدي معـــارض للحوثيين قال عنهم: إنهم أكفر من اليهـــود والنصارى كما في حوار معه في صحيفة الديار.

**البيان: ننتقل من الشمال إلى الجنوب؛ هناك في الجنوب عن طريق ما يسمى الحَراك الجنوبي مطالبات المستمرة بالانفصال، ما هي أسباب هذه المشكلة؟ وهل لها أجندة خارجية؟**

**الشيخ محمد المهدي:** هذه قضية قد تكلمـــتُ عنها في قناة المســـتقلة وفي كثير من الحوارات، وبيَّنت أن هذا التحرك منه مـــا قد يكون عفوياً، ومنه ما قد يكون له أســـباب داخلية، ومنه مـــا قد يكون له دوافع خارجيـــة؛ ولذلك نجد الذين يثيرون القضايا من الخارج منقســـمين كالانقسام في الداخل؛ وكأن هذا الانقســـام بحســـب توجُّهات الدافعين لهم؛ فهناك من هو متهم من جهة إيران، وهنـــاك من هو متهم بأنه مدفوع من جهة الغرب، وهناك من هو متهم بعلاقته مع بعض الدول الأخرى. والإشكال هنا ليســـت المطالبة بحل الإشـــكالات ورَدِّ المظالـــم. فقـــد توجد بعـــض المظالم لكن المشـــكلة أنه يتكلم من لا يريد الخير للبلد؛ فمثلاً هناك من يطالـــب بالانفصال وهذا ليس ناصحاً لأمتـــه ولا لدينه؛ فقد خالف نصوص الاجتمـــاع على الحـــق التي تذم التفـــرق كما قال - تعالـــى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْـــلِ اللَّهِ جَمِيعـــاً وَلا تَفَرَّقُـــوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال - تعالى -: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأيضاً بلغت العصبية والغلو عند بعضهم أنه ينفي يمنيَّة جنوب اليمن، مخالفاً بذلك التاريخ العربي والإســـلامي والجغرافي ومـــا ذكره علماء اللغة والأدب والشـــعر والرحلات التاريخية العلمية إلى كل هـــذه المناطق التي يجمعها اســـم اليمن، فكان الدكتـــور علي اليافعي يســـتقي هذه الفكرة من معارضي الخارج كأحمد الحســـني وأمثالـــه عندما يطلقون مصطلحات: (الاحتـــلال اليمني، الجنوب العربي)، ونســـي هؤلاء أن الإنجليز دخلوا عدن فـــي فترة محددة فـــي القرن الثالث عشـــر الهجري وكانت ذات ســـيادة يمنية يحكمها الولاة والأئمة، والحزب الاشتراكي لمـــا حكم جنـــوب اليمن كان اســـم دولته: (جمهورية اليمن الديمقراطية الشـــعبية)، فخالف هؤلاء المعقـــول، والواقع، والمنقول، والتاريخ، واللغة، ونفوا يمنية هذه المناطق، هذا هو منتهى الغلو!

مع العلم أنهم يدَّعون الكلام باسم الجنوب كله وهذا كلام غير صحيح؛ فالحضارمة لهم رأيهم، وأهل أبـــيَن لهم رأيهم، وأهل الضالع لا يعبِّر عنهم غيرهم. فلو افترضنا أنه حصل انقسام فلن تكون هذه دولة واحدة أبداً. نعم، هنـــاك مظالم حصلت، وهنـــاك حقوق يجب ردُّهـــا لأصحابهـــا لكن نحن ضـــد المبالغات وتقسيم الأمة إلى دويلات.

**البيان: كيف كانت نتائج الملتقى السلفي العام الذي أدارته جمعية الحكمة غطته وسائل الإعلام؟ وهل من خطواتٍ عمليةٍ لتنفيذ توصياته؟**

**الشيخ محمد المهدي:** هذا لقاء جمع رؤوس السلفيين في اليمن وتبنَّته جمعية الحكمة، وكان يهدف لبيان موقفنا من المطالبة بالانفصال، وبيان رفضنا للتدخل الخارجي أيّاً كان نوعه (إيرانياً، أو صليبياً، أو من أي جهة كانت). وبعد هذا الملتقى تعرضنا لحمالات كثيرة، من المعارضة ومن بعض الكتَّاب في صحف الدولة، وهم يخدمون الغزو الخارجي لبلاد المسلمين، انتقموا منَّا لأننا اعترضنا على التدخل الخارجي، وكتب بعض مدراء التحرير سلسلة حلقات فيها هجوم على السلفيين. وبعض كتَّاب المعارضة كتبوا في بعض الصحف المحسوبة عليهم التي يديرها بعض المنتمين للحركة الإسلامية، وكتبوا عنَّا كلاماً كثيراً، وظهر هؤلاء بخلاف ما يدَّعون من أنهم يؤمنون بحرية الرأي، ويؤمنون بأن الإنسان له حق التعبير حتى لو تحول عن الإسلام، لكن ليس له حرية أن يبيِّن موقف المذاهب الأربعة أو غيرها من أهل السُّنة بعدم جواز الخروج على الأمة بالسلاح، وأن لا تعالَج المفاسد بمفاسد أكبر منها.

**البيان: جمع الملتقى كثيراً من السلفيين في اليمن؛ فهل يُعَدُّ ذلك بداية لتنسيق جاد بين علماء الدعوة السلفية في اليمن؟**

**الشيخ محمد المهدي:** هناك جهود، ولقاءات بين المشايخ، وإذا ما استثنينا بعض المجموعات السلفية التي لا تقبل الحوار للأسف، فإن الحوار بين التجمعات السلفية القائمة اليوم في اليمن موجود، ونحتاج إلى توسيع دائرته، لكن من حيث المبدأ اللقاءات حاصلة وإن كانت لم تصل إلى المستوى المطلوب.

**البيان: ما هي أهم مراحل الدعوة السلفية في اليمن؟ وهل أنتم راضون عما قدمتم إلى الآن؟**

**الشيخ محمد المهدي:** الدعوة السلفية في اليمن كان هناك من يريد ألا تكون، وهناك من يحاربها منذ البداية، وإذا لم تنضم إلى الحزب الفلاني فإنك تؤذى ويُضيَّق عليك، وكانت هذه الأساليب الحزبية مما وسَّع الهوة بين الدعاة إلى الله، عز وجل. ولكن عموماً الدعوة السلفية تجاوزت تلك المرحلة والحمد لله، وأصبحت لها وجودها ومؤسساتها وأعمالها وهي في اتساع، ولا سيما أنها لم تدخل في صراع: لا مع الجهات الرسمية ولا مع عامة الناس، ولم تنافس الناس على أعمالهم ومراكزهم الاجتماعية؛ وإنما شقت طريقها في المجتمع ووصلت مستوىً لا بأس به في جوانب التعليم والدعوة وإخراج حفاظ القرآن والصحيحين وحافظي متون العلوم في العقائد وغيرها، وتأهيل الدعاة إلى الله.

أما بالنسبة لسؤالك: هل نحن رضوان عن ذلك؟ أقول: لا، أبداً فالمسلم لا يقتنع ولا يرضى إلا أن يكون الدين كله لله، وعندما يرى عقائد الناس صحيحة، وعلى عبادة سليمة، وعندما يرى الناس على منهج السلف الصالح في التلقي والاستدلال والعبادات والأخلاق وهكذا، وعندما يشاهد شريعة الله تنفَّذ في الأرض فحينئذٍ سيرضى. أما الآن فهذه خطوات لن نقتنع بها ولكن تتبعها خطوات أخرى ونطمع أن يهدي الله أهل الأرض إلى الإسلام.

**البيان: هل من خطوات للتنسيق بين أطياف الدعوة في اليمن؛ لكي يتم الخروج برأي موحد في كافة القضايا الموجودة فيه؟**

**الشيخ محمد المهدي:** إلى الآن لَمَّا يحصل المطلوب بَعْدُ؛ لكن هناك لقاءات جزئية بين جميع هذه المجموعات - سواء من الأحزاب السياسية أو غيرها - في بعض الموقف التي لا بد منها، وهو في نطاق ضيق ولكن لم يحصل ما نريده.

**البيان: كيف تقرأ مستقبل اليمن في ظل الخلاف بين المعارضة والسلطة؟**

**الشيخ محمد المهدي:** الأوضاع السياسية أحياناً تخيف ولكن سرعان ما توجد المصالح تجمع الأطراف المتنازعة وبسرعة يلتقون، فأنا أرى انقساماً واضحاً بين المعارضة والحزب الحاكم، وأعتقد أن المصلحة ستجمعهم في كثير من المواقف، وعند ما يأتي الضغط الخارجي فحينئذٍ يجتمعون وتنتهي الخلافات بينهم، والمعارضة نفسها مختلفة المصالح والأهداف.

**البيان: شهدت اليمن في الآونة الأخيرة احتجاجات واسعة، أين موقف السلفيين منها؟**

**الشيخ محمد المهدي:** أكثر السلفيين يرون أنه يجب أن يكون مطلبُها تطبيق الشريعة، وأن تتخلى عن المكايدات السياسية أو المطالب غير المشروعة وغير الواقعية التي لا تخدم المسلمين، وأن تكون سلمية خالية من التصرفات الطائشة من قتل وتخريب وإثارة للغوغاء. ولا بد من النظر في المآلات والمصالح والمفاسد؛ حتى لا تؤول المطالبات إلى الوضع الأسوأ، وأدعو إلى الاستفادة وأخذ العبرة مما حصل في تونس ومصر وليبيا؛ من محاولة الغرب استثمار تحركات الشباب لصالحهم؛ لأن القاعدة العامة والمطردة أن الغرب ينظر إلى تحقيق مصالحه ولا يهمه سقوط الأنظمة العربية التي كان يسلطها على شعوبها، وإذا قاربت السقوط ترك الحكام يواجهون مصيرهم وحدهم، ويبحث عن أصدقاء آخرين أقوى مراعاة لمصلحتهم الخاصة. مع العلم أن ما تحقق في تونس ومصر من حرية محمودة موجود في اليمن بدون احتجاج.

**البيان: هل لكم دور في الاحتجاجات الموجودة؟**

**الشيخ محمد المهدي:** أكثر السلفيين العاملين في إطار دار الحديث بمأرب، وجمعية الإحسان، وجمعية الحكمة. وبعض المؤسسات الأخرى يتدارسون الوضع بصورة مستمرة، وقد كنا نُعِد لإقامة الملتقى السلفي العام الثاني في صنعاء ولكن تسارع الأحداث

والمتغيرات جعلتنا نؤجله حتى تتضح الأمور وما زلنا نتعامل مع الأحداث بتأنٍّ، ولقاءاتنا مستمرة بفضل الله وقد وضَّحنا موقفنا ببيان هيئة علماء اليمن، وخلاصة الموقف الذي يراه السلفيون هو الدعوة إلى الحوار والمصالحة. وهناك مجموعة علماء سلفيين ضمن لجنة الحوار المنتخبة للمصالحة بين الحكومة والمعارضة: كالشيخ أحمد المعلم والشيخ محمد بن موسى البيضاني والشيخ مراد القدسي... وغيرهم. والأزمة تحتاج إلى جهود ومساعي أكبر؛ لأنها عميقة ولها أطراف كثيرة مؤثرة، نسأل الله - تعالى - أن يوفق كلَّ مساعي الإصلاح، وأن يدفع عن المسلمين وبلادهم الفتن.

**البيان: ما هي الدعوة التي تقدمونها للخروج من الأزمة مع الحكومة أو المعارضة؟**

**الشيخ محمد المهدي:**

**أولاً:** أن يفهم الحكام أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو المسؤولية العظمى على عاتقهم في ما ولاهم الله عليه في بلاد المسلمين. وهي الكفيلة برضا الله - تعالى - ورضا المسلمين عن الحاكم، واستقراره في الحكم.

**ثانياً:** رفع المظالم عن أبناء الشعب بأنواعها المختلفة من حقوق وأراضٍ، أو مسجونين أبرياء، أو قضايا مرهونة في المحاكم.

**ثالثاً:** إصلاح الإعلام الرسمي الذي يمثل الدولة وثقافة المسلمين مما فيه من فساد وإفساد، وتسخيره في غرس أخلاق الإسلام وقيمه وثقافته التي يؤمن بها. ولا يجوز أن يكون الإعلام آلة فساد لأبناء المسلمين؛ بل وظيفة الإعلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لعامة المسلمين.

**رابعاً:** إصلاح وضع منظمات المجتمع المدني التي تسير بموجب إملاءات غربية، وتسعى إلى تشويه الإسلام، وإفساد المرأة والشباب، وتغيير القوانين الموافقة للشريعة، وتغيير المناهج التعليمية.

**خامساً:** ضبط تصريحات المتكلمين باسم الحكومة: فهناك من المسؤولين من يطلقون العِنان للسان، ويُخرجُون ما في صدورهم من الغل على بعض العلماء من أهل السُّنة بتصريحات غير مسؤولة.

**سادساً:** تصفية الحكومة من المفسدين الذين يشوهون النظام الحاكم بظلمهم وجورهم، ويعتدون على أموال الناس بغير حق، ويهضمونهم حقوقهم.

أما نصيحتنا للمعارضة فهي: أن يحرصوا كل الحرص على صلاح الحاكم وإصلاح الحكم؛ لا أن يحرصوا على الوصول إلى كرسيه، وأن يحكموا الشارع بالحكمة، لا أن يحكمهم الشارع بالعجلة. وأن يحذروا من أساليب التدخل الخارجي أيّاً كان نوعه، وأن يطلبوا الأحسن والأفضل مما فيه مصلحة البلد، وأن يقبلوا الحوار مع الحكومة بالحق، وإذا وجدوا باباً للصلح عليهم أن يقبلوه ويدخلوا فيه؛ فالله - تعالى - أخبر عن نبيه شعيب - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال - تعالى -: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال - تعالى -: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

**البيان: كلمة أخيرة لشيخنا؟**

**الشيخ محمد المهدي:** أسأل الله أن يجمع الأمة على الخير والهدى. وكلمتي هذه أوجهها للأمة الإسلامية كلها حكاماً ومحكومين، أن يعلموا أن الوضع الذي وصلنا إليه ليس في صالح الأمة، وليس في صالح العلماء، وليس في صالح الحكام؛ ففي السنوات الماضية احتُلت العراق، وقبلها أفغانستان، واليوم قُسِّم السودان، وانتُزِع الجنوب. وهناك سعي لانتزاع أجزاء أخرى، والخطط والدراسات الغربية لتقسيم المقسَّم وتجزئة المجزَّأ معروفة، وقد شُغل بعضنا ببعض، وشغلونا بما يسمى بالإرهاب، أو ما يسمى بالتطرف والتشدد، ونسينا أن الغلو عند عبَّاد الصليب وعند اليهود، وأن التطرف عندهم: في قتل الأبرياء، وغزو الأمة الإسلامية في عقر دارها. إنني أدعو الأمة حكاماً ومحكومين، علماء وعامة، إلى أن يشعروا بهذا الخطر وألا يضرب بعضهم بعضاً، وأن يسعوا إلى جمع كلمتهم. وإذا رضينا اليوم بتقسيم السودان، فسنرضى غداً بتقسيم البلدان الأخرى، وهذه الخطة الشيطانية لو تحققت لأصبحت الأمة شَذَر مَذَر وتفرقت أيدي سبا ووصلت إلى وضع أسوأ مما نحن علية اليوم من التشرذم.

إننا نتساءل: لماذا كثر الحديث عن الوسطية والاعتدال؛ وكل هذه الأحداث تدور حول المسلمين؛ فالمحجبة ليست من النساء الوسطيات، والرجل الملتحي والصالح ليس من الوسطيين، والمنفلت عن دينه هو الرجل الوسطي؟

لماذا لا نتكلم عن التشدد في المناهج اليهودية؟ والمناهج الصليبية؟ لماذا لم نتكلم عن عبَّاد البقر؟ ومن يسفكون دماء المسلمين في شبه القارة الهندية؟ لماذا الطيران الذي يقتل المسلمين بغير طيار في كثير من جبال باكستان وسهولها، لا نتحدث عنه؟ ونتحدث عن مسلم أطال لحيته؟ أو درس عقيدتهً، أو قرأ القرآنً وتدبره بأنه خطر على الأمة، وعلى المجتمع.

أدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسُّنة، وفهمهما الفهم الصحيح الذي كان علية سلف الأمة وسار عليه أهل السُّنة والجماعة خلال العصور والدهور. والفرج قريب بإذن الله - تعالى - فقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: ٦]، وقال النبي ﷺ: «النصر مع الصبر»[1]. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهدية وسلم تسليماً كثيراً.

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنه - حيث قال: (كنت رديف النبي ﷺ فقال: « يا غلام (أو يا غليم!) ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ». فقلت بلى. فقال «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك؛ تعرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. قد جف القلم بما هو كائن؛ فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

أعد الملف كاملاً
أحمد فهمي

# الانتفاضة العربية... حقائق وأوهام

خمسة وتسعون عاماً هي مجموع الأعوام التي قضاها زعماء: تونس، ومصر، وليبيا في الحكم. تهاوت جميعها في أيام معدودة؛ وكأنهم بنوا قصورهم على الرمال أو صاغوا دعائم حكمهم من الهلام.

اقتلعتهم ثورات شعبية من فوق كراسيهم فلم تُبْقِ ولم تذر، وانطلق «التسونامي» الثوري ليصيب عدة دول عربية في أسابيع قليلة، وأصبحت «الثورات العربية» هي الشغل الشاغل لوسائل الإعلام العربية والعالمية؛ ليتحدد تاريخ جديد في الذاكرة العربية ينطبق عليه قاعدة: (ما قبل وما بعد)؛ فالعرب قبل الثورة ليسوا عرب ما بعد الثورة.

آلاف المقالات والتحليلات والدراسات كُتبَت ونُشرَت منذ يوم ٢٠١٠/١٢/١٨م إلى يومنا هذا، كلٌّ يتناول الأحداث بطريقته ووَفْق منطلقاته وثوابته، ونحن في هذا الملف نسعى إلى وضع النقاط على الحروف وسط فوضى الكتابات العارمة؛ للفصل بين الحقائق والأوهام، وبين الغث والسمين؛ من خلال وضع أطر عامة لفهم وتحليل الثورات العربية وتداعياتها على المنطقة.

يفنِّد المقالُ الأول **الوهم** أن الشعوب إذا أرادت فلا بد أن يستجيب لها القدر (كما يزعمون)، من خلال إثبات **حقيقة** أن ما حدث إنما كان بتدبير من الله - جل وعلا - وبإرادته وتوفيقه.

المقال الثاني يستعرض **الوهم** الأكبر الذي اكتشفته الشعوب الثائرة بعد سنين عجاف؛ وهو أن الأنظمة التي حكمتهم لم تكن أبداً قوية كما تزعم؛ وإنما **الحقيقة** الناصعة أنها أنظمة هشة قابلة للكسر.

المقال الثالث يتناول **وهماً** آخر، وهو إدراج ما يحدث في البحرين ضمن سلسلة الثورات العربية، بينما **الحقيقة** المؤكدة أنها احتجاجات طائفية متكررة.

# ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾

لم تكن الانتصارات التي حققتها بعض الشعوب العربية في ثوراتها الأخيرة خاصة في تونس ومصر، بتدبير الثائرين، أو بإرادة الشعوب، بل كل من ينظر إلى يوميات الثورة في البلدين يجد نفسه أمام سلسلة متتابعة من المواقف والأحداث غير المنطقية أدت إلى نتائج غير محسوبة أو متوقعة، وفي منعطفات كثيرة كادت الثورة أن تُخفق لولا أن الله – سبحانه وتعالى – شاء أن تنتصر الشعوب وأن يرتفع الظلم عن كواهلها، نعم، كان الشعب يريد ولكن الله كان وما يزال يفعل ما يريد.

نتناول في هذه المقالة أهم الشواهد الدالة على التدبير الإلهي المتمثلة في إبطال عمل الظالمين وكيدهم ومكرهم، بل وقلبه عليهم وتحويله إلى انتصارات للشعوب، ونحن لا نتكلم عن مجموعة من الهواة يواجهون للمرة الأولى احتجاجات شعبية، بل نحن أمام مؤسسات بالغة الاحتراف والإتقان تتمتع بمستويات متقدمة من التدريب والخبرة، تواجه مجموعات شبابية أغلبهم لم يسبق لهم ممارسة أي نشاط سياسي (نظرياً أو عملياً)، بعبارة أخرى: نحن أمام طرف يعلم جيداً ما يفعل، وطرف مقابل بالكاد يدرك أبعاد ما يفعله.

لعل من أهم مواطن التوفيق في الثورات العربية، هو تتابعها العجيب على النحو المعروف: (تونس، مصر، ليبيا)، ولنا أن نتخيل وقوع الثورات وَفْق ترتيب مختلف؛ فقد كانت الحركات الشبابية في مصر تمارس أعمالاً احتجاجية واسعة النطاق منذ سنوات دون أن تتوفر لها قدرة على الحسم أو رؤية للمستقبل، فكان هناك إعداد وتنظيم دون رؤية للنهاية. أما في تونس فقد اندلعت الثورة بطريقة عشوائية دون ترتيب مسبق واندفعت بقوة فائقة إلى الأمام لترسم لمن يلحق بها خريطة طريق تبدأ بـ «البو عزيزي» وتنتهي بالمشهد الشهير لهروب بن علي. ومن ثَمَّ وضحت الرؤية أمام الثوار في مصر فتحدد موعد ٢٥ يناير بعد أن لمحوا ضوءاً في نهاية النفق المظلم، وعلى المنوال نفسه لو اندلعت الثورة في ليبيا أولاً، لكانت احتمالات انتقالها إلى تونس ومصر في الحدود الدنيا، بالنظر إلى طريقة القذافي «الجنونية» في حرق الدولة من أجل زعيمها.

من شـــواهد التوفيق الأخرى، قضيـــة الحرية الإعلامية، فنحـــن أمام نموذجـــين متناقضين من حيث مســـتوى الحرية الإعلامية: تونس، ومصـــر، في الأولى اعتُبِر أن تكميم الأفواه والتضييق على الآراء وخنقها أحد الأسباب الرئيسية للاحتقان في تونس، بينما في المقابل كانت الأجواء في مصر أكثر حرية حتى أنه أصبح معتاداً تعرُّض الرئيس وأركان نظامه للانتقادات الحادة التي تصل إلى درجة الســـب، مع كشف مَواطن الفساد ورجاله، فكان من المنطقي – قياســـاً على الأوضاع التونسية – ألا يحدث احتقان.

إن مـــا حدث في مصـــر كان مفاجئاً؛ فقد تســـببت هذه الحريـــة في تداول حجم هائل مـــن المعلومات بين الناس حول فســـاد الحكم، وهو ما زاد من مســـتويات الاحتقان الشعبي، وفسحت الحريةُ المتاحة المجالَ واسعاً لتبادل الآراء والانتقادات الحـــادة حول أداء الحكومة وأجهزة النظام؛ إذن الاحتقان قائم ســـواء كانت هناك حرية إعلامية أو كبت إعلامي، بل ما يثير العجب أنه في كلا الحالتين يصبح «الكبت» أو «الحرية» ســـبباً مباشراً في الاحتقان.

ونســـرد في ما يلي أبرز الشـــواهد الدالة على تدبير الله – عز وجـــل – وإرادته في خذلان الظالمين وإبطال كيدهم، مع الاعتماد على أحداث الثورة المصرية كنموذج لذلك:

● الغشـــاوة التي تكسو العين فلا يرى صاحبها ما يُحدق به: وتمثل ذلك في وضوح ما يخطط له الثوار ويدبِّرون له، ولم يكن هناك عمل في الخفاء؛ بل السمة الرئيسة هنا أن الاحتجاجات تحمل شعار «انشر تؤجر»، ومع ذلك لم يستفدْ النظام من هذا الإعلان قيد أُنمُلة، بل أصبحت العلانية نقطة قوة لأصحابها، وهذا خـــلاف ما هو معهود في الثورات والأعمال الاحتجاجية التي تستند في نجاحها بالدرجة الأولى على سرِّيتها المطلقة.

● الإســـتراتيجية التـــي اتبعها حبيب العادلـــي في مواجهة الاحتجاجات جاءت بنتائج عكســـية بنسبة مائة بالمائة، وهذه بعض الأمثلة:

– كان الأســـلوب المتبَع في بداية التظاهرات يوم ٢٥ يناير بعد الظهر هـــو «الاحتواء الهادئ»؛ يعني: منع الانتشـــار دون مواجهات مباشرة استناداً إلى أنها «مظاهرة وتعدٍّ»، وكان هذا بالضبـــط ما يحتاجه المتظاهرون الذيـــن ضموا بين صفوفهم كثيرين ممن هم على حرفٍ وخوف، فكان الهدوء الأولي مناسباً لهم لالتقاط الأنفاس واكتساب الثقة والقدرة على الاستمرار.

● بعد اكتساب الثقة انتقلت إستراتيجية العادلي إلى أسلوب القمع المباشر، ليزيد من ثبات وصمود المتظاهرين ويبدأ كسر حاجـــز الخوف حيث تصبح كل ســـاعة تمر وهم لا يزالون في الميدان دليلا واضحا على اختلال ميزان القوى لصالحهم.

● بعد ذلك بـــدأت عمليات القنص والقتل لتكتســـب الثورة زخما شديدا من خلال تداول مصطلحات: الشهداء، التضحية، الفداء، الوطنية.. إلخ، ويضاف عنصر «الانتقام» كدافع جديد يجلب مزيدا من الثوار.

● اتبع وزير الداخلية (حبيب العادلي) إســـتراتيجية «الفراغ الأمني» لإرباك الخطوط الخلفية للثوار، وهو ما حدث بالفعل فترة من الوقت؛ إلا أن بروز ظاهرة «اللجان الشعبية» المقتبسة من التجربة التونســـية، أدى إلى اكتســـاب الثوار بُعْداً جديداً؛ حيـــث ازداد تلاحم الجماهيـــر معهم كما ارتفعـــت قدراتهم التنظمية والإدارية وباتوا يمثلون «ظاهرة وطنية» غير مسبوقة في المجتمع المصري، وهذا كله جعل الشـــعب يشـــعر بالانتماء المتبادل بينه وبين الثوار.

● قدَّمت سياسات النظام روافعَ قوية للثورة نقلتها من مرحلة إلى أخرى كلما أوشك وقودها على النفاذ، من أمثلة ذلك: بعد خطاب حسني مبارك الثاني الذي صيغ بلغة عاطفية لاستمالة الناس، تعرَّضت الثورة إلى هـــزة حقيقية؛ حيث اقتنع كثيرون بأن الاحتجاجـــات بلغت نهاية مقبولة، وأنـــه ليس هناك داع للاســـتمرار، ولكن ما إن جاء اليوم التالي حتى اندلعت أحداث «موقعة الجمل» الشهيرة بتخطيط من أقطاب النظام، فعادت الثورة لتشـــتعل من جديد مع إصـــرارٍ أكبرَ على المواصلة حتى النهاية، كما اكتســـب الجمهور «حصانة» ضد خطابات مبارك التي تَلَت ذلك.

من روافع الثورة التي قدَّمها النظام أيضاً، اعتقاله للناشط «وائل غنيم» حتى أصبح إطلاق ســـراحه مطلباً أساسياً للثوار، ومع تردُّد اســـمه على ألسنة المســـؤولين انتهاءً برئيس الوزراء أحمد شـــفيق، تحول وائل غنيم إلى «أيقونـــة» للثورة، واختار النظـــام توقيتاً عجيباً لإطلاق ســـراحه، وهـــو ليلة الثلاثاء ٨ فبرايـــر؛ حيث كان مقرراً تنظيم تظاهرة مليونية نهار الثلاثاء، وكانت الثورة قد وصلت إلى مرحلة غامضة من الجمود وخشي كثيرون من تحوُّل المظاهرات إلى حدث عادي لا يشكِّل ضغطاً على النظام.

● بعد الإفراج عنه مباشـــرة ظهر غنيم في برنامج «العاشرة مســـاءً» ليبكي في موقف مؤثر وهو يشاهد صور بعض زملائه مـــن الذيـــن قُتِلوا في بدايـــة الأحداث، ثم لم يتمالك نفســـه وانصرف بطريقة تلقائية من البرنامج؛ أدى ذلك إلى تأثُّر مئات الألوف من المشـــاهدين الذين عبَّروا عن غضبهم بالمشاركة في تظاهرات اليوم التالي الذي وصف بأنه أشـــد الأيام ازدحاماً بالمتظاهرين منذ بدء الثورة. ومنذ ذلك اليوم تحولت الأيام كلها إلى تظاهرات مليونية حتى يوم التنحي ٢٠١١/٢/١١م.

● الحصار الإعلامي لفعاليات الثورة أدى إلى نتائج عكســـية تمامـــاً، فقد أدى حجب مواقع التواصـــل الاجتماعي ثم قطع الإنترنت إلى نزول أعداد متزايدة من الشـــباب إلى الشـــارع بعد أن كانوا جالســـين أمام حواســـيبهم طيلة اليوم، كما أدت محاولات حجب قناة الجزيرة وقَطْع بثِّها على النايل سات إلى شـــعور الناس بأن مـــا تبثه القناة مختلف عـــن بقية القنوات، فأقبل كثيـــرون عليها متتبعين تردُّداتهـــا الجديدة، كذلك أدى

غلـــق مكتبها إلى ظهورِ نمط جديد من المتابعة الإعلامية، وهو الاعتماد بصورة مباشرة على اتصالات شهود العيان من موقع الحدث وهو ما جعل الثوار ينصبون شاشـــات كبيرة في وسط ميدان التحرير لبثِّ إرســـال القناة، وهذا الأســـلوب اقتبسته فضائيات أخـــرى من الجزيرة ولا يزال متبعـــاً حتى الآن في تغطية الثورة الليبية.

● فـــي محاولة لامتصاص الغضب الجماهيري قام حســـني مبـــارك (الرئيس المخلوع) باتخاذ خطوات «إصلاحية» لإرضاء الشـــعب؛ تمثلت في إقالـــة العادلي، وأحمد عـــز أمين تنظيم الحزب الوطني الحاكم، ووزراء الســـياحة والتجارة والإسكان، والتحفظ على أموالهم. هذه الخطوة كان المقصود منها تهدئة الناس، ولكنها كانت من «الرعونة» بحيث إنها اعتُبرَت اعترافاً مباشـــراً من النظام بأنه والغ في الفســـاد، وهو ما زاد الناس إصرار على إسقاطه.

● إنه خذلان وأي خذلان، عندما يتســـم كل ما يقوم به المرء بالإخفاق والبطلان، ينشـــد نصراً فيلقى هزيمة، ويقصد أمناً فيعاني خوفاً.

كانت الشـــعوب في تونس ومصـــر وليبيا تعيش في ظل القهر عقوداً متتالية، ولكن عندما أراد الله – عز وجل – أن يرتفع الظلم والقهر يسَّـــر لعباده من السبل والوســـائل ما حققوا به ذلك على أرض الواقـــع ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

# الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشـروعنـــا
وظـف مختلف
المتخصصـون

## مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالهم في مراحل المشروع.
- توسيع دا~رة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk


الريـــاض: ـ هـــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــاكس: ٤٥٣٢١٢١
التـوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جـدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمدينـــة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقـــة الشرقيـــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــة القصيـــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# احترس... الرئيس قابل للكسر

(١٨ ديسمبر - ٢٥ يناير - ١٧ فبراير)

ثلاثة تواريخ ستظل محفورة في الذاكرة العربية عقوداً قادمة؛ لأنها توثق «التسونامي» الثوري الذي اجتاح ثلاث دول عربية (تونس، ومصر، وليبيا) بصورة متتابعة في مدى زمني لم يتجاوز شهرين، وفي معدل سقوط زمني متناقص؛ حيث استغرقت الثورة في تونس ٢٨ يوماً، ثم في مصر ١٨ يوماً، وفي ليبيا فقد القذافي سيطرته تماماً على نصف ليبيا في أقل من أسبوع، وأصبح نظامه في حكم المنتهي بعد أقل من أسبوعين.

إن أحد الأسباب الرئيسية لإحجام الشعوب عن الثورة هو الكلفة العالية الناجمة بالأساس عن تمدُّد الفترة الزمنية التي تحتاجها لإسقاط الأنظمة الظالمة، ومع طول الفترة الزمنية تزداد الخسائر ويحدث «الإنهاك الثوري» الذي تعجز الشعوب عن تحمُّله، ومن ثَمَّ يكون القرار الحكيم هو عدم التفكير مبدئياً في الخيار الثوري.

في الدول الثلاث أُنشئت أجهزة ومؤسسات وهيئات متعددة مهمتها الوحيدة هي إبقاء الرئيس في حالة الجلوس على الكرسي أطول فترة ممكنة، وكانت هذه المؤسسات تعتمد بالدرجة الأُولَى على «إرهاب» الشعوب، وهو ما يمكن أن يحدث لها في حال فكرت بالاحتجاج أو الانتفاضة على الرئيس، وهكذا تكونت ثقافات متراكمة تنزع إلى الاستسلام والقبول حتى بمبدأ توريث الحكم، فقد نشأت أجيال وترعرعت وشابت وشاخت في ظل «الرئيس الواحد».

في عام ٢٠١٠م كانت الشعوب في الدول الثلاث قد وصلت إلى أقصى درجات اليأس من إمكانية التغيير، وفي الوقت نفسه وصلت أنظمة هذه الدول إلى أقصى درجات الثقة في قوَّتها وسيطرتها، وكانت هذه مفارقة بالغة؛ أن تحدث الثورات وتسقط الأنظمة الثلاثة في أسابيع قليلة لم تجاوز شهراً في كل دولة على حدة، في ظل احتمالات ضعيفة جداً لنجاح أي حركة احتجاجية شعبية، بل لا أبالغ في القول بأنه لم يكن مطروحاً أصلاً إسقاط «الرئيس» في الدول الثلاث، بل غاية المنى كان تحقيق إصلاحات سياسية واقتصادية عاجلة.

وهنا يمكن أن نرصد عدة ظواهر ذات دلالات لا تخلو من غرابة:

**أولاً:** يعطي التحليل العددي للثورات الثلاث نتائج طريفة: فعلى سبيل المثال: يبدو أنه كلما زادت فترة حكم الرئيس كلما قلَّت المدة اللازمة لإسقاطه، فقد كانت مدد سنوات الحكم على التوالي: (٢٣ - ٣٠ - ٤٢)، بينما كانت مدد الإسقاط: (٢٨ - ١٨ - ١٤). وإن هذه النتيجة يمكن أن تعطيَ الأمل للشعوب؛ أنه كلما زادت فترة حكم «الرئيس» كلما خفَّت مؤونة الثورة عليه، وربما كان ذلك من أسباب تعثُّر الحركات الاحتجاجية في دول أخرى مثل الجزائر؛ حيث تبلغ فترة حكم الرئيس ١٣ عاماً.

**ثانياً:** في مراحل متأخرة من عمر النظام، تبلغ الثقة بأركانه حدَّ التخلي عن السرية في ممارسات الفساد، وتَرْك الحذر في إخفاء معالمه ومظاهره حتى لا يصبح هناك فارق بين خزينة الدولة وحافظة النقود الشخصية، وتتكون طبقات وشرائح ومجموعات نفعية مصلحية ترتبط بوجود هذا النظام وتدافع عنه وتسعى بقوة للإبقاء عليه، ولكنها في الوقت نفسه تصبح من أهم بواعث الثورة على النظام.

عند تلك المرحلة يتحول الفساد إلى «دابة الأرض» التي تأكل «منسأة» النظام لتحوّله إلى كيان هشٍّ من الداخل؛ وإن كان يبدو متماسكاً من الخارج، ويمضي في طريقه بـ «القصور الذاتي» يظنه الناس حياً شديد البأس؛ بينما النظام بأسره «قابل للكسر»؛ فكان يكفي خروج ثلّة من الشباب لا تتعدى نسبتهم «١٪» من شعوب الدول الثلاث لتتولى مهمة «الكشف» للناس وإثبات الحقيقة الغائبة؛ وهي أن النظام «ميت» وما لحقهم من خسائر وإصابات جراء تهشُّم النظام بينما هو يتهاوى؛ لذلك تابعنا في الدول الثلاث أن «طلائع الكشف» هذه أو نسبة الـ «١٪» مارست مهمتها عدة أيام حتى اقتنع الناس أن الرئيس «قابل للكسر».

ثالثاً: يجب الإقرار بأن الرئيس التونسي (بن علي) أُخِذ على حين غرة وبصورة لم يتوقعها أبداً، لكن بالنسبة لرفيقيه كانت هناك فرصة كبيرة لـ «الغش» فقد تمثَّل أمام النظام المصري «الكتالوج التونسي» بكافة مراحله وتفصيلاته، بدءاً باحتراق البوعزيزي وانتهاءً برفض الجيش التدخلَ لقمع الجماهير الغاضبة، بل إن الثوار قدَّموا تسهيلات أخرى؛ حيث أعلنوا عن موعد الثورة قبل وقوعها بعشرة أيام على الأقل، ونشروا قوائم بأماكن التجمع وآليات التحرك والانتشار؛ فهل يوجد ثورة تقدِّم لقامعيها تسهيلات كهذه؟

لكن هل استفاد النظام من كل هذه المعلومات المتوفرة؟ الأمر يبعث على العجب؛ فقد توالت الفصول في مصر بصورة تكاد تتطابق مع تونس، ومع ذلك لم يبدُ على النظام أنه قد استفاد شيئاً من المعرفة المسبقة بـ «الكتالوج».

يمكننا القول: إن الطغيان يترادف مع «الغباء السياسي» في كثير من الأحيان؛ فقد تمثَّل أمام القذافي «الكتالوجان» (التونسي والمصري)، بكل تفصيلاتهما؛ فماذا فعل؟ لقد بات جلياً أن قدرة هؤلاء على الإبصار تتوقف عند متابعة الأحداث من زاوية واحدة فقط، هي زاوية النظام؛ فالنُّظُم تتعلم من مثيلاتها وتقتبس أساليب أخواتها. والغريب أنه رغم ثبات عدم نفع بعض الأساليب بل ثبات نتائجها الكارثية على نُظُم سابقة، إلا أن اللاحق منها يكررها بالإصرار نفسه؛ وكأن ذلك ليس راجعاً إلى الاقتباس والتقليد؛ بل إلى تشابه الأنظمة في سلبياتها ومن ثَمَّ فإنها تفرز ثقافة موحَّدة يصعب جداً تجاوزها.

لذلك نجد تكراراً ثلاثياً للخطوات والأساليب نفسها دونما استيعاب حقيقي للجانب الشعبي من الحدث. كان الفارق الوحيد هو في اتخاذ الجيش الليبي مسلكاً مخالفاً لمثيليه في تونس ومصر؛ فقد طلب كلاً من بن علي ومبارك من جيشيهما قمع الثوار بالقوة فرُفِض طلبُهما، بينما قَبِل بعض الجيش الليبي ذلك.

وكذلك لم يدرك أركان النظام أن الشعب هو اللاعب الأساسي في المعادلة؛ حيث كان الاعتقاد السائد في كلٍّ من مصر وليبيا أن الشعوب قد سكنت؛ ولهذا فإن القولة المأثورة «مصر ليست...» و «ليبيا ليست...» هي اختزال لعبارة طويلة مضمرة تقول: إن شعوبنا قد استُأنِست وتم تخديرها بطريقة أفضل مما فعله بن علي، ومن ثَمَّ فنحن لسنا مثل تونس، فشعوبنا غير قابلة لإفاقة أو استفاقة.

رابعاً: أفسدت السياساتُ المتَّبَعة في الدول الثلاث العقلَ الجمعيَّ لشعوبها، أو أعادت صياغته بطريقة تجعله قابلاً لتداول كل ما يُرسِّخ ويُراكِم الاستسلام والخنوع، وفي الوقت نفسه حرصت على منع تجليات هذا العقل الجمعي على أرض الواقع. ومن المعروف أن فكرة «العقل الجمعي» تستند في مفهومها البسيط إلى أن «الجماعة» ليست حاصلَ جَمْعِ أفرادها من الناحية النفسية، بل هي بمثابة كيان جديد يتسم بصفات خاصة به قد لا تتوافر في كل فرد على حدة؛ فعلى سبيل المثال: لو اجتمع عدد كبير من الجبناء سوياً في مكان واحد، فإن العقل الجمعي لهم سوف يتسم بقدر من الشجاعة والجرأة التي لا تتوفر لآحادهم.

استناداً إلى هذا التحليل كان من المهم للأنظمة الثلاثة في (تونس ومصر وليبيا) أن تحرص على تواري العقل الجمعي بهذه الصورة. والملاحظة المهمة هنا في سياق الأداء الجماهيري: أنَّ تزايد أعداد الجماهير المشاركة في الثورة يؤدي إلى تراجع احتمالات الخطر؛ لأنه كلما زاد العدد كلما اكتسبت جماعة المتظاهرين قدراً أكبر من الشجاعة والبأس، وهو ما يمكن رصده بسهولة من قِبَل أجهزة النظام، وصولاً إلى الحالة الجماهيرية التي تفقد فيها أدواتُ القمع قدرتَها على القمع، عند هذه اللحظة يحدث التحوُّل الجذري في سياق الأحداث، ويبدأ العد التنازلي، وعندها أيضاً يدرك العقلُ الجمعي مدى قوَّته وقدرته فينشأ في تلك الحالة منحنيان متنافران:

أولهما «هابط»، يقدمه النظام عبر سلسلة من التنازلات غير المقبولة جماهيرياً.

والمنحنى الثاني: صاعد؛ حيث يرتفع سقف المطالب الجماهيرية تدريجياً كلما تأخَّر الرئيس في الاستجابة لهم.

# نصر الله...

# إذ يغسل عاره بطهر الثورة

**تثيرني حالة التقمص التي يمارسها حسن نصر الله في خطاباته الحماسية التي يلقيها على طلبة المدارس المصطفين على الكراسي أمام طلّته البهية عبر (الشاشات الرقمية)؛ أعني بهم حلفاءه الذين تبعث حالهم على الشفقة؛ إذ يجتمعون لمشاهدة شاشة ضخمة وكأنهم في (دار سينما حزب الله)، وهي حالة تبعث على الدهشة ولا أعلم لها سابقة أو لاحقة في عالم السياسة، ويزداد العجب عندما يُلقي نصر الله إحدى (قفشاته) المعهودة فينطلق (المصطفون) في الاهتزاز من الضحك.**

إن كان هؤلاء لن يَشرُفوا بملاقاة الزعيم وجهاً لوجه فما الذي يكبِّدهم عناء الحضور والاصطفاف «المدرسي» أمام شاشة كبيرة، كان يكفي «السيد» أن يبعث لهم بخطابه عبر اليوتيوب، أو الفيسبوك، أو أي فضائية يختارها أو حتى على الفاكس.

لقد تسببت الثورات العربية المتلاحقة في اضطرار حلفاء حزب الله إلى الاصطفاف كثيراً هذه الأيام لسماع «السيد حسن» يعلق على الأحداث ويصدر توجيهاته وتحليلاته، وفي كل مرة يضيف عَلَماً جديداً إلى الصورة المعلَّقة في خلفيته، لتُصبح في الأخير خمسة أعلام: تونس، مصر، ليبيا، البحرين، اليمن.

دققتُ النظر في باقة الأعلام تلك بحثاً عن أي أثر لعلم (سوري) أو (إيراني) أو (عراقي) فلم أجد، فيبدو أن نصر الله لا يعترف بوجود ثورات أو احتجاجات في هاتيك الدول؛ فالثورة في مفهومه تمشي الهوينى وتمر على كافة الدول العربية ثم تقفز قفزاً فوق

دمشـــق وطهران وبغداد. ومن يتأمل في شـــريط الأخبار على قناة المنار فسوف يجد مصطلح الثورة والانتفاضة يُستخدَم في الدول العربية الخمس وغيرها. أما ما يحدث في ســـوريا فهو (أحداث درعا).

يبدو أن نصر الله صدق فعلاً في ما يحاول الإيحاء به منذ سنوات طويلة: أنه قد صار مصدر إلهام للحركات الاحتجاجية والتيارات الإسلامية في العالم العربي، وهو يقوم بإجراء عملية اصطفاف وهمية للثائرين والتيارات الإسلامية والقوى الوطنية على طريقة (صديق صديقي صديقٌ لي) من أجل تكوين المشهد النهائـــي؛ حيث يتبدَّى حزب الله فـــي طليعة قوى المقاومة في العالم العربي.

إبان الثورة المصرية جمع نصر الله حلفاءه يوم الســـابع من فبراير الماضي في مهرجان خطابي حاشـــد تحت شعار (دعم عروبـــة مصر، وتعزيز نهج المقاومة في المنطقة)، وبعد أن ترك الجميع يتكلمون، ختم نصـــر الله المهرجان بكلمته التي وجَّهها إلى المصريين قائلاً: «يشهد الله أني أتلهف لو أستطيع أن أكون معكم لأقـــدِّم دمي وروحي، من أجل هذه الأهداف الشـــريفة والنبيلة»، ثم أثلج صدور المصريين جميعاً وطمأنهم: «نضع كل إمكاناتنا بتصرف شعب مصر وشبابها»[1].

يغفل «الســـيد حســـن» (أو يتغافل) عن حقيقة مهمة وهي أن الثـــورة في مصـــر لا تحتـــاج إلـــى اســـتخبارات حـــزب الله ولا ميلشـــياته ولا حيله الالتفافية ومكائده، بل هي ثورة علنية ســـلمية لا ترفع سلاحاً ولا تحيك مكائد، وهو نمط من الثورة لا يعلمه ولا يتقنه حســـن نصر الله وكل من تخرَّج في مدرسة الحرس الثوري الإيراني؛ كل ما في الأمر أن «الســـيد» يحاول جاهداً أن يغســـل عار **سياســـاته الطائفيـــة البغيضة** تجاه سُـــنة لبنان، في **طُهر الثورات العربيـــة**، وهو نوع من «غسيل السياسات» لا يقل جرماً عن «غسيل الأموال».

إن الثورات العربية لا تعرف نهج «المقاومة الارتكازية» الذي يتَّبعـــه حزب الله في لبنان؛ حيث يقـــف «الفيل» على «العصا» بطريقة بهلوانية؛ وأعني بذلك الاتكاء على «مزارع شـــبعا» من أجل تمرير النفوذ الإيراني في المنطقة.

في مهرجان آخر نظَّمه الحزب لدعم الاحتجاجات الطائفية في البحرين تحت شعار مضلل هو (دعم الثورات العربية)، انتقد نصر الله إرســـال قوات (درع الجزيرة) وقال: «لقد تم إرســـال الجيوش إلى البحرين للدفاع عن نظام غير مهدَّد بالسقوط؛ إذ إن المعارضة هناك سلمية بحتة»، ثم أكد أن ما يحدث في البحرين لا علاقة له بالطائفية فقال: «ما يجري في البحرين ليس تحركاً طائفياً ومذهبياً؛ وإنما القول بذلك هو سلاح يستخدمه العاجز فـــي مواجهة حق أي إنســـان له حق، وهذا لن ينـــال من إرادة الثائرين في البحرين»، ثم توجه بوصيته إلى (الثائرين البحارنة) ألا يتأثروا بأصوات الطائفيـــين وأن يصبروا ويصابروا ويثبتوا في الدفاع عن حقوقهم: «... ودماؤكم وجراحكم ستهزم الظالمين والطواغيت وتجبرهم على الاعتراف بحقوقكم المشروعة»[2].

إن التحليـــل الأوَّلي للتركيبة الاجتماعية والدينية والثقافية للثائريـــن في دول عربيـــة مثل: تونس، أو مصـــر، أو ليبيا، أو اليمن... إلخ، تعطي نتيجة بالغة الأهمية؛ وهي: أنهم لا ينتمون إلى طائفة أو شريحة أو عرق بعينه، بل هم يمثلون كافة شرائح المجتمع وطوائفه وقِطاعاته، من أجل ذلك كانت تسميتها بأنها «ثورة» تسميةً صادقةً وصحيحةً. أما ما يحدث في البحرين فهو احتجاجات طائفية بامتياز دون شـــك أو ريب؛ وذلك لمجموعة أسباب:

أوَّلها: أن الشـــعب منقســـم إلى شـــقَّين بالنســـبة لهذه الاحتجاجـــات؛ فغالبية الطائفة الشـــيعية تؤيدهـــا، وغالبية

(١) صحيفة الخليج: ٢٠١١/٢/٨م.

(٢) بي بي سي: ٢٠١١/٣/١٩م.

الطائفة السنية ترفضها، وقد عبَّرت الأخيرة عن موقفها من خلال تظاهرة حاشدة شارك فيها عشرات الألوف.

ثانيها: السوابق التاريخية في البحرين تكشف أن هذا النمط من الاحتجاجات يتكرر بصورة دورية من قِبَل القوى الشيعية الرئيسية؛ فمنذ حوالي ١٥ عاماً اندلعت أحداث مشابهة أدرجتها الذاكرة الشيعية تحت اسم (انتفاضة التسعينات) وقد استمرت ما يقرب من أربع سنوات، تخللها ارتكاب كثير من ممارسات العنف مثل تفجير أنابيب الغاز، وإشعال الحرائق، وإلقاء زجاجات الملوتوف بله العمليات التخريبية التي نفذها (حزب الله البحريني).

ثالثها: أن الحديث عن اختراقات خارجية تتجلى تأثيراتها على الأحداث في البحرين ليس محض افتراء، بل هو حقيقة ثابتة لا تقبل الشك، وهذا واقع مستمر منذ اندلاع الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م؛ حيث تعرَّضت البحرين لسلسلة متتابعة من المؤامرات الإيرانية التي تهدد سلامة أراضيها واستقلالها، وما يُرصَد من مواقف للقوى السياسية الشيعية من إيران لا يُعطي أي طمأنينة حول مدى التغلغل الإيراني في الواقع الشيعي البحريني، وسنذكر بعض الأمثلة التي من شأنها تكوين صورة دقيقة عن الموقف الشيعي البحريني من إيران، مع ملاحظة أن هذه الأمثلة تغطي أغلب التيارات السياسية الشيعية:

• في محاضرة ألقاها رجل الدين المعروف عبد الله الغريفي بعنوان (الإمام الخميني والمشروع السياسي) قال: «بعد هذه القراءة لمكوِّنات المشروع السِّياسي الذي يعتمد ولاية الفقيه، هل تصحُّ تلك الدعاوى التي تتهم نظام ولاية الفقيه بأنَّه نظامٌ دكتاتوري؟ وحتى أحدث الأنظمة الديمقراطية في العالم لا تملك المميزات المتقدمة التي يتوفَّر عليها نظام ولاية الفقيه»[١].

(١) موقع الغريفي على الإنترنت.

• في خطبة الجمعة بمسجد فاطمة بـ «سترة» خطب الشيخ حيدر الستري النائب البرلماني عن جمعية الوفاق، فقال: «رأينا في عصرنا كيف حققت الجمهورية الإسلامية في إيران المعجزات وانتصرت على دول العالم الكبرى مجتمعة. انتصرت الجمهورية الإسلامية في نشأتها إبان الحرب التي أشعلها النظام البعثي البائد في العراق... حققت انتصارها مؤخراً بعد عملية انتخابات تاريخية بفضل مخزون القوة الذي تمتلكه قيادة الولي الفقيه والتفاف المؤمنين حولها، وقد اتضح للعالم أن ولاية الفقيه هي الهدف الأول الذي توجِّه نحوه الدول الكبرى سلاحها وسهامها وكافة إمكاناتها الإعلامية والاقتصادية وتحالفاتها السياسية».

• وفي موقع الولاية القريب من تيار الوفاء، تبدو في الصفحة الرئيسية صورة لرجل الدين المعروف عبد الجليل المقداد، وبجوارها عبارة منسوبة إليه يقول فيها: «رَبْط العمل السياسي بالولي الفقيه هو حكم شرعي»[٢].

• وكتب الصحفي الشيعي فريد أحمد حسن في صحيفة الوقت، ينتقد ظاهرة التعلق المفرط بخامنئي، فقال: «يعتبر البعض منا هنا في البحرين السيد الخامنائي مقدَّساً فيعلِّق صورته في المآتم وربما المساجد، ولا يقبل من أحد أن ينتقده أو حتى يناقش آراءه ناسياً أنه رجل سياسة إلى جانب كونه عالم دين وناسياً أنه شخصية عامة وغير مقدسة»[٣].

• الناشط السياسي كريم المحروس المتحدث السابق باسم الجبهة الإسلامية، يقول: «من ينفي القول بأن جزءاً كبيراً من مجتمعنا يميل كل الميل بشعوره وعواطفه إلى الثورة الإسلامية في إيران وإلى حزب الله في لبنان عقائدياً وسياسياً وربما حزبيا؛ فهو ممن يتهرب عن عرض الحقائق كما هي... لماذا إذن لا نعترف بالحقائق حتى تنطبق ألفاظنا تماماً على معانيها؛ فنسمي الأشياء بأسمائها بعيداً عن التورية السياسية وغيرها من آلات الغموض والتقية»[٤].

نختم هذه المقالة بإعادة عبارات المحروس مرة أخرى، وهي: لماذا لا نعترف بالحقائق ونسمي الأشياء بأسمائها بعيداً عن التقية والتورية؟ سؤالاً للعقلاء.

(2) http://www.welaya.net/page3-4.php

(٣) مقال: ولائي للخمنائي، ١٢/١/٢٠١٠م.

(٤) كريم المحروس، مقال: عشر بحرانيات من وحي العشرة ج٨، وجحد المفسدون بولاءنا ظلماً وعلواً، شبكة النعيم الثقافية: ١٥/٣/٢٠٠٥م

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

# تقرأ في هذا الكتاب ..

- احتجاجات الأبناء فهمها والتعامل معها.
- طبيعة التربية في عصر العولمة.
- الاحترافيه في التربية .
- كيف نفهم احتياجات اولادنا وتطلعاتهم.
- لماذا فشل بعض الأباء في فهم احتياجات الأبناء.

وغيرها الكثير

المشرف العام

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بمصر... مبادرة رائدة

جلال الشايب
Galal_elshayp@hotmail.com

تمرُّ مصر الآن بتحولات كبرى تستوجب أن يكون للعلماء والدعاة فيها مشاركة فعالة، وتوجيه مؤثر، وريادة حقيقية؛ فهي تنتظر الآن كلمة صادقة، وهداية ناصحة في ما نزل بها من مُلِمَّات وخطوب ستؤثر ولا بد في مجريات الأمور، ليس في مصر فحسب، بل في العالمين (الإسلامي والغربي) على حد سواء.

ولقد كثرت الأحزاب والهيئات بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م، وأصبحت الساحة مفتوحة لصاحب الأكثرية؛ كلٌ له أهدافه ووسائله، وغنيه من التطلعات الخاصة والعامة، فضلاً عن الإستراتيجيات الموضوعة لتحقيق تلك الأهداف بأسرع وقت؛ إلا أن القليل من هذه الأحزاب اتخذت القرآن دستوراً، وانطلقت شرعيتها من شرع الله تعالى. وفي هذا البحر اللُّجي من الحياة السياسية والحراك الاجتماعي خرجت الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، منطلقة في وجودها من قوله - تعالى -: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وتتخذ من قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] شعاراً لها.

## لماذا الهيئة؟

يرى فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل (مفتي الديار المصرية الأسبق ورئيس الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح) أن ميلاد هذه الهيئة قد جاء في ظروف بالغة الدقة والأهمية؛ حيث تمرُّ أرض الكنانة بتحولات كبرى تستوجب أن يكون للعلماء والحكماء فيها مشاركة فعالة، وتوجيه مؤثر، وريادة حقيقية.

ويضيف الدكتور واصل: «لقد باتت مصر اليوم تنتظر كلمة صادقة، وهداية ناصحة في ما نزل بها من ملمَّات وخطوب ستؤثر ولا بد في مجريات الأمور، ليس في مصر فحسب، بل في العالَمين (الإسلامي والغربي) على حد سواء».

مؤكداً على أنه على الرغم من قيام أهل العلم والدعاة إلى الله بواجبهم كلٌّ في موقعه؛ إلا أن الحاجة أصبحت ماسة اليوم إلى الوحدة والاجتماع، والمشاورة في النوازل المستجدة بما يكثِّر الخير ويدفع الشر ويحقق المصالح ويدرأ المفاسد، فضلاً عن أن اجتماع أهل العلم في الأمة على كلمة سواء مطلب شرعي، يحقق مخرجاً من أزمة، ونجاة من فتنة، وهو بمثابة الوسيلة والمقدمة لإقامة العدل، وصيانة الحرمات والحريات. وقاعدة الشريعة: أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وإذا كانت الدعوات الإسلامية المعاصرة قد قامت بهدف دعوة الناس إلى الله - تعالى - وإصلاح مجتمعاتهم، فإنها ستخوض غماراً وتركب أخطاراً توجب عليها تنسيقاً وتشاوراً في المهمات والمسائل العامة.

ومن المنطلقات السابقة جميعها جاءت هذه الهيئة، وجاء نظامها ليكون إطاراً يحقق مقاصدها ويضبط أعمالها وبرامجها.

ويُرجِع الدكتور مدحت عبد الباري (مقرر اللجنة الإدارية بالهيئة الشرعية) تاريخ بداية الهيئة إلى بداية الخامس والعشرين من يناير؛ وذلك بعد أن وجد القائمون عليها أن التيارات الإسلامية المختلفة في مصر لا تجتمع معاً لمناقشة أمور الأمة التي تطرأ عليها؛ فكلٌّ يعمل وَفْقَ منهج منفرد؛ بل ما جعل الأمر أكثر إلحاحاً لوجود مثل هذه الهيئة أنك تجد داخل التيار الواحد تيارات وفصائل مختلفة. فكانت الهيئة جهة علمية مرجعية شاملة يتمثل فيها كل التيار الإسلامي؛ من الأزهر الدكتور نصر فريد وبعض العلماء المنضمين للهيئة من الأزهر الشريف، أو التيار الإخواني أو السلفي وغيرهم، دون الرجوع إلى المسميات أو أن هذا يمثل جهة مَّا.

ويؤكد الدكتور عبد الباري أن أهم ما يمثل الهيئة ومدى احتياج الناس إليها هو توحيد الصف المصري عامة، والإسلامي خاصة؛ فالناظر الآن في كل المستجدات على الساحة المصرية سيجد أنه قد ينشأ شيء داخل الصف المصري في قضية تصوُّر الشكل الإسلامي لمصر في الفترة القادمة، والأمر يستوجب إيقاف هذا الأمر قبل بدايته؛ وذلك عن طريق هيئة مرجعية تمثل الجميع، ولا تنحاز إلى فصيل أو فئة دون غيرها.

ولقد أعرب الشيخ نشأت أحمد الداعية الإسلامي عن رأيه بقوله: «إن الهيئة الشرعية في هذا الوقت هي ضرورة شرعية؛ لأننا نريد أن نأتلف ولا نختلف، ونلتقي ولا نفترق؛ فنحن في حاجة شديد الآن إلى تلاقي كلمة العلماء، وإيجاد مرجعية واحدة، ونحمد الله - تعالى - أن شُكِّلت مثل هذه الهيئة في هذا الوقت؛ وذلك لمجموعة ضروريات منها: ضرورة توحيد الفتوى، وضرورة مجارة الأحداث ومتابعتها عن كثب، خاصة في ظل تسارع الأحداث هذه الأيام. ولا شك أن كل حدث يحتاج الناس فيه إلى آراء العلماء وأهل العلم فيه، فضلاً عن مناقشة المسائل والأحكام في حضور عدد من العلماء الأجلاء، وضرورة أن يكون للإسلاميين وجود على الساحة قوي، يُحترَم عند الناس، وأن تلقى فتوانا قبولاً عند المسلمين».

وعن الحضور السياسي للهيئة أكد الشيخ نشأت أحمد على أن الهيئة تُدلي برأيها من خلال العلماء المشاركين فيها في أي حدث؛ سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً أو غير ذلك، ويكون ذلك: إما بالقول أو بنشر الحق بين الناس بأي وسيلة أيّاً كانت، وإن لم يكن لنا توجُّه سياسي من خلال مشاركات بعينها للهيئة، لكن هذا المشاركات متروكة لمن أراد المشاركة.

## أهداف ووسائل الهيئة:

ويؤكد الدكتور محمد يسري إبراهيم (المستشار بجامعة المدينة العالمية والأمين العام للهيئة الشرعية) أن الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح هي هيئة علمية إسلامية وسطية مستقلة، تتكون من مجموعة من العلماء والحكماء والخبراء، وتنطلق في وجودها من قوله - تعالى -: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وتتخذ من قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله﴾ [النساء:١٣٥] شعاراً لها.

وذكر الدكتور يسري مجموعة من القيم والمبادئ التي تلتزمها الهيئة؛ والتي تمثل منظومة متكاملة من ضوابط التفكير والسلوك وعوامل التأثير في اتخاذ القرارات، ومن أبرز تلك القيم: المنهجية الأخلاقية في العلم والعمل، والشمولية في الطرح والتناول لمختلف القضايا، والشورى في القرارات العلمية والعملية، والتخصصية، والتواصل والتعاون، وتقدير الآراء والأشخاص دون تقديس، ورعاية الحريات الإنسانية والحقوق المشروعة، والجمع بين مصادر المعرفة الدينية والدنيوية، وأخيراً الالتزام بالوسطية الشرعية.

كما يشير الدكتور محمد يسري إلى الأغراض التي من أجلها جاءت الهيئة؛ فهي تتوخى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها: البحث في القضايا والمستجدات المعاصرة؛ بما يساعد على حماية الحريات والحقوق المشروعة وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإيجاد مرجعية راشدة تُحْيِي وظيفة العلماء والحكماء في الأمة؛ لمعاونة أهل الحل والعقد في تدعيم الحريات وتحقيق الإصلاح، والعمل على وحدة الصف وجمع الكلمة، وتقديم الحلول للمشكلات المعاصرة وَفْقاً لمنهج الوسطية النابع من عقيدة أهل السُّنة والجماعة، والتنسيق مع مختلف القوى والمؤسسات الإسلامية والشعبية لتحقيق الأهداف المشتركة، وترسيخ القيم الإسلامية في الحياة المعاصرة؛ بما يعيد بناء الإنسان وتنميَته لإحداث نهضة حضارية شاملة، وحماية الحريات الإنسانية، والحقوق الشرعية.

ولقد عدَّد الأستاذ الدكتور علي أحمد السالوس (نائب رئيس الهيئة) الوسائل التي من خلالها يجري تحقيق تلك الأهداف التي أشار إليها الدكتور محمد يسري، ومن أهما: تشكيل لجان متخصصة ذات مهامَّ دائمةٍ أو مؤقتةٍ ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تحقق أغراض الهيئة وأهدافها، بالإضافة إلى عقد الاجتماعات الدورية والطارئة لاتخاذ المواقف المناسبة وبحث القضايا المهمة أو العاجلة، فضلاً عن عقد الندوات والملتقيات التي توضِّح رأي الهيئة في القضايا المثارة، وستعمل الهيئة على إصدار البيانات ومكاتبة ومحاورة الأفراد والجهات والهيئات الرسمية وغير الرسمية، كما ستقوم بإنشاء موقع إلكتروني على شبكة المعلومات الدولية يتضمن بحوث الهيئة وأنشطتها وأخبارها. ومما لا شك فيه أن الهيئة ستستعين بالخبراء والمتخصصين؛ وذلك للاستبصار في ما يُعرَض من قضايا معاصرة ومهمة.

ويضيف الدكتور السالوس أن من أهم تلك الوسائل: هو التفاعل المباشر مع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والصحافية (الورقية والإلكترونية)، ثم إصدار دورية أو مجلة باسم الهيئة تتضمن البحوث والمقالات العلمية، وعقد الندوات والدورات العلمية المختلفة، والبرامج المتخصصة، وأخيراً للهيئة أن تتخذ من الوسائل والأساليب المشروعة ما تراه محقِّقاً لأهدافها المختلفة.

## لجانٌ متعددة:

وتعقيباً على ما سبق من وسائل الهيئة التي منها تشكيل لجان متخصصة ذات مهامَّ دائمة أو مؤقتة يُعهَد إليها القيام بالأعمال التي تحقق أغراض الهيئة وأهدافها، فقد ضمَّت الهيئة لجاناً دائمة هي: لجنة البحوث العلمية، ولجنة الحقوق والحريات الإنسانية، ولجنة الشباب وخدمة المجتمع، ولجنة التقنية والإعلام، واللجنة الإدارية والمالية.

ويؤكد الدكتور مدحت عبد الباري محدداً أربعة محاورَ تقوم اللجنة الإدارية والمالية على العمل عليها وهي: تنظيم أعمال الهيئة على أنها كيان، ثم البحث عن مصادر تمويل، والترتيب والتنسيق التعاوني بين مختلف اللجان في الهيئة؛ فاللجنة الإدارية هي حلقة الوصل بين كل تلك اللجان، كما أنها تشارك بعض اللجان الأخرى في مسؤوليات مختلفة؛ فمثلاً هي مسؤولة عن (الفيد باك) أو رَجْع صدى أعمال الهيئة من مؤتمرات وندوات وورش العمل التي تعقدها الهيئة، بالإضافة إلى النشاطات المماثلة؛ وذلك بالتعاون مع اللجنة الإعلامية.

ثم يأتي الشيخ هشام برغش (مقرر لجنة البحوث العلمية) ليبيِّن رؤية الهيئة في اللجنة العلمية داخل الهيئة، وهي: تكوين مرجعية شرعية راشدة للمسلمين في مصر تُحْيِي وظيفة العلماء في تحقيق نهضة الأمة المصرية، وتوحِّد صفوف عامة المسلمين في مصر على الحق والهدى، وتزيل أسباب الفرقة بينهم وتهتم بقضاياهم ومشكلاتهم، وتقدِّم الحلول الشرعية لهم وَفْقَ منهج

وعقيدة أهل السُّنة والجماعة.

مؤكداً على أن رسالة هذه اللجنة، هي: تجمُّع علميٌّ منظَّم من علماء المسلمين وطلبة العلم والدعاة في مصر يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم، من خلال جمع طاقات العلماء والدعاة وترشيدها وتوجيهها، وتقديم حلول شرعية للقضايا والنوازل والتحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين في مصر وَفْقَ منهج أهل السُّنة والجماعة؛ وذلك باعتماد أسس البحث العلمي السليم المؤصَّل، والحوار الجماعي.

وعن أهم أهداف اللجنة العلمية يقول الشيخ هشام برغش: تضع اللجنة العلمية بالهيئة مجموعة من الأهداف، منها: استنباطُ الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل والقضايا العامة المتعلقة بالشأن المصري، وتحديدُ الموقف منها، وبيانُ ذلك للمسلمين، وإظهار كمال الشريعة الإسلامية وشمولها ومرونتها، ووفاؤها بحل كل القضايا والنوازل التي يتعرض لها المسلمون في كل زمان ومكان، والعمل على توحيد الكلمة بين العلماء وطلبة العلم والدعاة، من مختلف التجمعات والاتجاهات المنتمين لأهل السُّنة في مصر.

وكذلك أيضاً جَمْعُ طاقات العلماء والدعاة والأفراد، والعاملين في الساحة الإسلامية المصرية وترشيدُها، وتوجيهُها الوجهة المناسبة والنافعة، والنهوضُ بطلبة العلم على منهج صالح العلماء الأسلاف، وإحياء الأُلفة بينهم من سائر المذاهب، وترتيب الحوار الهادف، وإرساء معالم أدب الخلاف، ونبذ التقليد والتعصب، وكشف المخططات المعادية للإسلام والمسلمين مما يتعلق بالشأن المصري، والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة، وتحذير الأمة المصرية وحمايتُها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة، مع بيان موقف الإسلام منها. وأخيراً العمل على رد الشبهات التي تثار حول الإسلام ونبيه ﷺ وحَمَلَته، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام عند بعض المسلمين وغير المسلمين.

ويتحدث الدكتور عطية عدلان (المدرس بجامعة المدينة الإسلامية، وهو من علماء اللجنة العلمية بالهيئة) أن هناك وسائل اتخذتها اللجنة للوصول إلى هذه الأهداف:

وأوَّل هذه الوسائل: هو إعداد المادة العلمية اللازمة لعقد المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية، والتنسيق في ذلك مع اللجنة الإعلامية بالهيئة.

وثانيها: التواصل والتعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية، والاستفادة من المتخصصين، ومن لهم عناية خاصة بدراسة الفقه المقارن وخدمة الدليل؛ بما يحقق أهداف الهيئة.

وثالثها: هو إصدار مجموعة من البحوث العلمية القوية غير المسبوقة مما يتعلق بالنوازل والقضايا الملِحَّة.

ويضيف الدكتور عدلان قائلاً: إن من الوسائل كذلك: المشاركة والتنسيق في إصدار مجلة دورية علمية متخصصة تُعنَى بالتأصيل العلمي والمنهجي للقضايا العامة والمستجدات الملحَّة محلياً وعالمياً، ثم تقديم اقتراحات وصياغات للبيانات المعبِّرة عن موقف الهيئة تجاه ما يستجد من قضايا وأحداث، والعمل على نشر المقالات والفتاوى الهامة عبر موقع الهيئة الإلكتروني، والإشراف العلمي على مادته، والتفاعل مع زواره من خلال منتديات الموقع، وعقد دورات علمية (عقدية، وفقهية، وأصولية متخصصة)؛ خاصة في ما يتعلق بالسياسة الشرعية وفقه الأولويات والموازنات، وكذلك فقه الخلاف، فضلاً عن إقامة المسابقات العلمية، وإعدادِ تقاريرَ عما يستجد من رسائل جامعية ذات الصلة عقب مناقشتها، وأخيراً التخطيط للمشاريع العلمية.

وعن لجنة الحقوق والحريات يقرر الأستاذ ممدوح إسماعيل (المحامي ومقرر اللجنة بالهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح) أن ما تم الاتفاق عليه بشأن الهيئة عامةً هو شيء جيد؛ فالإسلاميون تجمعوا في عمل مؤسسي لخدمة القضايا الإسلامية، هذا شيء عظيم ولا شك، ولكن ما زالت الآليات في طور الإعداد والتجهيز، كما أن هناك بعض صعوبات تواجه العاملين في هذا المجال على المستوى الإسلامي؛ ومنها: أنه لا زالت هناك رواسب من الماضي في التفاعل مع الجديد، وهذه مرحلة طبيعية في نظر بعضهم، وسنحاول الخروج من هذه الحلقة بأسرع وقت، محاولين سرعة التفاعل الجديد والجيد مع آليات الحياة في مصر بعد الثورة، والشاهد هنا هو أن لجنة الحقوق والحريات شيء غاب عن كثير من الإسلاميين الاهتمام به. وكم عانينا من غياب رؤية واضحة في هذا المجال في الفترة السابقة، ونحمد الله - تعالى - أن الهيئة انتبهت لهذا الأمر وهو تقدُّم ولا شك؛ بل تستطيع أن تقول: إن الإسلاميين

يحاولون الحصول على بعض ما سُـلِب منهم في المدة الماضية نتيجة قَهْر نظام فاسـد، والنصيحـة الآن: أنه علينا البعد عن الآليات الجامدة في التعامل مع القضايا الحقوقية، كم أنه علينا البعد عن الموروثات السابقة في الرؤية.

ويضيـف كذلك أن أهم هدف لهذه اللجنة داخل الهيئة هو التفاعل الواضح مع قضايا الحقوق الإسلامية التي ضيعت وما تزال في ظل زخم سـيطرة العَلمانيين واللبراليين وغيرهم من المناوئين للفكر الإسلامي الوسيط على الحالة الإعلامية وعلى المشـهد السياسـي، وفي الأيام القادمة سنتباحث حول سرعة تفعيل آليات في هذا المجال.

ومن اللجان المهمـة داخل الهيئة: لجنة الشـباب وخدمة المجتمع، ورؤيتها حسـب ما ذكره الدكتور حسن يونس عبيدو، (الأسـتاذ بكلية أصول الدين بجامعة الأزهـر ومقرر اللجنة)، تكمن في أن تمثلَ لجنةُ الشباب وخدمة المجتمع الهيئةَ الشرعيةَ للحقـوق والإصلاح فـي مجـالات توعية الشـباب ودعوتهم وتوجيههـم، وتوظيـف طاقاتهم، والتواصل معهـم، والنهوض بهم، وفي مجالات خدمة المجتمع؛ بحيث تصير الهيئة مرجعية شرعية للشباب.

ثم يذكر الشـيخ محمـد عبد الواحد (نائـب مقرر لجنة الشـباب) أن أهداف هذه اللجنة الشبابية كثيرة، منها: توعية الشباب بالمسؤولية الاجتماعية الواقعة على أفراد المجتمع وفي مقدمتهم فئة الشـباب، وإعانتهم على القيام بتلك المسـؤولية، والمسـاهمة في بناء عقل الشباب بما يجعله قادراً على مواجهة التحديات وحل المشـكلات، والمسـاهمة في الارتقاء بأخلاق الشباب بالشـكل الذي يُظهِر الوجه الحقيقي للإسلام، وتغذية الجانـب الإيماني في شـخصية الشـباب، وربطهم بمرجعية الشريعة الإسلامية.

ويستكمل فضيلة الشيخ عبد الواحد الأهداف قائلاً: ومنها أيضاً تحصين الشباب ضد الأفكار والتيارات المنحرفة، ووقايتهم من فتن الشبهات والشـهوات، وتأهيل الشباب وجعلهم قادرين على التميُّز في سـوق العمل، واسـتيعاب طاقات الشباب في مشاريع تخدم المجتمع وترتقي به. ويعتبَر كسر حاجز العزلة بين الشباب المتدين وعموم الشباب المسلم من أهم أهداف اللجنة.

ويرجع الدكتور حسـن عبيدو ليتحدث عن الوسائل المتاحة لتحقيق الأهداف سـالفة الذكر، فيذكر إحياء دَوْرِ المساجد في شـتى المحافظات والأحياء السكنية المختلفة، وتكوينَ لجان في المسـاجد لا سـيما الكبيرة منها، تقوم بأدوار مختلفة (علمية ودعويـة واجتماعية وتربوية... وغير ذلك)، والتواصل مع أئمة المسـاجد ومقرِّري تلك اللجان بصفة دوريـة لمتابعة أعمالهم، وعقد ندوات شبابية في المساجد وفي مراكز الشباب والنوادي والجامعات والمدارس وأماكن تجمعات الشـباب، وغير ذلك من كل الوسائل التي تراها اللجنة مشروعة لذلك.

هذا وقد وضعت اللجنة الشبابية بالهيئة الشرعية مجموعة من البرامـج التفاعلية والتنفيذية، من أهما: تغطية الجمهورية بـوكلاء للجنة، بواقـع وكيلٍ عامٍّ لكل محافظـة، وله أن يتخذ مندوبـين في مناطق المحافظة بحسـب الحاجـة مع مراجعة اللجنة، وبرنامج تواصل لجمع أكبـر قاعدة بيانات ممكنة من الشـباب الإيجابي، ويمكن إنشاء منتدى خاص بذلك، أو موقع على شـبكة الإنترنت، وصفحة في الفيسـوك، وبرنامج توعية لعمل أكبر عدد ممكن من الندوات المختلفة في محافظات مصر كافة، وبرنامج (تميز) لتأهيل الشباب من خلال دورات التنمية البشرية والتدريب على احتياجات سوق العمل، وبرنامج (قائد) لعمل معسـكرات شـبابية يجري فيها صقل الشباب وتدريبهم على روح فريق العمل.

وهناك عدد مـن اللجان الأخرى التـي ضُمَّت في الهيئة الشـرعية للحقوق والإصـلاح، مثل: لجنـة التقنية والإعلام، ولجنـة الدعوة والإصلاح، ووضعت لها الهيئة الرؤية والأهداف والوسائل الموصلة لهذه الأهداف، وبعض البرامج التفاعلية التي تسـاعد على الفهم والتطبيق على أرض الواقع بعيداً عن مناخ انفصال الكلام عن العمل.

كما تضم الهيئة الشـرعية مجموعة مـن العلماء والأئمة والحكمـاء والمتخصصين، مـن كل التيارات الإسـلامية؛ إلا أنهم خلال وجودهم داخل الهيئـة لا يأتون أبداً على ذكر هذه التيارات، تحقيقاً للوحدة الإيمانية والإسلامية في هيئة واحدة تضم الجميع بعيداً عن التحزب أو التشرذم.

# [ المسلمون.. والعالم ]

**جماهيرية سيف بن معمَّر**
د. يوسف بن صالح الصغير

**ثماني سنوات عجاف... أنتهى زمانها، أم آن أوانها؟**
أنس المندلاوي

**عائد من بغداد**
أ. د. نعمان السامرائي

**ليبيا: الغرب... عين على النفط وأخرى على الإسلاميين**
تحليل : محمد جمال عرفة

**عصر الشعوب**
د. إبراهيم الشمري

**حزب الله في السنغال**
عبد الله بابا جنع السنغالي

**رياح التغيير في اليمن**
حسين بن علي الزومي

**المشهد العراقي بعد ثمانية أعوام من الاحتلال**
إعداد: عبد المجيد خضير

**مرصد الأحداث**
جلال سعد الشايب

# جماهيرية سيف بن معمَّر

د. يوسف بن صالح الصغير(*)

الجماهيرية العظمى هو الاسم الرسمي لبلد كان يسمى ليبيا، كان يسكنها البشر الذين تحولوا إلى جرذان مقمِّلة (مصابة بالقمل) يُجرِي عليها الزعيم تجاربه ويطبِّق عليهم نظرياته؛ فهو الذي حررهم من الاستعمار وهو الذي أجبر صديقه وشريكه بيرلسكوني على الاعتذار نيابة عن الإيطاليين، وهو الذي بنى ليبيا... ولكن مشكلته أن سكان ليبيا لم يفهموا نظريته فهو يدعوهم إلى تسلُّم السلطة وممارستها، وأنه مجرد زعيم وموِّجه للثورة ولكنهم استمروا في إزعاجة والرجوع إليه في كل كبيرة وصغيرة؛ ولذا فقد هددهم في أحد خطاباته قبل أكثر من ثلاثين سنة أنهم لم يفهموا نظريته ولم يستوعبوا كتابه الأخضر؛ ولذا سيبحث عن شعب آخر! نعم، شعب آخر؛ ولذا تمَّت ترجمة كتابه الأخضر وأنشئت معاهد لتعليمة في بعض بلدان إفريقيا التي أحس أن شعوبها أكثر قدرة على الفهم، وكانت النتيجة أنه أصبح ملك ملوك إفريقيا. ولكن سكان ليبيا استمروا في إزعاجة؛ فهو مضطر أن يمثِّلهم في اجتماعات القادة العرب وفي الأمم المتحدة وفي الزيارات الرسمية؛ فهم لم يتمكنوا من حكم أنفسهم على الرغم من كل الفرص التي أعطاهم إياها فقد ألغى مسمَّى الوزارات التي تحولت إلى أمانات، ومنحهم أسماء جديدة للأشهر وبداية جديدة للتاريخ.

وفي إحدى محاولاته لدفع الجماهير الحاكمة إلى بناء اقتصاد لا يقوم على النفط طلب من اللجان الثورية أن تسيِّر البلد دون اعتبار دخل النفط ولكنهم فشلوا، وهو ما ولَّد قناعة لدى الزعيم أنها لن تستطيع أن تستوعب نظريته في حياته؛ ولذا حرصاً على استمرار المسيرة – وقد أجهده البحث عمَّن يفهم نظريته ولديه القدرة على تطويرها واستكمال النقص فيها – لم يجد إلا واحداً اسمه سيف ولا يهم ابن من هو؛ ولكن الأهم أنه يشبهه في كل شيء حتى في تركيب الـ (D N A) فأعلن العقيد الجماهيرية الأولى وسيف بن ... معمر أعلن الجماهيرية الثانية، ولكن للأسف بعد خروج الجرذان من جحورها.

إن ما سبق ليس هزلاً بل هو الجد الذي يشبه الهزل وما أصاب شعب ليبيا هو ابتلاء دام أكثر من أربعين عاماً كان

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة – جامعة الملك سعود – الرياض.

الزعيـــم يرغب أن يُتْبِعها بأربعين أخرى ولكن قَدَر الله كان له بالمرصاد؛ فقد أتاه الله من حيث لم يحتسب.

لا ننفي أن العقيد قد يكون الشـــخص الوحيد الذي قرأ أحداث تونس بصـــورة صحيحة، وحاول أن يدعم النظام بما يســـتطيع، فأمر بالسماح للتوانسيين بالدخول الحر إلى ليبيا للعمـــل، وكان خروج زين العابدين بن علي صدمة قاســـية له حتى إنه ألقى خطاباً انتقد فيه الشعب التونسي لعدم السماح للرئيس باســـتكمال مدَّته وأنه لم يكن هناك داع للشـــغب؛ إذ يكفي أن يذهبـــوا إليه ويطلبوا منه التنحي وســـيتنحى، وأن دمـــاء أبنائهم ذهبت هدراً وأن التحول ســـيكون مقبولاً لو أن الجمهوريـــة تَخْلُفُها جماهيرية. أمـــا إذا كانت جمهورية بدل جمهورية فلا فائدة. وقام العقيد ببعض المحاولات اليائســـة لامتصاص الصدمة؛ فبادر بقيادة المظاهرات للإصلاح ولكن الوفود المطالبة بتحسين الأوضاع - للأسف - جاءت إلية من أنحاء ليبيا تطالب الزعيم بكذا وكذا... وكان جوابه الصمت.

وولم تكن المطـالب القاتلة رواتب ولا ســـكناً ولا خـدمات ولا حرية؛ بل هي ما لا يستطيعه إلا الله - تعالى - وهو إحياء الموتى! نعم، إحياء الموتى؛ ففي إحدى نزوات الزعيم وفي خضم التحالف ضد الإرهاب كان الزعيم يقدم براهينه العملية على أنه جدير بالثقة، وأنه كما كشف وسلَّم الغرب البرنامج النووي الليبـــي فها هو يحارب الإرهاب ويملأ الســـجون بالإرهابيين وفي سجن أبوســـليم تمت تصفية حوالي ألف ومئتي سجين من الأطباء والمثقفين والطلبة الذين يجمعهم التدين وتشملهم تهمـــة الإرهاب ولم يُعلَـــن الخبر ولم تُســـلَّم الجثث؛ ولذلك فقد كانت المطالبة من أهلهم بكشـــف مصيرهم. والمشكلة أن الســـاكتين تكلموا بعد أحداث تونس ولم يكن أمام النظام إلا اعتقال المحامي الذي تبنَّـــى القضية. والجديد أن الناس قد تبنُّوا قضية المحامي فكانت الشرارة التي امتد لهيبها ليشمل معظـــم أنحاء ليبيا. وعلى الرغم من عنف النظام إلا أنه أُخِذ على حين غرة بحجم الانتفاضة؛ فقد جرى طرد اتباع النظام من شـــرق ليبيا ووصلت الأحداث إلى العاصمة وكاد النظام أن ينهار، ولكنه تماســـك وبدأ الرد ومن الملاحظ في البداية ما يلي:

**أولاً:** غياب القذافي عن الســـاحة وظهور ابنه سيف الذي رســـم تصوُّره للأحداث التي تُرجمَت بصور عملية؛ فقد خيَّر الناس بين قبول عرضه ببدء الجماهيرية الثانية وبين أن ليبيا ســـتدخل في حرب طاحنة وأن يعود إليها الاستعمار الذي لن يرضى بتكوين إمارات إســـلامية في ليبيا، وأن الذين يبكون مئات القتلى في بنغازي والبيضاء ســـيبكون آلاف القتلى، وأن الغرب سيحتل آبار النفط.

**ثانياً:** انتشـــار المظاهرات الســـلمية فـــي مختلف المدن وســـقوطها واحدة بعد الأخرى. وكانت في البدايه تســـتلهم الثورة المصرية ولكن النظام استعمل الطيران ضد المتظاهرين فـــي طرابلس، وبدأت القوات الموالية له حملة قمع دموية وتم تصوير مشاهد إعدام في الشوارع مع اختطاف الجثث. ونجح النظـــام في تأمين طرابلـــس وكان التأكد من ولاء القوات هو المشـــكلة الرئســـية أمام العقيد؛ فقد اختفى وزير الداخلية وظهر مع الثوار، وانضم وزير العدل إلى الثورة وانتُخِب رئيساً للمجلس الانتقالي، بل حتى رئيس التشرفات ظهر في القنوات يهاجم الزعيم وأعلن وزير الخارجية البريطاني أن العقيد في طريقة إلى فنزويلا، وهنا ظهر الزعيم لأول مرة في مشـــهد تمثيلـــي لثوانٍ ليؤكد أنه في ليبيـــا وأن المطر هو الذي يمنعة من مشاركة الجماهير احتفالاتهم. كان من الواضح أنه يعيش حالة صدمة، وأنه غير قادر على الاسترسال في الكلام.

**ثالثاً:** في خطابه الثاني من بـــاب العزيزية كان غاضباً ومضطرباً فـــي آن واحد وأهم الملاحظات أنـــه كرر ما قاله ســـيف وأضاف إلية ضرب بعض الأمثلة التي ترد على تفرده بالقمع فذكر كل ما جرى من المجازر والمخالفات التي مورست شـــرقاً وغرباً فذكر مهاجمة يلتســـن للبرلمان الروسي وتأييد الغرب له، وذكر أحداث ســـاحة تيانامـــن في الصين ودعس الطلبة بالدبابات، وذكر تصفية بعـــض الطوائف الدينية في أمريـــكا وما جرى في غزة، فقـــد كان يريد أن يقول: إنه من حقه أن يفعل في ليبيا مـــا فعلة الآخرون وأضاف إلية لازمةً جديدةً وهي (وَفْقَ القانون الدولي)، وأخذ يقرأ نصوص قانون العقوبات الليبي أيام الملكية ويستدل بها على حقه في تطبيق عقوبة الإعدام على المخالفين، ونسي أنه أول من تنطبق عليه النصـــوص بخروجه على الملك. وأخيـــراً أطلق الوصف على المتظاهريـــن بأنهم جرذان، وأنهم يتعاطون حبوب الهلوســـة، وأنهم أتباع القاعدة... ويمكن أن يسمى كلامه بخطبة الهلوسة ولكن من الواضح أنه بدأ يفيق ويسعى للتنفيذ.

**رابعاً:** خرج في خطاب جماهيري وبدأ في عقد المؤتمرات بحضور دبلوماسيين وصحفيين أجانب وأعلن الجماهيرية الثانية مع هدوء أعصاب تدريجي يتناسب مع تنامي قدراته على الأرض وبدء مرحلة الهجوم المضاد.

**خامساً:** من الغريب في هذه المدة سكوت الغرب عمَّا يجري، وكان من الواضح أن الغرب يعيش صدمة - مثل القذافي - من تتابع الأحداث؛ ففي البحرين يؤكد أوباما في تصريحات متتالية على الإصلاح وتلبية مطالب المحتجين التي وصلت في ما بعد إلى المطالبة بجمهورية. أما عن ليبيا فهناك صمت مطبق؛ إذ إن ليبيا القذافي «التي تحالفت معنا أخيراً واستقبلنا للتو هانيبعل معمر المسؤول عن ملف الإرهاب» تتهاوى، وعلى يد من؟ إنها مشكلة أن نفقد خدمات الزعيم المستقبلية، ومشكلة أكبر أن تولد دولة جديدة من الفراغ. ولقد لاحظتُ أن الصحافة الغربية كانت تردد مبكراً المخاوف من حرب أهلية بليبيا في تكرار لمقولات العقيد وابنه سيف.

**سادساً:** لقد تكرر من القذافي المصطلحات التالية: (الدم، وأقضو عليهم، وزنقة زنقة، وفرد فرد، والدولاب...) إنه تهديد بالإبادة وعدم الرحمة مع ممارسة تدمير المدن المتمردة بالأسلحة الثقيلة والطيران... والمشكلة بالنسبة للغرب أن هذا يجري مع حضور إعلامي كبير على مدار الساعة؛ ولذلك كان التساؤل: أين حقوق الإنسان؟ أين المنظمات الدولية ومحاكمها؟ إنها تساؤلات تكبر مع الوقت وتفضح الغرب وأنه يبحث عن مصالحة؛ فالقذافي يؤكد لهم أن ذهابه سيؤثر على أمنهم ومصالحهم، بل صرح أن بديله سيهدد إسرائيل ولم تجد هذه التحذيرات آذاناً صاغية لسبب بسيط هو أن الغرب موقن بأن الجماهيرية الثانية وُلِدَت ميتة؛ ومن ثَمَّ يجب أن يبحثوا عن البدائل الممكنة ويختاروا أفضلها بالنسبة إليهم.

لقد بيَّنت الأحداث أن الثورة الليبية عفوية هدفها الأساسي التخلص من الزعيم ومَنْ معه، وليس لديها الإمكانات التنظيمية ولا المادية، بل ليس لديها تصوُّر لشكل النظام البديل ولا رموزه المقبولة. لقد تبيَّن أنها ثورة شعب متدين انتفض على الاستعباد ليس أكثر. إنه شعب يفتقد القيادات الحرة؛ ولذا قَبِل قيادة وزير عدل القذافي للمجلس الانتقالي، وتسليم رئاسة أركان الثوار لوزير داخلية القذافي؛ إنها تجمع بين قلة الحيلة السياسية وضعف البدائل المطروحة فقد دمَّر القذافي خلال أربعين سنه التركيبة الاجتماعية؛ فالكل مطلوب منه فقط الهتاف للزعيم الأوحد والأبدي (الله ومعمر وليبيا وبس) و (القايد إلى الأبد).

لقد اختار الناس بعفوية علم الاستقلال أو علم مملكة ليبيا السنوسية ولم يقدِّموا رموز الملكية السابقة أو مؤيديها ولكنه حنين إلى عصر مضى؛ ولذلك فالغرب غير مطمئن للبديل الذي قد يظهر بعد استقرار الوضع للمجلس الانتقالي. وهنا نقف طويلاً أمام تصريح رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة مايك مولن بعد الضربة الأولى: «أن قوات التحالف دمرت معظم دفاعات القذافي الجوية، ولكنه أوضح أن العملية العسكرية الجارية حالياً لا تهدف إلى إقصاء القذافي عن الحكم»، إنه تصريح خطير قد يؤدي إلى عمليات موزونة؛ بحيث تُبقِي الأوضاع ساخنة وغير محسومة حتى تنتهي ترتيبات البدائل المقبولة؛ وهي فترة قد تطول أو تقصر وهنا نؤكد على أنه على الثوار الحذر الشديد؛ فقد تصيبهم الطائرات الغربية بطريق (الخطأ) عند تقدُّمهم أكثر من اللزوم؛ ولذا أنصح بالعمل المدروس وعدم الثقة إلا بالله - سبحانه - وأن يضعوا في أذهانهم أن محاولة جر البلد إلى حرب أهلية هو حلٌّ مطروح عند النظام وسيلة انتقام، وعند الغرب حالة اضطرار؛ لذا يجب على الثوار التلاحم والتأكيد على هوية الشعب الليبي المسلم الذي يرحِّب بعلاقات تبادل مصالح مع المحيط، وأن شكل النظام الجديد يحدِّده الشعب الليبي، وأن يستفيدوا من اختلاف القوى المتصارعة ومحاولة فتح قنوات اتصال مع الجميع، وألا يرهنوا أنفسهم لطرف، وأن يستفيدوا من عقدَتَي العراق وأفغانستان؛ فالغرب غير قادر على تحمُّل تبعات احتلال ليبيا، ولن يستطيع الجمع بين احتلال ليبيا وترتيب أوراقه في مصر وتونس بصورة مُرْضية، مع عدم القدرة على التعامل مع ملفات شائكة جديدة مفتوحة؛ فإذا انشغل بليبيا فمن يتعامل مع اليمن والبحرين؟ بل الأخطر من يتعامل مع الأوضاع الجديدة في سوريا التي قد تغير كل قواعد اللعبة والمراهنة الغربية على الحصان الشيعي الذي بدأ يدركة التعب. والهلال الشيعي الذي كاد أن يكتمل بلبنان قد يتحطم بسوريا والعراق، والسلام.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

## أهمية الوثيقة:

١- تحديد حاجات المربين وفق منهجية عالية.

٢- الاسهام في تطوير أداء المربين وتأهيلهم.

٣- الاسهام في تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو التدريب.


www.albayan.co.uk

الريـــــاض: ـ هـــــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــــاكس: ٤٥٣٢١٢١

التـــوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـــ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـــ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـــ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جـــدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمديـــنة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقـــــة الشرقيـــــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــــة القصيـــــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# ليبيا: الغرب... عين على النفط وأخرى على الإسلاميين

تحليل : محمد جمال عرفة
gamalarafa@yahoo.com

لم نعد في حاجة لأن نتهم أمريكا والغرب بازدواجية المعايير في كل شيء: في العدالة وفي الحريات وفي ادِّعاء الضغط على نظام دون آخر بحجة الديمقراطية؛ لأننا أصبحنا نفهم أن ما يحرِّك أمريكا والغرب هو مصالحهم ومصالحهم فقط؛ سواء نفذها لهم قديس أو شيطان. وبالقدر نفسه لم نعد بحاجة أن نتبيَّن هذا النفاق الغربي في ما يخص دعم الثوارات الشعبية العربية.

فقد صمتَ الأمريكيون على مجازر النظام السابق ضد شهداء ثورة تونس، بل دافعت فرنسا عن نظام بن على حتى الرمق الأخير، حتى إذا ما انتصرت الثورة الشعبية داروا معها ورحَّبوا بها، والشيء نفسه فعلوه في مصر التي ساندوا نظامها السابق ٣٠ عاماً؛ لأنه خدم مصالحهم وحمى استقرار الدولة الصهيونية وضيَّق على المقاومة الفلسطينية، وعندما نجحت الثورة هُرِعَت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية لتلتقط الصور التذكارية مع أسر شهداء الثورة؛ مع أنهم قُتِلوا واختنقوا برصاص وقنابل الغاز الأمريكية السامة الذين أطلقتها عليهم الشرطة.

إن سيناريو النفاق نفسه يتكرر في ليبيا الآن؛ إذ ظل الغرب صامتاً ينتظر من يفوز، ويتمنَّع عن التدخل لوقف قصف طائرات ودبابات القذافي لمعاقل الثوار الليبيين وهو الراغب في التدخل لحماية إمدادات النفط له، ثم في ٢٤ ساعة استصدر قراراً من مجلس الأمن بفرض حظر جوي فوق ليبيا وبدأ بتوجيه ضربات عسكرية. ولكنه بالمقابل لم يُعِر ٤٦ شهيداً سقطوا برصاص القوات اليمنية عقب جمعة الغضب ١٨ مارس اهتماماً؛ لأنه (لا نفط في اليمن ولا جمل)، كما صمت عما يجري في دول أخرى ترابط فيها قواته.

ناهيك بالطبع عن أن هذا الغرب المنافق لم يحرِّك ساكناً ولم يفرض أو يسعى لفرض منطقة حظر طيران فوق غزة – مع أنها مدينة محتلة بموجب القانون الدولي – حينما كانت الطائرات الصهيونية تقصف أطفال ونساء وعجائز المدينة في منازلهم بالفوسفور القاتل وأشدِّ القذائف الحارقة فتكاً، ويدمر مخازن الأمم المتحدة نفسها؛ لأن تل أبيب هي حليفته الشرعية.

إن السيناريو المعَدُّ لليبيا يبدو مشابهاً تماماً لسيناريو غزو العراق؛ بداية بالحظر الجوي الذي فرضته بريطانيا والولايات المتحدة في شمال العراق عام ١٩٩٤م ثم توجيه ضربات جوية لمفاصل ومعدات القوات الليبية ومعاقل القذافي ثم نشر قوات خاصة لعمليات نوعية، انتقالاً لمرحلة تقسيم البلاد وحصارها وسقوطها كالثمرة الناضجة في حِجْر الغرب، ولكن مع تغيير طفيف هو أن أمريكا والغرب تعلموا الدرس من العراق.

## ابتزاز الدول العربية:

لقد حرصوا هذه المرة على أن يأتي طلب فرض الحظر من الدول العربية حتى أعطتهم الجامعة العربية صكاً بفرض الحظر الجوي وهي تعلم أن الغرب ليس أميناً على هذا الصك

وسيستخدمه لأجل مصالحه لا لصالح الشعب الليبي.

ثم جاءت الخطوة الأهم بمطالبة أمريكا وأوروبا مشاركة عربيـــة في الحظر الجوي وهي تعلـــم أن الدول العربية ليس لديها القدرة العسكرية على هذا، كما أن الحرج سيمنع قوات عربية من قتال قوات عربية أخرى، فأعلنوا عن أسماء خمس دول عربية مســـتعدة للمشاركة تقلصت إلى اثنتين خليجيتين، ثم تـــردد أن الدولتين أكتفتا بتحمُّل جـــزء من تكلفة الحظر الجوي الذي ينفذه الغرب.

وقبـــل هذا طلب الغرب أن تأتيـــه دعوة للتدخل من قوى المعارضة الليبية، وكل هذه التمنُّعات والإطالة كي لا يقال: إنه غـــزو أجنبي لليبيا، وعلى الرغم من أن هذا التدخل هو رغبة أمريكية أوروبية ملحَّـــة وعاجلة إلا أنهم كانوا (يتمنعن – عن ضرب ليبيا – وهنَّ الراغبات).

وربمـــا يكون التمنُّـــع الغربي ثم قصف قـــوات القذافي ومعاقله، هدفه وصول ليبيا لمرحلة التقسيم بين شرق يحكمه الثوار وغـــرب – بما فيه العاصمـــة طرابلس– تحكمه قوات القذافـــي عاجزاً عن هزيمة المقاومة، فيســـهل عندها اللعبُ على الحبـــال وابتزازُ النظـــام وصولاً للحفـــاظ على تدفُّق النفط في نهايـــة المطالب من جهة، ومَنْعُ الثوار (ذوي التوجه الإســـلامي) من حكم ليبيا واحتمالات معاكســـتهم للمصالح الأمريكية والأوروبية مستقبلاً، وإضعافُهم عن بلوغ مثل ذلك.

## تكلفة التدخل الأجنبي:

لا شـــك أن التدخـــل العســـكري الأمريكي والفرنســـي والبريطانـــي ضد قوات القذافي ســـتكون عواقبه كبيرة على الثورة الشـــعبية؛ فهو شـــوَّه صفحة الثـــورة البيضاء وهو ما ســـيعطي للغرب ادِّعاء الفضل في سقوط القذافي لا شعبه، كما ســـيحمِّل الثورة فاتورة ســـيكون عليها دفعها مســـتقبلاً للغرب.

ولا نســـتغرب لو زاد هذا العدوان الأمريكي الغربي على ليبيا من شعبية القذافي مرة أخرى وجمع حوله بعض رافضي حكمه، وهي خطة كان من الواضح أن القذافي يستدرج الغرب لها، وكان الغرب يشـــتاق لأن يســـتدرجه القذافي كي يتدخل في ليبيا؛ لتكون الثورة الشـــعبية هي الضحية وهي من تلطَّخ ثوبُها غصباً عنها بالتدخل الغربي وأصبحت محمَّلة باتهامات التعـــاون مع الغرب وربما دخولهـــا طرابلس العاصمة بفضل حصان طروادة الغربي.

فتصريحـــات القذافي بعـــد الحظر الجوي وقبـــل الضربات الجوية والبحرية الغربية، كانت أشبه بغَزَل صريح للغرب؛ فالقذافي لـــم يتردد في مغازلة الغرب وإســـرائيل والتلويـــح بـ «فزاعة حكم الإســـلاميين والقاعدة» لليبيا لو ســـقط، بقوله: إن إطاحة نظامه ســـيؤدي إلى حالة من عدم الاســـتقرار في المنطقة قد تؤثر على اســـتقرار إسرائيل نفسها وســـيطرة القاعدة على ليبيا وتهديدها أمن أوروبا.

وبالمقابل جاءت التصريحات الغربية مائعة متضاربة، وفي كل الأحوال يأتي الحديث الأمريكي والأوروبي مغموساً برائحة النفـــط، رابطاً التعامل مع ليبيا والثوار بالحفاظ على مصالح الغرب فـــي تدفُّق النفط ومنع تحوُّل ليبيـــا إلى موقع متقدم لحركات إسلامية تهدد أوروبا.

## خلافات لصوص النفط:

يبـــدو حصاد الأزمـــة الليبية بناءً على ذلـــك نتاج تراكم أخطاء عربية يســـعى لصوص النفط في الغرب لاستغلالها؛ فالرئيس الليبي أخذته العزة بالإثم ولم يقبل أن يطالبه شعبه بالرحيل بعدما جلس على كرسي السلطة ٤٢ عاماً حتى صار أقدم حكام العرب وإفريقيا معاً، ولو قَبِل التنحي منذ البداية لجنَّب شعبه ويلات الحروب والشهداء.

والجامعـــة العربية أخطأت حينما أعطت القط (الغربي) مفتاح الكـــرار، وأعطت القوات الأمريكيـــة والأوروبية صكاً رســـمياً لفرض منطقة حظر جوي على ليبيـــا للمرة الأولى في تاريخها؛ على الرغم من طلب ثوار الشـــرق الليبي توجيه ضربات عسكرية محددة فقط لبعض المواقع الليبية، للحيلولة دون تقدُّم قوات العقيد معمر القذافي نحو الشـــرق وبنغازي، وحتى عندما قال عمرو موسى: إن التفويض العربي لا يتضمن غزو ليبيا كان يدرك أن الغرب لن يتدخل لأسباب إنسانية أو أخلاقية وبلا مقابل؛ وإنما لأجل مصالحه.

أمـــا الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية الأخرى التي بدأت توجيه ضربات جوية وبرية وبحرية ضد ليبيا، فقد كشف تأخُّر تدخُّلها حتى حاصرت قوات القذافي على أبواب بنـــي غازي وبدأت اقتحامها عن حجم الخلافات بين لصوص النفط.

فهناك حديث متداوَل عن أن التردد الغربي أو التأخر لم يكن بســـبب رفض التدخل؛ وإنما بسبب عدم وضوح تقسيم الغنائم بـــين الدول الغربية في ما يخـــص نفط ليبيا ووجود

خلافات شـــبيهة بتلك التي سبقت غزو العراق، وعدم وضوح صورة قوة القذافي الحقيقية، وهل يكفي الحظر الجوي وحدَه أم لا؛ خصوصاً أن نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين ظل في الســـلطة برغم الحظر الجوي على شمال العراق ١٣ عاماً حتى تم إنهاء حكمه بغزو عسكري للعراق؟

أيضاً كان من الواضح أن هناك خشـــية غربية – كما هي خشـــية ثوار ليبيا – من أن يتحـــول التدخل الدولي إلى ورقة لصالح القذافي الذي سيدَّعي أنه يقاتل ضد الأجانب لا أبناء شـــعبه في شرق البلاد ويواجه غزواً أجنبياً أو إيطالياً جديداً يحتاج لـ (عمر مختار) جديد.

ولكن الأمر المؤكد هو أن بدء الضربات الجوية والعمليات العســـكرية معناه أن الغربيين توصلوا إلى تصوُّرٍ حول نصيب كل منهم من الكعكة النفطية والاستثمارية في ليبيا بعد إنهاء حكم القذافي؛ سواء لجهة الاستثمار في المجال النفطي أو في إعادة البناء أو إنشاءات البنية التحتية.

وليس معروفاً هل توصل الغربيون إلى خطة لمن ســـيحكم ليبيا مســـتقبلاً أو من سيساندونه ليدير شؤون الدولة الليبية ويضمن مصالحهم، أم أن الأمر مؤجل وَفْقاً لتطورات الأحداث ونتائج المعارك.

## القاعدة مع القذافي!

من العجائب أن هـــذا العدوان الغربي علـــى ليبيا وحَّد رؤية القذافي والقاعدة، في صورة إعلان تنظيم القاعدة في المغرب الإســـلامي رفضه هذا الغزو الأجنبي والتحذير منه، ونصح الثـــوار الليبيين بالاعتماد على إمكانياتهم الذاتية «في التخلص من (الطاغية).

فالقذافي كان يحذِّر الغرب من حكم تنظيم القاعدة لليبيا لـــو انهار حكمه، وعندما لاحظ الإصرار الغربي على اقتلاعه من الحكم بالقوة قال: إنه ســـيتحالف مع القاعدة (التي قال كذباً: إنها يحاربها)، والتي أعلنت رفض العدوان الغربي على ليبيا.

فتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي حذَّر من «التحركات المشـــبوهة» للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في ليبيا، ودعا الليبيين إلى الاعتماد على قوَّتهم الذاتية وعلى الإسلام الذي يشـــكل «بُعْدَ الثورات الروحي ومصدر قوَّتها»، بحسب تسجيل صوتي جرى بثُّه على الإنترنت.

وحذر «الشيخ أبو مصعب عبد الودود» من تدخُّل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلســـي في ليبيا، وقال: «إن أمريكا ومعها الناتـــو هم أصل البلاء؛ فكيف يرتجـــى منهم خير أو مساعدة».

وأضافـــت القاعـــدة: «هـــم العدو، فالحـــذر الحذر من التحركات المشـــبوهة لأمريكا وحلفائها، وليأخذ المسلمون في ليبيا أهبتهم واستعدادهم لها من الآن». داعية لضرورة «عدم الوثوق بأي دور أمريكي».

## المستقبل غامض:

ليبيا مرشـــحة في كل الأحوال، عقب العدوان الأمريكي والأوروبي لحرب أهلية، وربما خطر التقسيم أو حتى التفتيت؛ لأن الطرق سُدَّت أمام القذافي وعائلته ومؤيديه بعدما حوصر وحُجزَت أمواله وقُدِّمت أوراقه للمحكمة الجنائية الدولية، لم يعـــد أمامه إلا القتال حتى أخر رمق؛ لأن الاستســـلام معناه الإهانة على طريقة صدام حسين.

ولا نبالـــغ إذا قلنا: إن ثمة اتفاقاً غير مكتوب بين الغرب الذي لا يهمه ســـوى ضمان تدفُّق النفط، وبين نظـــام العقيد القذافي، لإجهاض الثورة الشـــعبية بعدما تبيَّن الطرفان أن لا مصلحة لهما في سقوط النظام بالكامل وســـيطرة قوى ثورية غير معروفة (أو إسلامية كما تصوِّرها برقيات وكالات الأنباء الغربية) على السلطة.

ولا نبالغ أيضـــاً إذا قلنا: إن التباطوء الغربي عن التدخل وتأخيـــر بدء العـــدوان كان متعمداً لأن هنـــاك مخاوف من انتصار الثورة الليبية التي توصف بأنها (إســـلامية)، وهو ما قد ينعكس على باقي دول شـــمال إفريقيا (المغرب خصوصاً) ومخاطر وقوع الشـــاطئ الشـــرقي للبحر المتوسط في حالة فوضى تنعكس على الشاطئ الغربي للمتوسط (أوروبا)؛ سواء في صورة تعاظم الهجرة غير الشـــرعية أو انتقال «الإرهاب» عبر البحر، كما يزعمون.

ويبقي السؤال: من يكســـب هذه المعركة في النهاية؛ هل يكســـبها الثوار وتكون الضربات الجوية الغربية مجرد عامل مســـاعد لهم ولكل الشعب الليبي للثورة ضد القذافي وطرده خارج البلاد؟ أم ينجح القذافي في البقاء وحشـــد مزيد من الشعب حوله على وَقْع نغمة العدوان الأجنبي كما فعل صدام حســـين لتتقسم ليبيا إلى شـــرق وغرب؟ أم ينجح الغرب في تنفيذ ســـيناريو مشـــابه لما فعله في العراق وأفغانستان عبر (قرضاي ليبي آخر) أو (جلبي ليبي) ويجهض الثورة ويســـطو على نفط ليبيا كما سرق نفط العراق؟

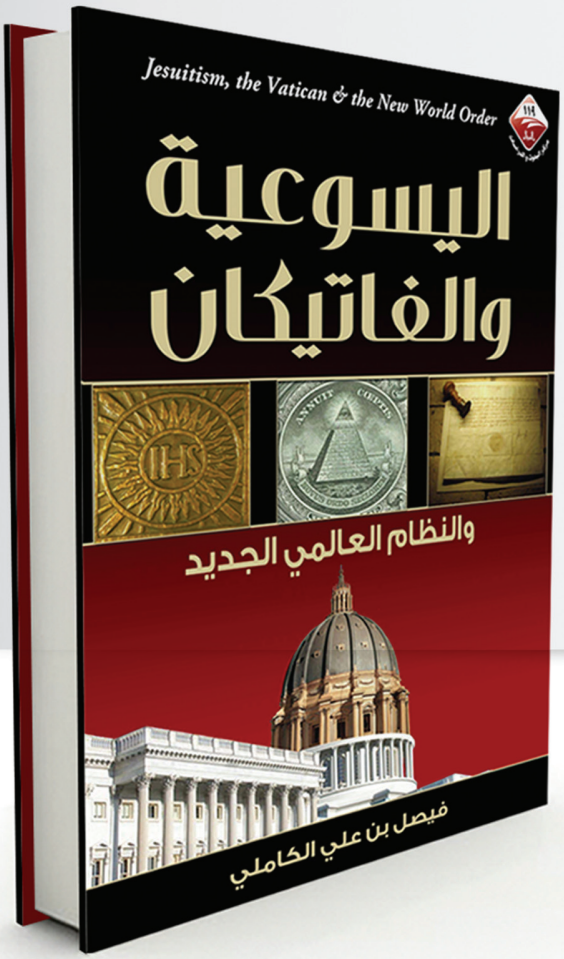


# اليسوعية والفاتيكان

## و النظام العالمي الجديد.

**اكتشف السر بعد خمسمائة عام من نذور الكتمان !**

- **ما أخطرُ الجماعات السرية على الإطلاق ؟ ولم لا نعلم عنها شيئاً ؟**
- **ماذا تعرف عن (( أصحاب الأيكة )) الجدد ؟**
- **هل الماسونية حقاً صناعة يهودية ؟ فمن تخدم إذن ؟**
- **لم لا تتغير سياسة أمريكا بتغير الزعماء ؟ ومن هو الموجه الحقيقي لهذه السياسة؟**
- **ما حقيقة التحالف البابوي ـ الصهيوني ؟ وماذا يراد للقدس ؟**

**وثائق سرية وحقائق مزعجة تقرؤها لأول مرة بالعربية في كتاب**

**(( اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد))!**

Badr: 0508948947

مجلة البيان

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# رياح التغيير في اليمن

حسين بن علي الزومي(*)

قبل حرب صيف ١٩٩٤م كتبت مقالاً في مجلة (المجتمع) الكويتية واستشرفت فيه نذر الحرب القادمة، فرد عليَّ أحد الإخوة في العدد الذي يليه واتهمني بالعمالة والجهل.

وبعكس ما قلت في ذلك الزمن، فإني أزعم اليوم ألاَّ بوادر للحرب في نظري - على الأقل حالياً - وهذا ما سيتضح من خلال حديثي هذا.

(رياح التغيير في اليمن) هو عنوان أصدق كتاب تحدث عن ثورة سبتمبر اليمنية عام ١٩٦٢م لمؤلِّفه الأستاذ الأديب (أحمد محمد الشامي) رحمه الله. هذه الرياح عادت بقوة الآن في المنطقة العربية واليمن جزء منها لتجتث النُّظم والمنظومات الفاسدة، وباتفاق المراقبين لدهاليز السياسة والعارفين بسنن التاريخ؛ فإن التغيير حاصل وإن اختلفت نسبته من دولة لأخرى.

عموماً، ما يهمني هنا بلدي، وكلُّ علماء بلد ومفكروه أخبر بمستقبل كيانهم السياسي.

أما اليمن وبلادي التي كانت سعيدة، فالتغيير فيه نوع تعقيد؛ في قوة رياحه، في شكله الراهن ومستقبله القادم، في تأطيره الشرعي لدى العلماء، وإخراجه المقبول والفاعل لدى السياسيين، وفي سقف مطالبه المنشودة لدى الشارع؛ فضلاً عن تقاطعات المصالح، ومحاولة فرض الأجندات من كل الطوائف الفاعلة في الساحة.

ودعونا نسلط الضوء على بعض محركات التغيير في اليمن حتى تتضح الصورة أكثر:

(*)عضو مجلس أمناء مؤسسة الجزيرة للدراسات صنعاء.

## أولاً: محركات داخلية:

١ - **القبائل:** من المعلوم أن تركيبة المجتمع اليمني في كثير من المحافظات المؤثرة في القرار، قائمة على سلطة القبيلة، وعلى التراكب الهرمي لمشايخ القبائل الكبرى، التي ترتفع فيها الطاعة والعصبية للقبيلة إلى أعلى من أي ولاء آخر.

وقد كان النظام الحاكم يراهن على القبيلة، ولكننا نلاحظ بوضوح في الآونة الأخيرة أن أغلب التكتلات القبلية وقفت مع مطالب الشارع اليمني بوضوح، خصوصاً قبيلتي حاشد وبكيل صاحبتي القوة والنفوذ.

٢ - **العلماء:** كلمة العلماء في اليمن لها صيت وقَبُول واسع على مستوى الشعب ومشايخ القبائل، بل حتى لدى قطاعات كبيرة من الجيش. أما النظام السياسي فلا أدري هل يتعامل معهم من باب الاحترام، أم أنهم مجرد (كرت) يستخدمهم الحاكم لتحقيق أغراضه فقط؟

وعلـــى العلماء أن يعوا دورهم ومكانتهم، وأن لا يتوانوا أو يضعفوا وقد بدؤوا المبادرات التي ترضي جميع الأطراف وقبل ذلك ترضي الله بتحقيق مرادِه تســـديداً وتوفيقاً، وعليهم أن يكونوا كلمة واحدة في المواقف والخطوب، وأن يحافظوا على صورتهم الحســـنة أمام الناس؛ فالعامة لا يعذرون بالاختلاف في الخطوب والمدلهمات، وواجب الوقت التطاوع والتكاتف.

٣ - **الشـارع**: وهـــو الأمر الذي أثبت جـــدواه في الثورتين الرائدتين بتونس ومصر، وهـــو ما يراهن عليه أحزاب اللقاء المشترك، وإن كان رأيي أنه ليس المحرك الوحيد عندنا ما لم تتفاعل معه بقية محركات التغيير.

وعلى شـــباب التغيير في الشـــارع أن يضعوا لهم قيادات ورموزاً من المخلصين والصادقين يعودون إليهم ويصدرون عن قولهم.. ويستطيع الشباب التنسيق مع بقية محركات التغيير (وقد بدؤوا في ذلك الآن ولكن ليس بالشكل المطلوب والمنظ)

٤ - **الأحزاب السياسـية**: وهي أحـــزاب فاعلة ومؤثرة لها ثقلها في الشـــارع، بخلاف الأحزاب السياسية الضعيفة في مصر وتونـــس أو المعدومة كما في ليبيـــا، فلدينا على الأقل أحزاب اللقاء المشـــترك وحزب المؤتمر الحاكم، والذي أخشاه – وهـــو ما بدأت بوادره – أن نتغافل عن كل محركات التغيير، وعن المطالبات الحقوقية لرجل الشـــارع، وتتحور القضية إلى المناكفات السياســـية والشد والجذب في تحقيق بعض المآرب السياسية ليس إلا، وتضيع في متاهات ذلك قضية الشعب.

٥ - **الحـراك الجنوبي والتمرد الحوثي**: فكل منهما يرجو الانفصال، والخبرة السياســـية تنبيك أن الســـقوط المفاجئ والمدوي للنظام ينتج عنه حتمـــاً الانفصال، وهذا ما دعاهما إلى تغيير الشعارات السابقة إلى المناداة بسقوط النظام. وفي حالة كان ســـقوط النظام سلمياً ومبرمجاً فسيعودون بسرعة للسيمفونية القديمة.

٦ - **القوات المسـلحة**: بخلاف أغلب الجيوش العربية التي تدين بالولاء للقائد الرمز أو يكون ولاؤها للغرب فإن الجيش اليمنـــي كما هو معلوم للمراقب متعـــدد الولاءات لبعض قادة المعســـكرات ولبعض مشـــايخ القبائل، وما حدث أثناء حروب صعـــدة المتتالية لدليل واضح على ما أقول، ولا أريد التحدث عـــن الخيانات التي حدثـــت فليس هذا مجالهـــا. وربما لن يصفو للنظام الحاكم ســـوى (الحرس الجمهوري) و (القوات الخاصة).

## ثانياً: محركات خارجية:

**القنوات الإعلامية**: ويأتي على رأسها (الجزيرة ) خارجياً، و (سهيل) محلياً وإن كانت تبث من الخارج. وبغض النظر عن مصداقية كل ما يطرح؛ إلا أن كثرة الطُّرق وقوته على موضوع يصنع شـــيئاً من التهويـــل ويصور للرائي أن الســـقوط قاب قوسين أو أدنى، وهكذا هي صناعة الإعلام اليوم.

ولا شـــك أن هذه الآلة الإعلامية الساحرة تسيطر على عقول الرأي العام وتصنعه وتشـــكِّله كيف شـــاءت؛ خصوصاً إذا علمتَ أن (الجزيرة) بالذات تحظى بمصداقية عالية لدى الشـــعب اليمني (حتى أكثر مـــن القطريين)، في الوقت الذي تضعف فيه المؤثرات الإعلامية الأخرى كالفيس بوك والتويتر.

**السعودية**: وهي الجارة الكبرى لليمن، التي تمسك بأغلب خيوط اللعبة منذ قيام الجمهورية اليمنية، وتعتمد بشكل كبير على علاقاتها القوية بمشـــايخ القبائـــل، وإذا أردنا أن نعرف موقفها مـــن التغيير في اليمن فعلينـــا بمتابعة ما يصدر من تحركات لأولئك المشايخ.

**أمريـكا**: بحســـب البحـــوث التي صدرت عن مؤسســـة (كارنيجي) وتقارير مؤسســـة (راند ) في العام المنصرم فإننا نجد تياراً قوياً داخـــل الإدارة الأمريكية يرى أن الوضع غير المســـتقر في اليمن – سواء كان سياسياً أو اقتصادياً – سببه هـــذا النظام الفاســـد الذي هو على حافـــة الهاوية كما قال مجموعـــة من الباحثـــين، وأن تنامي القاعـــدة كان بنوع من التواطـــؤ من بعض الأطراف الحاكمة فـــي اليمن. وبناءً على ذلك فإن الولايات المتحدة إن لم تســـاهم في الإســـقاط، فلن تأســـف على أقل تقدير في ذهابـــه، مع محاولتها صنع نظام أكثر تعاوناً وانضباطاً بحسب رؤيتها، وهي التي لم تأسف على مـــن كان أكثر ولاءً في مصر كما هو معلوم، ومع ذلك فما زال لديها تخوف من اليمن؛ لأنها لم تعرف من هو الزعيم المقبل.

وهي من جهة أخرى تســـعى إلى تقسيم اليمن عبر إشاعة (الفوضى الخلاقة)، أو عبر دفع اليمن لإقامة نظام (فيدرالي) ينتهي بتقســـيم حقيقي في ظل غياب دولـــة النظام والقانون. والسياســـة الأمريكية ليس لها خرائط نهائية، وهي لم تصنع الثورات ولكنها تتلصص وتقتنص الفرص في محاولة للاستفادة من الحدث، وتتدخل في شـــؤون البلد عبر ممارسة الضغوط الدولية والمحلية لتحقيق رؤيتها الإستراتيجية في المنطقة.

**جماعات المعارضة اليمنية في الخارج بكل أطيافها:** وهي جماعات ليس لها رصيد كبير في الشارع اليمني؛ لأن أغلبها قد مارس دوره في اليمن في فترة من الفترات، واكتوى بناره الشعب المسكين، ولا يُلدَغ المؤمن من جحر مرتين. وليس لهم من حبل يصلون به إلى اليمن إلا عبر الدعم الخارجي؛ المادي والإعلامي والسياسي.

**قوة النظام وقدرته على السيطرة تنبع من المرتكزات التالية:**

القوات المسلحة: وهو في محاولة جادة الآن لجمع صفوفه تحت كلمة واحدة.

الولاءات القبلية: وبدأ يشتريها بالمال والهدايا، والزيارات المكثفة.

عناصر حزب المؤتمر الشعبي العام: وهو حزب قائم على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، وليس له أدبيات واضحة وفكر تنظيمي ظاهر. وقد تكاثرت الاستقالات ولما تقع بَعْدُ الواقعة؛ فكيف إذا وقعت؟

حرب القاعدة: وهي الفزاعة التي طالما استخدمها النظام ضد الغرب والخليج، والتي شعرت الدول المانحة فيها بنوع من الابتزاز والخداع والتهويل.

الجهل وضعف التربية لدى الشعب: ففي شعب تتجاوز فيه نسبة الأمية ٦٠٪، ناهيك عن كثير من المتعلمين الذين لا يحسنون القراءة والكتابة؛ فإن النظام باستطاعته خداعه ببعض الوعود الموهومة والكلمات المعسولة، كما أن ضعف التربية يسهم في شراء الذمم وبيع القضية المصيرية بخمسة دولارات فقط حتى قال الزبيري أبو الأحرار:

هي الشاةُ تتبعُ جزَّارها
وتنسى ببرسيمهِ ثارها
تباعُ وتشرُى من الذابحين
وتجهل في البيع أسعارها

ولكني أظن الآن أن الأمر مختلف، ويكفينا شاهداً على ذلك أولئك الشباب المصري والتونسي الذي كان يوصف بالمنحط أخلاقياً (إن جاز التعبير)، وشاء الله أن يكون مشعل الثورة ورائدها.

**مؤشرات سقوط ورحيل النظام كثيرة وهذه بعضها:**

١ – تفشي الظلم ونخر الفساد في جميع أجهزة الدولة بلا استثناء: فالرشاوى و (حق القات) والحمايات العسكرية للاستثمار أصبحت شيئاً رسمياً، والمتسولون من (العسكر) أكثر من المتسولين على أبواب المساجد، فضلاً عن سياسة التجهيل في ما يسمى بالتعليم، وقتل الأبرياء المرضى في أعظم جريمة قتل على أبواب المستشفيات الحكومية.

ناهيك عن ممارسة الظلم الفادح في نهب الأراضي لحساب كبار المتنفذين والمقربين، وشراء ذمم القضاة بشكل علني فضلاً عن غيرهم ممن هو دونهم... إلخ القائمة الطويلة.

وإن من سنن الله الربانية التي لا تحابي أحداً أخذ الظالمين، وأن الله لا يمكِّن لدولة الظلم مهما انتفشت وأزبدت، وهو من أعظم أسباب سقوط الدول.

٢ – عمق المعاناة والمأساة لدى الشعب اليمني عبر حربه بثالوث الرعب (الجهل – الفقر – المرض) في بلد غني جداً بثرواته المتعددة والمتنوعة فوق أرضه وتحت أرضه وعلى سواحله، ومع ذلك فاليمني صاحب أقل دخل في البلاد العربية، ولولا لطف الله بهذه الأحداث لكانت الأزمة الاقتصادية القاتلة على الأبواب.

٣ – عدم استمراء الشعب اليمني العريق هذه الذلة والمهانة التي وصل إليها بين أمم العالم، وارتباط اسم (اليمن) بالتخلف والفقر: ففي جميع تقارير المنظمات الدولية والإنسانية التي تعتمد الشفافية نجد اليمن يتصدر قوائم (الفساد المالي والإداري) و (عدم الاستقرار) و ( تفشي الأمراض) و (انخفاض دخل الفرد) و (الأمية) وحتى قائمة (الإرهاب)... وغير ذلك من القوائم السوداء، واسأل المغتربين خارج الوطن: كيف تنظر إليهم الشعوب الأخرى؟

ولم يبق لليمني إلا العيش على عبق التاريخ، وذكرى حضارة إسلامية ممتدة عبر الزمان والمكان لبلد كان يشع نوراً لجميع حضارات العالم.

٤ – انعدام المصداقية في الإصلاح الشامل: من رأس الهرم إلى قاع الوزارات؛ فأزمة المصداقية والوعود الجوفاء جردت النظام من ثقة الشعب، وسارعت بطوفان الثورة، بل الأدهى من ذلك استبعاد الصادقين المخلصين حتى من الحزب الحاكم، وتقريب أصحاب المصالح الشخصية والوصوليين المنتفعين والأقرباء الموالين، ومن لفَّ لفَّهم من الأبواق الصداحة المسبِّحة بحمد النظام؛ فلا يرى الحاكم بعد ذلك ولا يسمع إلا

كل تبجيل بالمنجزات الكبيرة في يمن جديد ومستقبل أفضل.

٥ – وصول الأحزاب السياسية إلى طريق مسدود مع الحزب الحاكم في ظل ديمقراطية زائفة مفصلة على ما يشتهي النظام الفاسد، هذا النظام يسخِّر كل مقدَّرات الدولة المالية وعناصره العسكرية وآلته الإعلامية للدخول في حروب الانتخابات مع أحزاب لم تقف على سوقها بالشكل المطلوب، ثم بعد ذلك يتبجح في المحافل الدولية بتعزيز الديمقراطية وتحرير المرأة.

**هناك بعض السيناريوهات المتوقعة لمستقبل التغيير لعلنا نستعرضها:**

أولاً: أن يتعقل النظام ويتفهم الأزمة ويخضع لمطالب الشعب، وتكون لديه المبادرة للخروج من السلطة بشكل سلس ومبرمج، وَفْقَ آليات وزمن محدد قريب، وبخطوات صادقة وملموسة تنتهي بانتخابات حرة نزيهة.

ثانياً: أن يتداعى جميع الأطراف ومِن ضمنهم أطراف الداخل والخارج إلى مؤتمر حوار وطني جاد، على أن تقدم السلطة ضمانات لإنجاحه، ويتم من خلاله تشكيل حكومة وحدة وطنية فاعلة، ذات صلاحيات حقيقية، ويشكَّل النظام الجديد بالتوافق.

تصعيد الاحتجاجات والاعتصامات والعصيان المدني، وهو ما سينتج عنه نوع من الانفلات الأمني، وعدد من ضحايا اعتداءات المرتزقة، ومواجهات خفيفة بين بعض القبائل، واستجرار الثارات القديمة لتصفية الحسابات، ثم يحدث السقوط المفاجئ للنظام.

تدخُّل أمريكي أو سعودي أو بريطاني في الجنوب أياً كان نوع التدخل لحل الأزمة، ولو استدعى ذلك استخدام القوة الدولية لفرض الأمن في المنطقة.

على كل حال فقد استبعدت من جميع السيناريوهات قيام حرب أهلية شاملة للأمور التالية:

١ – أن هذه الأحداث والتغييرات هي من تهيئة الله لهذه الأمة لتقوم بدورها الريادي المنشود، وهي مقدمة لزوال المشؤومة (إسرائيل)، والتاريخ يعيد نفسه؛ فكما هيأ الله أمة بني إسرائيل بالقائد والملك (طالوت) ثم تتابعت الانتصارات من بعده؛ فسيهيء الله لهذه الأمة المحمدية قيادة جديدة تقوم بأمر الله في الأرض. ولنا تفاؤل كبير أننا سنشهد مقدمات ذلك قريباً.

٢ – وهو مرتبط بما قبله ولكنه خاص بأهل اليمن، الذين كانوا مدداً للفتوحات الإسلامية عبر العصور، وسيكونون مدداً إلى آخر الزمان بنص حديث النبي ﷺ فاليمن هو بداية التاريخ ومهد الحضارات وهو نهاية العالم بالنار التي تخرج من قعرة عدن، فإذا كانت هذه مكانته؛ فكيف يكون له دور عالمي مرتقب وقد هلك أغلب رجاله في حروب داخلية بين أهل الإسلام؟

٣ – حرص دول العالم وخصوصاً دول الخليج على استقرار هذا الجزء الهام من الجزيرة العربية، حرصاً على المصالح الدولية، وخوفاً من وصول آثار الحرب إلى الدول المجاورة.

٤ – انتشار السلاح الخفيف والمتوسط بين فئات الشعب، وهو في حقيقته عامل ردع لكل الأطراف من التهور في استخدام العنف، وقد ذاق الشعب اليمني مرارة حرب الانفصال، وما زالت دماء أبناء اليمن لم تجف من حروب صعدة، فسيفكر من سيرفع السلاح الآن ألف مرة قبل استخدامه.

٥ – في كل الحروب التي خاضها الجيش اليمني كانت هناك فكرة آيديولوجية تجاه العدو، فحرب الانفصال كانت ضد النظام الشيوعي الكافر، وحروب صعدة كانت ضد الرافضة الذين يسبون الصحابة. وليس من عادة الجيش اليمني المتدين أن يقاتل بلا عقيدة يقاتل من أجلها؛ فكيف يقاتل أخاه المؤمن بلا هدف شرعي ومن أجل تثبيت السلطة فقط؟ وهذا الكلام مطرد على كل الأطراف وهي متدينة بالفطرة في وطن يعتبَر الأول في العالم في المحافظة الدينية.

وأؤكد أولاً وأخيراً على أننا متفائلون بأن الله لن يخيب رجاءنا، وسيجيب دعاءنا.. ومن بين كل أكوام الهم والقلق سيتسلل الفجر بإذن رب الفلق، وقديماً قال الزهاوي:

ورُبَّ حرٍّ رأى الأوطان صائرةً
إلى الدمار بحكم العَسْفِ والنكبِ
يقول قد وجب اليوم النزاعُ لها
كأنه قبل هذا اليوم لم يَجِبِ
ماذا على السلطان لو أجرى الذي
تشتاقه الأحرارُ من إصلاحِ
تاللـه لو منح الرعية حقها
لفدَّاه كل الشعبِ بالأرواحِ

# ثماني سنوات عجاف... أنتهى زمانها أم آن أوانها؟

أنس المندلاوي(*)

تمرُّ علينا الذكرى الثامنة للاحتلال (الإنكلو - أمريكي) للعراق، ترافقه جيوش ثلاثين دولة بعدَّتهم وعتادهم، تحت ذريعة نزع أسلحة الدمار الشامل. هذه الذريعة الأكذوبة التي لم يجد مُطْلقُوها ما يؤيِّدها، وإن كانوا متأكدين من عدم وجودها أساساً، وإلا لَمَا اضطر وزير خارجية الولايات المتحدة (كولن باول) للكذب أمام مجلس الأمن بشأن وجودها، ومن ثَمَّ بعد انكشاف عن هذه الكذبة عالمياً تحول شعار احتلال العراق إلى تحريره! ثم تلاحقت الأكاذيب والمبررات حتى وصل الأمر إلى نشر الديمقراطية، ليس في العراق فحسب، وإنما في المنطقة من خلال تجربتها في العراق، كل هذا تحت ذريعة أكبر هي تطبيق القانون الدولي، هذا القانون الذي يُنتهَك كلَّ يوم من قِبَل الكيان الصهيوني وأمريكا نفسها ومن شارك معها في احتلال العراق بشكل مباشر، من خلال إرسالها الجيوش أو الدعم اللوجستي للجيوش الغازية وللسياسة (الإنكلو - أمريكية)، التي رفضت كل النقاشات التي جرت في قاعات ودهاليز مجلس الأمن، والتي استمرت شهوراً وهي تحاول الحصول على تفويض أممي باجتياح العراق، من خلال عمليات التهديد والابتزاز السياسي؛ إلا أن كل جهودها باءت بالفشل.

ثم وقع الاحتلال، وصدر عن مجلس الأمن القرار رقم ١٤٨٣ عام ٢٠٠٣م، أناط بموجبه إدارة العراق بأمريكا وبريطانيا كونهما دولتي احتلال، ووضع على عاتقهما مسؤولية قانونية، ليس من حقه أن يتخذ أي قرار من شأنه التأثير على مستقبل العراق باعتباره بلداً محتلاً. ولكن ما صدر من قرارات اتخذها ما يسمى الحاكم المدني بول بريمر، كانت مخالِفة لكل القوانين الدولية، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: حلَّ وزارة الدفاع والداخلية والأمن والمخابرات والإعلام مع تشكيل المحكمة الخاصة، ودمج الميليشيات بالوزارات الأمنية ومَنْحِهم الرتب العالية، وتشكيل مجلس الحكم بصيغة طائفية، وإصداره قانونَ إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية، الذي أصبح هو المعيار في كتابة الدستور لاحقاً بكل ما فيه من عيوب، وغيرها كثير من القرارات التي ما زلنا ندفع ثمنها.

## حكومات ناقصة الشرعية:

في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤م غادر بول بريمر العراق على متن إحدى الطائرات العسكرية، وتسلَّم إياد علاوي رئاسة الحكومة لما سُمِّيَت بالمرحلة الانتقالية، وهو الذي ارتُكبَت على يديه جريمة الفلوجة، وعمل خلال فترة حكمه على الإعداد للانتخابات، التي جرت في ٢٠٠٥/١/٣١م وقاطعها العرب السُّنة بكل أطيافهم ومكوناتهم السياسية والعسكرية، وفازت بها قائمة الائتلاف الشيعي التي شكلت الحكومة برئاسة إبراهيم الجعفري مؤسس القتل الطائفي، وجرى خلال فترة حكمه كتابة الدستور والاستفتاء عليه، وقد حصل على الموافقة بعد تداعيات الساعات الأخيرة وموافقة الحزب الإسلامي عليه. وبسبب ذلك وما شاب الاستفتاء من تزوير فقد عجزت ثلاث محافظات عن الاعتراض عليه بنسبة ثلثي

(*) ناشط وباحث في حقوق الإنسان.

## لأن العراق في خطر

يُعَدُّ العراق أخطر بلد في العالم للسنة الثالثة على التوالي في تصنيف لبلدان العالم حول استتباب الأمن والسلام فيها، ويحتل من بين ١٨٠ دولة على مستوى العالم المركز الثالث لأكثر الدول فساداً في العالم، بعد الصومال وميانمار. أما بغداد فتقع في أسفل قائمة مدن العالم؛ على أنها أسوأ مدينة من حيث جودةُ ومستوى المعيشة عام ٢٠١٠م.

وبلغ عدد ضحايا الغزو الأمريكي للعراق حتى شهر آذار ٢٠٠٩م ٢,٣٥٠,٠٠٠ عراقي، يضاف إليهم ٣٤,٣١٣ قتيل خلال عام ٢٠٠٩م، وأكثر من ٤٥٠٠ منذ مطلع عام ٢٠١٠م. وبلغ عدد المهجَّرين في داخل البلد ٢,٧٧ مليون عراقي و ٣ ملايين إلى خارجه، منهم ٢٠ ألف طبيب وهو ما يشكل حوالي ثلث أطباء العراق. ويمثل العراقيون الجنسية الأكبر من حيث عددُ طلبات اللجوء في دول العالم؛ حيث وصلت إلى أكثر من ١٣ ألفاً خلال النصف الأول من هذا العام فقط، وهنالك ٨ ملايين عراقي يعانون من الفقر الغذائي، و (٤) ملايين هم تحت خط الفقر، وإن نسبة ٧٠ ٪ من العراقيين تفتقر إلى ماء الشرب النظيف، ونسبة ٤٣ ٪ تعيش على أقل من دولار واحد في اليوم الواحد، وثلث السكان يحتاجون إلى مساعدات طارئة.

الأصوات، فشُرِّع الدستور بكل ما تضمَّنه من مغالطات ونقاط ضعف وتفرقة وانشقاق وتأزيم للموافق، أكثر مما يدعو إلى الوحدة والانسجام. وجرت في فترة حكمه انتخابات شارك فيها أهل السُّنة والجماعة دون معارضة من جميع الفصائل العسكرية بشكل علني، أو بشكل ضمني من خلال عدم إبداء الرأي الواضح فيها، جاء ذلك بعد الجرائم الكثيرة الفظيعة التي ارتُكبَت خلال فترة حكم الجعفري.

ويبقى الاعتقال الطائفي في الليل – وهو المصدر الرئيسي للجثث مجهولة الهوية – سمة مهمة من سمات حكومة الجعفري والمالكي، وسميت تلك المرحلة بمرحلة خفافيش الليل التي كانت وما زالت مستمرة من قِبَل الميليشيات التي جرى دمجها في القوات المسلحة الجديدة وَفْقَ قانون بريمر المرقم بـ ٩١، وما زال أكثر مَن اعتُقِل خلال تلك الفترة مفقوداً، دون معرفة حاله بين الاعتقال في السجون السرية أو بين الجثث مجهولة الهوية، بينما عُثِر على عدد كبير من هؤلاء المعتقلين بين الجثث؛ سواء في الطب العدلي أو في حاويات الأوساخ أو على الأنهار المتروكة، وبشكل خاص في محافظة واسط قرب الحدود الإيرانية. فكانت مشاركة أهل السُّنة والجماعة والصمت من قِبَل جميع الفصائل؛ بحجة التقليل من هذه الانتهاكات بعد أن وُضِع اللوم عليها بسبب عدم المشاركة في الانتخابات السابقة، وهذا الاتهام غير صحيح؛ لأن المقاطعة – كما سنبين لاحقاً – كانت عامة.

وفاز الائتلاف الشيعي بهذه الانتخابات، التي جرى فيها استمرار الاصطفاف الطائفي الديني والعرقي، وتحت ضغوط أمريكية قَبِل العرب السُّنة بنتائجها رغم كل ما شابها من تزوير فاضح، وتم على أثرها اختيار المالكي لرئاسة الوزراء بدل الجعفري الذي تم رفضه بشكل كامل من قِبَل العرب السُّنة والأكراد، وإن اختلفت وجهة نظر كلٍّ منهما في ذلك؛ فالعرب السُّنة كان اعتراضهم على الجرائم الكثيرة التي ارتكبها هو وقواته وعلى سماحه للمليشيات بالعمل بحرية كاملة، بينما كان رفض الأكراد له بسبب أنه لم يمكِّنهم من مدينة كركوك.

ومنذ خمس سنوات والمالكي يتربع على رأس هرم السلطة، وعلى الرغم من مشاركة العرب السُّنة في هذه الانتخابات وفي الحكومة إلا أن الجرائم ضدهم من قِبَل الحكومة والميليشيات الطائفية أمر لا يمكن تصديقه أو تصوُّره، بسبب حجم تلك الانتهاكات: من عمليات قتل وتهجير واختطاف واعتقال، كلها تجري على أسس طائفية، الأمر الذي أثبت فشل جدوى المشاركة في الانتخابات، وبشكل خاص الأصوات التي خرجت ضد جبهة التوافق؛ فقد جرت محاكمتهم على سوء أدائهم

فـــي الانتخابات الأخيرة، ولم يحصلوا إلا على خمس مقاعد مـــن بين ٣٢٥ مقعداً عدد مقاعـــد مجلس النـواب. وفي زمن المالكـي ارتُكبَت جـرائم أبشـــع مـن ذلك؛ مـن خـلال سـرقة ما يقـــارب ٣٠٠ مليار دولار، هي ميـزانية العراق الرســـمية خلال الســـنوات الأربـــع الماضية، فظل الوضـــع على ما هو عليه: من انقطاع مســـتمر للكهرباء، وسوء الخدمات الصحية والبلدية والزراعية، والفساد في جميع وزارات الحكومة التي زادت عن ثلاثين وزارة.

وتمثل الميليشـــيات الشيعية المرتبطة بالأحزاب الحاكمة حجر الزاوية في العملية السياسية، بل هي الركن الأساسي لها خلال هذه الســـنوات الثمانية من زمن الاحتلال؛ فكانت هـــي اليد الضاربة لـــكل معارض ومنتقـــد لتلك الأحزاب، إضافة إلى اســـتهدافها كبار الضبـــاط والقادة من الجيش العراقي الســـابق وبخاصة الطيارين منهم، ولا يحتاج المرء كثيـــراً من الذكاء ليعرف أن هذه العمليات كانت تتم لصالح إيران، وإذا كان هذا على المستوى النخبوي فإن عامة الشعب كان لهم النصيب الأكبر من خلال العمليات العشـــوائية وما أكثرها! وجُلُّ الأعداد من ضحايا هذه الميليشـــيات وبشكل خاص بعد تفجير سامِراء، هذه الأكذوبة التي مع مرور أكثر من خمس ســـنوات عليها وما جرَّته علـــى العراق من دمار ولـــم يتم الإعلان عن نتائج اللجان التحقيقية التي شـــكلت لكشف الحقيقة، وما يزال أكثر من ٦٥ مسجداً من مساجد أهل السُّـــنة والجماعة مغلقة تحت سيطرة الميليشيات ولم يتـــم إعادتها رغم كل التصريحـــات الكاذبة. كل هذا يجري على مرأى ومسمع وتنســـيق مع القوات الحكومية وقادتها السياسيين.

## الجرائم والانتهاكات خلال سنوات الاحتلال:

تمثل الانتهـــاكات التي ارتُكبَت بحـــق العراقيين من قِبَل قوات الاحتلال والحكومة جريمة بحق الإنسانية، بل هي إبادة شـــاملة ضد طائفة معيَّنة، تحت أنظار العالم ومنظمة الأمم المتحدة التي تســـاوي بين الضحية والجلاد في كل تقاريرها عن حقوق الإنســـان؛ فهي تشير في هذه التقارير إلى جرائم الحكومة والاحتلال والميليشيات الحكومية بـ (يزعم، زعم،...) وغيرها من المصطلحات المشـــوِّهة للحقيقة، مع ما تمثله من أدلة موثقة عن هذه الجرائم.

وتشـــير الإحصائيات الدوليـــة إلى أن عمليـــات القتل والاعتقـــال والخطف والتهجير، هي أكثر مـــن كل ما يجري الإعـــلان عنه. ومن بين الدراســـات والبحـــوث التي أُجريَت في العـــراق عن عـــدد القتلى هناك بحث قامـــت به إحدى الجامعات الرصينة في بريطانيا في عام ٢٠٠٨م؛ حيث بيَّنت فيه أن عـــدد القتلى من العراقيين منذ الاحتلال وحتى تاريخ إعدادهـــا التقرير، قد زاد عن مليـــون وأربعمائة ألف قتيل، وهناك أضعافهم من المصابـــين، وإذا كانت هذه الأرقام قبل سنتين فإنه بكل تأكيد مع استمرار القتل والخطف والاختفاء القسري الذي تمارســـه حكومة المالكي؛ فإن العدد قد وصل الآن إلى مليوني قتيل.

وفـــي مجال الاعتقالات تشـــير الأرقام إلـــى زيادة عدد المعتقلـــين يوميـــاً، وأنَّ من جـــرى اعتقالهم خلال ســـنوات الاحتـــلال، هم أكثـــر من مليون شـــخص، وإذا كان قد أُطلِق ســـراح بعض منهم أحياءً فإنه عاد إلى أهله بعاهات نفســـية وجســـدية، أو عثـــروا عليه جثَّة بين الجثـــث مجهولة الهوية خاصة في السنوات (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م)، وإن من بقي

## لأن حرية العراقيين في خطر

**في العراق أكبر عدد سجون في العالم؛ حيث بلغت (٣٦) سجناً عدا سجن (أبو غريب) الذي يُعَدُّ الأرحم من بينهـا رغـم فضائحه الفظيعة، وتضم هذه السـجون (٤٠٠ ألف) معتقل منهم (٦٥٠٠) حدث و (١٠ آلاف) امرأة، وأكثـر مـن (٤٢٠) مركز اعتقال سـري في العراق تجـري فيها انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسـان، من قِبَل قوات الاحتـلال أو مـن قِبَل السـلطات الحكومية بمختلف طوائفها، وإن ٩٢٪ من المعتقلـين أو ذويهم أصيبوا بالكآبة وأمراض نفسـية أخرى مثل الفصام والذهان؛ بينما تراجع المسـتوى العلمي لأبنائهم بنسبة ٨٢ ٪، وهناك ٥٦ ٪ من ذويهم فقدوا معيلهم.**

في السجون السرية والعلنية يزيد عددهم عن أربعمائة ألف معتقل، هم من أهل السُّنة والجماعة باستثناء أقل من ألفين منهم من التيار الصدري[1].

أما في مجال التهجير، فتشير الأرقام المعلنة من قِبَل المنظمات الدولية ومنها: الأمم المتحدة، ودوائر الهجرة ووزارات الداخلية في الدول التي هاجر إليها العراقيون إلى أن أعدادهم تزيد عن أربعة ونصف مليون، أغلبهم في سوريا والأردن ومصر، وبنِسَب أقل متفاوتة في بقية أنحاء العالم. أما عن أعداد المهجَّرين في الداخل فإن الإحصائيات الدولية والمعلومات المتوفرة تشير إلى أن أعدادهم لا تقل عن ثلاثة ملايين شخص، ولم يرجع من المهجرين في الداخل والخارج بحسب آخر إحصاء صدر مؤخراً عن دائرة الهجرة الحكومية سوى ٦٢ ألف عائلة، ومما هو واضح لنا من خلال متابعتنا في المجال، فإن هذه العوائل لم تعد إلى منازلها وإنما تريد بيعها والانتقال إلى منطقة أخرى، بعد أن أصبح الفرز الطائفي أمراً واقعاً لا يمكن إنكاره. وقد قدَّمت تلك العوائل طلباً للحكومة لكي تساعدها على إخراج الميليشيات منها، وبشكل خاص بعد الخلاف والصدام المسلَّح بين المالكي وجيش المهدي الذي نشب بعد الصراع على اقتسام عائدات النفط المسروق من أنابيب النفط في البصرة عام ٢٠٠٨م.

وشمل الاعتقال والقتل والتهجير والخطف كلَّ شرائح المجتمع (نساءً وأطفالاً وشيوخاً)، ومن الأساتذة والكفاءات العلمية أعداداً كثيرة جداً، وعلى الرغم من عدم وجود إحصائية دقيقة تبيِّن كلَّ حالة وحجم كل شريحة من شرائح المجتمع، فإن القتل كان من نصيب أكثر من ألفي أستاذ جامعي، وثلاثمائة صحفي، وآلاف المثقفين، بينما شمل الخطف والتهجير أرقاماً لم تُحصَ بسبب الخوف من حجم الكارثة؛ ليس على قوات الاحتلال وحكوماته المتعاقبة، وإنما على المجتمع الدولي الذي لزم الصمت عن مثل هذه الجرائم.

ويوجد في العراق أكثر من مليون امرأة أرملة، وخمسة ملايين طفل يتيم، يمثلون غالبية عظمى من عدد الأميين في العراق الذي وصل عددهم فيه حسب آخر إحصائية رسمية إلى ٤٠٪ من الشعب العراقي (بعد أن كان العراق قد قضى على الأمية عام ١٩٧٩م)، وغزت الشهادات المزورة جميع دوائر الحكومة بعد الاحتلال، حتى شملت مرشحين فائزين في انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة التي جرت عام ٢٠٠٩م، فضلاً عن الكشف عن ٥٤ شهادة مزورة لمرشحين في الانتخابات الأخيرة لمجلس النواب.

ويحتل العراق المرتبة الثالثة عالمياً في الفساد المالي والإداري طيلة فترة الاحتلال، هذا بحسب منظمة الشفافية العالمية، ولم يسبقه في ذلك سوى منيمار والصومال التي دمرها الاحتلال الأمريكي أيضاً، وتركها مكاناً للصراعات الحزبية. وإذا ما أردنا أن نقارن بين ميزانيتي الصومال ومنيمار اللتين لا تتعديان ملياراً، وبين ميزانية العراق التي تزيد عن سبعين مليارٍ سنوياً كلها تذهب في مشاريع وهمية أو غير ذات جدوى، فإن العراق يحتل المرتبة الأولى في الفساد دون منازع، ونسبة من يعيش تحت خط الفقر المدقع أكثر من ٣٤٪ من عدد سكان العراق حسب الإحصائيات الحكومية الرسمية.

## ثماني سنوات من المقاومة:

شهدت الساحة العراقية فرزاً طائفياً في مجال الجهاد، وبخاصة بعد إعلان المرجع السيستاني فتواه بعدم التصدي لقوات الاحتلال، وكذلك صدر عن محمد باقر الحكيم زعيم فيلق بدر آنذاك أمر إلى جميع أتباعه، (بتوجيه من إيران بحسب ما صرح به ونُقِل عنه)، أن لا يتم التعرض لا للقوات الأمريكية ولا للسياسة الأمريكية في العراق، وهنا نضع نقطة رأس سطر، فقد انتهى الموضوع بالنسبة لأتباع المذهب الشيعي وأصبح الاحتلال في دينهم تحريراً.

وإذا كان الوضع العام في العراق يسير من سيئ إلى أسوء، في ظل الاحتلال الأمريكي ومن جاء به ومعه على دباباته، وأوهمهم أن الشعب العراقي سيستقبلهم بالورود، فإن ما يَسُرُّ في هذا المشهد المفجع بصوَرِه المؤلمة هو الصمود البطولي للمجاهدين، وضرباتهم الموجِعة لقوات الاحتلال، فقد أشار أحد مراكز البحث الأمريكية إلى تكبد قوات الاحتلال أكثر من ٣٣ ألف قتل، وما يزيد عن (٧٠) ألف مصاب بجروح مختلفة، أغلبها بتر في الساقين واليدين، إضافة إلى عشرات الألوف من المصابين بأمراض نفسية، وسجلت نسبة الانتحار في صفوفهم أرقاماً قياسية في تاريخ أمريكا؛ حتى تجاوزت أرقام حرب فيتنام بمرات، وإذا كانت تلك الحرب كما نشاهد من الأفلام الوثائقية قد أوجعت الجنود الأمريكان، فإن نسبة الانتحار في صفوفه الآن تدل على حجم ما يعانونه

(١) صرَّح بذلك مقتدى الصدر يوم السبت ٢٠١٠/٤/١٠م لقناة الجزيرة في برنامج حوار مفتوح مع غسان بن جدو.

من هول وقلق يعيشونه بسبب ضربات المجاهدين، بينما تشكِّل الخسائر المالية أرقاماً مذهلة، يعدُّها الخبراء السبب الرئيسي في الانهيار الاقتصادي الذي أصاب العالم، وألحق بالمصارف الأمريكية خسائر فادحة، حتى إن عدد من أعلن إفلاسه منها، قد زاد على كل ما أُعلِن خلال القرن الماضي.

وأدَّت معركة الفلوجة الأولى في نيسان ٢٠٠٤م إلى زيادة تنظيم العمل المسلح ولو في فصائل متعددة، الأمر الذي آتى ثماره بعد ذلك، على الرغم من عدم وجود تنسيق بين هذه الفصائل يوازي حجم التهديد الذي يحيط بها وبالعراق؛ إلا أن ضرباتها قد أثَّرت تأثيراً كبيراً ليس على قوات الاحتلال في العراق فحسب، وإنما على كل سياسة أمريكا في العراق والمنطقة، واستمر الوضع على هذه الصورة وأصبحت أكثر مدن الوسط خارج سيطرة قوات الاحتلال والحكومة حتى عام ٢٠٠٧م، وهذا ما أزعج الاحتلال فبدأ الاختراق الأمني في جميع الفصائل يؤتي أُكُلَه: من الانشقاقات في بعض الفصائل وتشكيل فصائل أخرى، إلى الاقتتال في ما بينها.

فضلاً عمَّا قدَّمته مجالس الصحوات، من خدمات جليلة للاحتلال يستحقون عليه منحهم الجنسية الأمريكية ونحن نشهد لهم بذلك، فقد أنقذوا الاحتلال الأمريكي من الوحل ومن مستنقع الهزيمة دون مقابل يذكر؛ ففي الوقت الذي كانت في الولايات المتحدة، مستعدة لتعطي كلَّ شيء من أجل الخروج من العراق بماء وجهها فقط، جاءتها الصحوات، وعرضت نفسها ذليلة للاحتلال، لمجرد أن يرضى عنها، وبعد كل ما قدمته له من خدمات قلَّ نظيرها؛ حتى أنها فاقت ما قدمه العملاء الآخرون، بل فاقت جنودها الذين لم يستطيعوا أن يحفظوا لأمريكا ماء وجهها، كما فعل عناصر العملاء من الصحوة، والنتيجة ها هم يستجدون كالأيتام على مائدة اللئام، بعد أن تم رميهم كما ترمى المناديل الورقية بعد استخدامها في المرحاض.

وما زالت أغلب الفصائل تعمل وبشكل مهني ومحترف، بعد أن خبرت أسلوب المعركة، بينما يرجع سبب قلة الضربات الآن إلى انسحاب القوات المحتلة من المدن وتمركزها في قواعدها، واستخدامها الحيطة والحذر في تنقُّلها داخل المدن، وليس لانتهاء العمل المسلح، إضافة إلى نشرها أعداداً كبيرة من الجواسيس والعملاء لرصد تحركات المجاهدين، وتأمين الطرق التي تسير عليها، وانحسار الدعم المالي لها.

## الميليشيات:

أما الحديث عن ما يسمى بمقاومة جيش المهدي فما هي إلا طريقة: إما لتحقيق مكاسب سياسية حزبية؛ فقادتها مشاركون في العملية السياسية ولهم وزراء فيها، وإما لاغراض طائفية: من تسهيل حركة أتباعهم في المجال المسلح ضد أهل السُّنة والجماعة، وقد حصلوا على وزارة الصحة والنقل والزراعة، وهي من بين خمس وزارات استلمها التيار الصدري للقتل والتصفيات الطائفية بشكل علني، وإما لمنافع مالية بتقسيم الغنائم بين الشركاء في الحكومة من خلال سرقة المال العام بشكل مباشر، أو من خلال التعيينات الوهمية التي تزيد عن احتياجات الوزارات بشكل كبير جداً، حتى إنهم قاموا بتعين بعض أئمة الحسينيات في دوائر الحكومة، ويستلمون الرواتب من غير دوام.

أما الميليشيات الأخرى التي تدَّعي أنها من المقاومة فهي ميليشيات (عصائب أهل الحق) التي يقول مقتدى الصدر بأنها انشقت عنه لِمَا ارتكبت من أفعال لم يسمِّها، ولكن بكل تأكيد ليس بسبب جرائمها ضد أهل السُّنة والجماعة؛ وإنما بسبب اختطافهم للخبير المالي البريطاني (بيتر مور) مع أربعة آخرين من مركز ما لي في بغداد عام ٢٠٠٧م، والعملية جرت لصالح إيران وَفْق التصريحات الرسمية من قِبَل الحكومة البريطانية؛ حيث جرى نقل الرهائن إلى إيران، قبل أن يتم تسليم جثثهم للحكومة، مقابل إطلاق سراح قادة هذه الميليشيات ومنهم ليث الخزعلي شقيق قائدها قيس الخزعلي، الذي أُطلِق سراحه هو الأخر بعد تسليم جثة الرهينة الخامس، ومن بين أهم الشخصيات في هذه الميليشيات: سلام المالكي وزير النقل في حكومة الجعفري، وعبد الهادي الدراجي الناطق باسم مقتدى الصدر، الذي أُطلِق سراحه ضمن الصفقة نفسها، وهذه العملية تمَّت أيضاً؛ لأن عمل الخبير كان منصبّاً على تنصيب برنامج متطور، يتتبَّع تحويل المليارات من خزينة الحكومة إلى الميليشيات المرتبطة بإيران.

## المشهد الأخير:

لا يمكن بكل تأكيد حصر المشهد العراقي بكل ما فيه من تناقضات وتضارب وأطماع في مشهد واحد؛ ولذلك وجب أن تكون القراءة في المشهد الأخير، على صعيد الداخل والخارج، بما فيه من تناقضات ومصالح لدول الجوار، وعلى رأسها مصالح أمريكا التي ضحت بكل شيء من أجل أن تفرض هيمنتها على العراق؛ خاصة بعد أن قويت شوكتها بعد تلك السنوات العجاف التي مرت عليها وهي في أحلك الظروف. وإذا كان وضعها في العراق قد تحسَّن بسبب العوامل التي ذكرناها، فقد قررت الانسحاب قبل أن تسوء الأوضاع من جديد، وهو أمر متوقَّع في ظل توقُّف بعض المقاومين عن العمل، على اعتبار أن أمريكا ستنسحب ومن ثَمَّ فليس هنالك داعٍ للخسائر، ولكن في حال عدم انسحابها فإنها ستعيد كلَّ هذه الحسابات والأرقام إلى الشارع؛ إذاً فإن الانسحاب بصورته العامة قائم؛ إلا أن هذا لا يعني انتهاء الاحتلال، فإن لم توجد قوات عسكرية بجرَفية ومهنية عالية بحجة التدريب – وهذا أمر متوقع – فإنه توجد سفارة تم الانتهاء من بنائها مصمَّمَة لتضم أكثر من خمسة آلاف موظف، وهي أكبر سفارة في تاريخ البشرية، بكل ما فيها من تقنيات حديثة ومتطورة وعناصر مؤهَّلة، لا لإدارة العمل الدبلوماسي؛ وإنما للتصدي لكل طارئ، ولا يتوقع من العاملين في هذه السفارة أن يصطحبوا عوائلهم كما هو الحال في كل سفارات العالم.

وفي الوقت الذي تُعِد أمريكا فيه العدة للانسحاب العسكري، يتزايد الدور الإيراني في العراق بشكل مطَّرد، وما تهافُت الأحزاب التي شاركت بالانتخابات الأخيرة على إيران إلا دليل قاطع يؤكد الدور الإيراني قبل الانتخابات وبعدها، ومنها عمليات الاجتثاث وتصريحات نجاد الواضحة حول ذلك؛ وخاصة أنها كانت قد طلبت أن يكون لها دور في إدارة شؤون العراق بعد انسحاب القوات الأمريكية. ويبدو أن الدبلوماسية السرية بين دولتي الاحتلال (أمريكا وإيران) قد أتت أُكُلَها في هذا الصدد، وما التصريحات النارية بين الطرفين إلا من باب تحقيق المكاسب من خلال المفاوضات؛ خاصة في ظل حال متواضعة لدول الجوار العربية. وما زيارات عدد من قادة الكتل والأحزاب الفائزة بالانتخابات إلى السعودية إلا لذرِّ الرماد في العيون، والقرار النهائي اتُّخذ في طهران، وهو ما دعا علاوي أن يطلب من إيران دعوته لزيارتها.

وإذا كان هذا في الوضع الخارجي، فإن الوضع الداخلي لا يقل تشويشاً عنه، وهو ما لمسناه في السنوات الثمانية من الاحتلال: من قتل وتدمير تمارسه الأحزاب الحاكمة لتأجيج الوضع الطائفي، لتحقيق مكاسب سياسية، وما تفجيرات قبَّتي الإمامين في سامراء وتفجيرات كبيرة كانت تقع في مناطق شيعية إلا مِن فعل الأحزاب الحاكمة لتحرِّك ميليشياتها، وكذا تصريحات المالكي الأخيرة التي هدد فيها بعودة التدهور الأمني بشكل لا تُحمَد عقباه والحرب الطائفية إذا لم يتم إعادة الفرز لأوراق الانتخابات يدوياً. وللمالكي – كما هو معلوم – دور كبير في تفخيخ السيارات التي تبناها حزب الدعوة في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، ولم تمضِ سوى أيام قلائل على تهديد المالكي، حتى جرى تفجير سبعة مبانٍ مدنية في مناطق شيعية.

إن الوضع بما فيه من انشقاق طائفي على المستوى السياسي والشعبي، مع تراجع السيطرة الأمريكية على الأحزاب لصالح إيران، واتفاق سياسي على أن لإيران دوراً مهماً في مستقبل تشكيل الحكومة، وانحسار الموقف العربي الموحَّد لجميع القضايا في العراق، كل هذا له دَوْر في مستقبل العراق والعراقيين في أمنهم وقوَّتهم، ويبقى السؤال الكبير الذي يطرح نفسه: هل هي ثماني سنوات عجاف انتهى زمانها، وولى دمارها وقتلها واعتقالها، أم هي ثمانية قد آن أوانها؟

# عصر الشعوب

د. إبراهيم الشمري

في مثل هذه الأيام قبل ثماني سنين، كانت نذر الحرب الأمريكية الظالمة على العراق تلوح في الأفق، وكان الوجوم والخوف يسود المشهد في عالمنا العربي والإسلامي، فأمريكا كانت في ذلك التاريخ سلطانة العالم، ولم يكن أحد يتخيل أنها يمكن أن تُهزَم، غيرَ فئام من المؤمنين المعتصمين بكتاب ربهم وقوله - سبحانه -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله - سبحانه - على لسان أصحاب طالوت الثابتين: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقوله - عز وجل -: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فتمسكوا من أسباب ربهم بعروته الوثقى وحبله المتين، فلم يزالوا للحق ناصرين وبه ظاهرين إلى أن بزغ فجر الإيمان للناس وأشرق نوره للعالمين، وخُسِف قمر بهتان أمريكا وأوليائها، وأضحى كوكبه من الآفلين، فتأكد لمن كان خائفاً مرتعباً ترهبه قوة أمريكا - وهي في بلادها فلم يجرؤ على معارضتها ولو برأي - أنها نمر من ورق، وأن زيف إعلامها هو الذي صنع لها هذه الهالة الزائفة، وأن القوة المطلقة بيد الله - تعالى - الذي يقول: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فظهر نصر الله لأوليائه أشهر من الشمس وقت الزوال، وأوضح من البدر ليلة الكمال.

وزمجرتْ سُوَر القرآن صارخةً
فرددتْ بعدَها الآفاقُ آمينا

إن خصومتنا مع عدونا لم تكن عن هوى من أنفسنا، وإنما اتباع لشرع ربنا الذي يقول: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، فكانت لغة الخصومة رصاصاً وقصفاً وعبواتٍ وقنصاً، ومواجهاتٍ واعتقالاً وشهادة وقتلاً... وغيرها من أحاديث القتال، كما كان لدعوة هذا العدو فسحة وسط هذا الضجيج، وأذكر أن الشيخ أمير الجيش الإسلامي بحكمته وحنكته المعهودة، قد أصدر أمراً بوضع بعض الكتب الصغيرة، التي تتحدث عن الإسلام باللغة الإنكليزية في أماكن وجودنا وفي سياراتنا، وكان بنفسه يوزع علينا بعضها، من أجل تعريف هذا العدو بالإسلام دين الرحمة والسماحة إن حدث شيء من اللقاء السلمي؛ كأنْ يمر أحدنا في نقاط التفتيش، أو في مداهمات المنازل والمكاتب، فكان لهذه الخطوة أثر طيب، ثم ما لبث أن أصدرت قوات الاحتلال تعليمات إلى جنودها بعدم قراءة أي كتاب يتحدث عن الإسلام.

وكان من إفرازات الاحتلال والتعاون الإيراني معه على إسقاط الدولة العراقية، أن تمكَّنت قوى المليشيات الشيعية الطائفية من اختراق أجهزة الدولة وأصبحت كثيرة أجهزة الدولة التي تدار من قِبَل إيران مباشرة أو عن طريق أوليائها، وكان لهذا التزاوج في الاحتلال أثره السلبي الهائل على المنظومة الاجتماعية في العراق؛ إذ استخدمت أمريكا المليشيات الشيعية في قتل أهل السُّنة وتهجيرهم من مناطقهم؛ عسى أن تنحرف بندقية المقاومة وتتجه إلى شعبها وتترك توجيه السلاح إلى صدر عدوها الأمريكي. وكانت المقاومة متنبهة إلى تلك الحيلة الخبيثة، وبذلت قيادتها جهداً كبيراً في السيطرة على البوصلة أن لا تنحرف، وكان أن صدرت تعليمات مشددة بأن يقوم رجال الجهاد بأنفسهم بحماية المناطق الشيعية التي تقع تحت سيطرتهم أن لا يصيبها تهجير أو إيذاء بغير وجه حق، وبذلك استطاعت المقاومة أن تطوي صفحة خطيرة من صفحات العدوان، وأصبح الحفاظ على السلم الأهلي واحداً من أهم أهدافها؛ لأن هذا السلم هو محيط دعوتها المستقبلية.

لقد عاد للأمة شيء من وعيها بقدرتها على التغيير بعد التوكل على مسبب الأسباب ومقدِّر الأقدار، ثم دارت الدائرة على حلفاء أمريكا أو لنقل: مداهنيها من حكام المنطقة، فتنبهت الشعوب إلى قوَّتها الكامنة فاستطاعت مظاهراتها السلمية في غضون أيام قليلة أن تُسقِط حاكمَين من أقوى حكام بلاد العرب، فسقط (زين العابدين بن علي) رئيس تونس في ثلاثة وعشرين يوماً، وسقط (حسني مبارك) رئيس مصر في ثمانية عشر يوماً، ولم ينفع ترياق الإرهاب والإسلاميين الذي حاول النظامان استخدامه في إطالة أمد عمريهما المنقضيين، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، وها هو (ثالثة الأثافيِّ) نظام القذافي قارب على السقوط، بعد أن مكث اثنتين وأربعين سنة عجفاء جاثماً على صدور الليبيين، وتراه يردد الحجج نفسها؛ بأن الإسلاميين قادمون إن ذهب نظامه.

إننا إذ نقول ذلك لا نقوله تشفياً؛ وإنما تشخيصاً للواقع المؤسف، وكم كنا نتمنى أن تنصلح العلاقة بين الحكام وشعوبهم بأدنى من ذلك بكثير، حفظاً لثروات الأمة وخوفاً عليها من أوكار الفتنة، أن تستغل تلك الظروف وتوجه الأحداث في غير صالح عباد الله.

لقد غاب عن بعض الأنظمة العربية الحاكمة: أن العدل والعلاقة الحسنة بين الحاكم وشعبه والرفق بالرعية هو منظومة أمان الحكم وسعادته؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ! مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».

إن عصر الشعوب الذي فجرته المقاومة العراقية بإنجازاتها الهائلة قد بدأ. قال القائد العام لجماعة الجيش الإسلامي في العراق: «لقد أكدنا مراراً أن من أهم منجزات الجهاد في العراق نقل شباب الأمة وكفاءاتها من العيش على هامش الأحداث إلى قيادة الأمة، وقد كان بفضل الله - سبحانه وتعالى - وها هو ذا يترسخ يوماً بعد يوم»، ولا مجال لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء وتخطيء أمريكا والغرب إن ظنوا أنهم يستطيعون الاستمرار في اللعبة نفسها وهي تخويف الحكام من شعوبهم، وتخويف الشعوب بحكامها؛ لكي تكون أمريكا هي الممسكة بمعادلة الخوف والأمان؛ وذلك خوفاً من قدوم أهل الدين والإيمان إلى سدة الحكم، وكأن على الحاكم أن يكون شيطاناً حتى يستطيع الحكم، خابوا وخاب فألُهم؛ فقد ظهر مشهد جديد لا تمسك فيه أمريكا بخيوط اللعبة، وأن عليها وعلى حلفائها من الغربيين أن يتمعنوا المشهد ويقرؤوه جيداً، ويعلموا أن الإسلام هو دين هذه الأمة، فإن ظنوا أن الوضع الشاذ (وهو تنحية شريعة الإسلام عن حكم أتباعه) يمكن أن يدوم فهم واهمون، وعصر الجماهير الذي بدأ هو عصر الإسلام لأنه دينها، ومن الخير لأمريكا والغرب أن يتفاهموا على مصالحهم مع الجماهير ومع من يمثلها تمثيلاً صادقاً، على قاعدة الاحترام المتبادَل والمصالح المشتركة ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢].

اللهم! أبرم لأمتنا أمر رشد يعز به أهل طاعتك ويُذَل به أهل معصيتك، واحفظ شباب الإسلام في كل مكان، وحقِّق بهم آمال أمتهم بحولك وقوَّتك يا عزيز يا قدير، وصلى الله على عبده ونبيه محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

# المشهد العراقي
## بعد ثمانية أعوام من الاحتلال

إعداد: عبد المجيد خضير

شكّل احتلال العراق انعطافة مفصلية في تاريخ الأمة، وألقى بظلاله على حركتها فكانت له تداعيات مؤثّرة في مجالاتها كافة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية).

وبمناسبة مرور ثمانية أعوام على احتلال العراق وانطلاقة مقاومته التي استطاعت أن تترك بصماتها ليس على الساحة العراقية فحسب وإنما في المنطقة والعالم بأسره، فإنه ليسرنا أن نقدِّم تغطية تحليلية وقراءة مستقبلية لهذا الحدث من خلال استضافة عدد من الشخصيات التي لها مشاركة فاعلة أو اهتمامات واسعة في المشهد العراقي، وهم:

- الشيخ علي الجبوري (الأمين العام للمجلس السياسي للمقاومة العراقية).
- الدكتور مهند العزاوي (الخبير العسكري ومدير مركز صقر للدراسات الإستراتيجية).
- الدكتور عبد الرحمن الرواشدي (المشرف العام على موقع وكالة حق الإخبارية).

### المحور الأول:
### مستقبل العراق:

**لا يخفى على متابع تعقيد المشهد العراقي وتقلُّباته على مستوى المواقف والأحداث، ولكننا نحاول في هذا المحور أن نسلط الأضواء على مستقبل العراق السياسي بعد ثماني سنوات من الاحتلال والمقاومة وصراع المصالح، وكيف يستشرف ضيوفنا هذا المستقبل؟**

في البدء يؤكد (الشيخ علي الجبوري) الأمين العام للمجلس السياسي للمقاومة العراقية على أن مستقبل العراق سيكون مشرقاً إن شاء الله؛ لأنه يملك من الإمكانيات البشرية والمادية ما يؤهله ليكون رائداً وفاعلاً بين دول العالم؛ ولكن ذلك يحتاج إلى عمل من الشرفاء الخيرين من أبنائه، وخروجه من قبضة أعوان الاحتلال ومن جاؤوا على ظهور دباباته، وأشار إلى أن المقاومة - ومنها المجلس السياسي للمقاومة العراقية - عندها رؤية للحل المنشود في العراق، التي ستصل بالعراق إلى بر الأمان والمستقبل الزاهر. ويحددها (الشيخ علي الجبوري) بإنهاء احتلال العراق واستعادة سيادته الكاملة، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية من قبل جيرانه أو أي أطراف أخرى، وتعويض جميع الأضرار البشرية والمادية والمعنوية التي سبَّبَها الاحتلال، وإعادة أعمار العراق، وإنجاز مصالحة حقيقية شاملة بين

أبناء الشـــعب العراقي، وينتهي بقيام نظام سياسي حقيقي عادل ورشـــيد، يتمثل بقيادة ومؤسســـات سياسية شـــرعية، ويعتمد المواطنة أساساً للتعامل مع جميع مكونات الشـــعب العراقي دون تمييز أو تهميش أو إقصاء، ويضمن حقوق العراقيين كافة، ويصون استقلال ووحدة العراق، ويسهر على أمنه ويحافـــظ على عروبتـــه وإســـلاميته، ويعمل وَفْقَ إســـتراتيجية عمل شـــاملة لتحقيق الأهداف التي تكون محل توافق بين العراقيين جميعاً.

أما (الدكتـــور مهند العزاوي) فيرى أن خطيئة غزو العراق جريمة ضد الإنســـانية أســـهمت في تفكيـــك الدولة العراقيـــة وَفْقَ أجنـــدات وبرامج أجنبية وإقليمية حاقـــدة، كان لها الأثر الكبير في تصدُّع الجدار الاجتماعي الواقي بســـبب الأخطار والأيديولوجيات الهجينة والشـــاذة؛ إلا أن الشعب العراقـــي وفي مقدمته فرســـان المقاومة العراقية وبعد ســـنوات الاحتلال الثمانية قد أســـقط كافة مرتكزات الشـــر والجريمة والإرهاب السياســـي وإرهـــاب القوة، وخرج ليقول: «أنا الشـــرعية» في تحـــوُّل كبير وعظيـــم، وولوج حقيقـــي إلى نظام الحكم الرشـــيد وروح المواطنة العراقية، وقد عبَّر عنهـــا بثورته في ٢٥ فبراير، مؤكداً أن العراق الآن ضمن لوحة التغيير السياسي بالمنطقة؛ ولكن وَفْقَ أرادة الشعوب وبما يتسق ومفاهيم الثورة العصرية المتحضرة، وبعد التغيير السياسي القادم أعتقد أننا ســـنمر بمرحلة انتقالية تكنس المرتزقة السياسية وتنظـــف الفوضى والانهيار، وســـتعيد العراق إلى مكانتـــه ودوره تدريجياً، وبالتأكيد هناك تضحيات لمصلحة العراق.

في حين يشخِّص (الدكتور عبد الرحمن الرواشدي) تطوراً ملحوظاً في الوعي والإدراك ومن ثَمَّ في الإرادة الشـــعبية لدى أبناء العراق؛ على الرغم من شـــدة التحديات وتكالب الخصوم على الشعب العراقي الأصيل من ظلم وطغيان وحصار وحروب دموية متوالية، ثم احتلال أمريكـــي بغيض واكبه نفوذ إيراني صفوي في كثير من مفاصل الحياة، وســـاحة مكشـــوفة أمام مخابرات العالم أجمع، ومشـــاريع تقســـيم واقتتال أهلي إثني، وسلخ للهوية العربية الإسلامية وجدت من يروج لها في أطياف الشعب العراقي.

ويضيف: إن المقاومة العراقية الجهادية ســـاهمت بشـــكل فاعل ومؤثر في إفشال المشروع الأمريكي في العراق أو المنطقة، أو قلَّلت من خطره، وســـاهم الشـــعور العربي في مواجهة المد

## والطفل العراقي في خطر

إن ٢٨ ٪ مـــن أطفـــال العراق يعانون من ســـوء التغذيـــة، و١٠ ٪ من أمراض مزمنة، بينما تنجب ٣٠ ٪ من النساء أولادهن في المدن و٤٠ ٪ في الأرياف بلا عناية صحية.

وتضاعفـــت نســـبة الزيادة فـــي حالات التشـــوه المزمنـــة (chronic deformities) بـــين الأطفـــال الرضَّع في مدينـــة الفلوجة ١٥ ضعفاً، وارتفعـــت حـــالات الســـرطان فـــي وقـــت مبكـــر مـــن الحيـــاة، ناتجـــة عـــن اســـتخدام القـــوات الأمريكيـــة لأســـلحة كيماويـــة أو فـــوق تقليدية، وإن مـــن بـــين (١٧٠) حالـــة ولادة حديثـــة في مستشـــفى الفلوجـــة، ٢٤ ٪ من الأطفـــال توفُّـــوا خلال ســـبعة أيـــام و ٧٥ ٪ منهم كانوا مشـــوَّهين خلقياً. وبمقارنة هذه الأرقام مع ســـجلاَّت شـــهر أغســـطس ٢٠٠٢م تبيَّن أنه من بين كل (٥٣٠) ولادة توفي ستة أطفال فقط في الأسبوع الأول مع وجود حالة تشوُّه واحدة. وتؤكد الإحصاءات المتوافرة في المحافظات العراقية، باســـتثناء تلك التابعة لإقليم كردســـتان، على إصابة (٦٣,٩٢٣) شخصاً بالسرطان خلال السنوات الخمس الماضية، منهم (٣٢,٢٨١) من الذكور و (٣١,٥٥٢)من الإناث، وســـجلت (٦٧٠٠٠) حالة (إيدز) بعدما كان العدد الإجمالـــي للمصابين بهذا المرض قبل الاحتـــلال (١١٤) حالة. وتعرض أغلبهم إلى الموت، ويشكل الأطفال والنساء النسبة الأكبر.

ونتيجة ذلك فقد أصبحت نســـبة وفيـــات الأطفال في العراق هي الأعلـــى عالميـــاً، وإن واحـــداً مـــن كل ثمانيـــة أطفال يولـــدون أحياء في العراق يموت قبل بلوغ السَّنة الخامسة من عمره.

الصفـــوي، وتحدَّت الإرادة الجماهيرية المشـــروعَ الطائفي، ثم سعت محتشدة لإجهاض أي بادرة لعودة الحكم الدكتاتوري. إن العراق في ظل المقومات القائمة على المشروع المقاوم والمناهض للوجـــود والنفوذ الأجنبيين، وفي ظل تلاحم النســـيج العراقي والتعددية السياســـية والتعاطي الإيجابـــي مع المحيط العربي والإسلامي، سيكون له مستقبل سياسي ناضج يقوم على العدل والمساواة واحترام الحقوق الأساسية وعلى الحكم الرشيد.

**المحور الثاني:**

## مستقبل المشروع المقاوم والمناهض للاحتلال:

**لقد انطلقت المقاومة العراقية بقوة وأوقعت القوات الأمريكيـة وحلفاؤهـا فـي مـأزق كبير، وهو مـا جعلها تحظـى باحتـرام واهتمـام كبيريـن مـن قِبَـل المتابعين للمشـهد العراقـي؛ ولكن جـرى تشـخيص ضعفها في تقديم مشروع شعبي يوظف إنجازاتها على أرض الواقع؛ فما مستقبل المشـروع المقاوم والمناهض للاحتلال؟ وما طبيعة برنامجه للمرحلة القادمة؛ لا سيما إن التزمت القـوات الأمريكيـة بالانسـحاب من العـراق عند نهاية هذا العام؟**

يقـــر (الدكتور مهند العزاوي) بمســـتوى نضـــوج فصائل المقاومة، وأنها تقرأ الســـاحة بشـــكل حِرَفي مميز، وقد لفت انتباهه التزامهم بإرادة الشارع العراقي وتعليقهم كافة العمليات

## لأن الأسرة العراقية في خطر

تشـير التقاريـر إلـى أن مـن إفـرازات سـنوات الاحتـلال الخطيـرة هـي تحـوُّل العـراق إلـى بلـد الأرامـل واليتامـى؛ إذ يضـم (٣ ملايـين) أرملة و (٥ ملايـين) يتيـم و (٥٠٠ ألـف) مشـرد، ولا تضـم دور الأيتـام التابعـة للحكومـة إلا(٤٥٩) يتيمـاً فقـط، وإن مـا يقـارب مليـون طفل دخلـوا ميادين العمل المختلفـة. وبلـغ عـدد العوائـل المهجَّـرة (٢٦,٨٥٨) عائلـة فـي محافظات العـراق باسـتثناء محافظات إقليم كردستان، وذلك لغاية منتصف عام ٢٠٠٧م.

وتشير الإحصاءات إلى وجود (٤٠٠ ألف) معتقل منهـم (٦٥٠٠) حدث و (١٠ آلاف) إمرأة، وأن ٩٢ ٪ من المعتقلين أو ذويهم أصيبوا بالكآبة و أمراض نفسـية أخـرى مثل الفصام والذهان، بينما تراجع المسـتوى العلمـي لأبنائهـم بنسـبة ٨٢ ٪، وأن ٥٦ ٪ مـن ذويهم فقـدوا مُعيلَهم، ويضم أحد سـجون النسـاء التابعة لـوزارة العدل الحكومية (٤٠٠٠ إمـرأة) و (٢٢) طفلاً حديث الولادة، وتشـكِّل نسبة أهل السنة ٩٣ ٪ منهن، يواجهـن فيـه تُهمـاً ناتجـة عـن العـداء والدعـاوى الكيدية، بينهن مجموعة من حَمَلَة الشهادات مضى على اعتقـال بعضهـن ٣ سـنوات يتعرضـن خلالها لعمليـات اغتصـاب وتعذيب، وإنهن يعانـين أوضاعاً صحية وإنسانية صعبة.

واسـتمراراً مع مسلسـل فَقْد الأمهات المتميزات تشـير بعـض التقارير إلـى أن (٦٠٠) أمرأة فاعلة في المجتمـع العراقي تم اغتيالهـن، منهن (٣٥٠) طبيبة وعاملة في القطاع الصحي والإنساني.

ومما سـاهم في ضعف التربية الأسـرية النسبةُ العاليـة فـي انعـدام التحصيـل الدراسـي؛ سـواء للأمهـات أو لأولادهـن وبناتهـن، إذ إن أكثر من ٧٠ ٪ من بنات ونساء العراق أصبحن خارج نطاق التعليم في المدارس والكليات.

أمـا وزارة الصحـة العراقيـة فلهـا إحصاءاتهـا الخاصـة بهـا التـي تؤكد أن نسـب الطـلاق ارتفعت بنسـبة ٢٠٠ ٪ بينمـا لم ترتفع نسـبة الزواج من بدء الاحتـلال وحتـى عـام ٢٠٠٦م أكثر من ٥٠ ٪. وتشـير التقاريـر إلـى أن مـن بـين ٥٠ إلـى ٦٠ ٪ مـن حالات الزواج تنتهي بالطلاق في ارتفاع غير مسبوق بنسبة حالات الطلاق في البلاد.

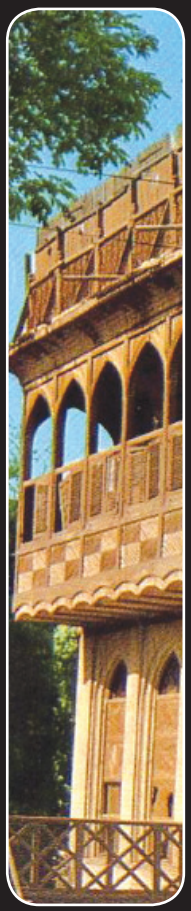

والوقوف مع الشـــعب في ترجمة إرادتـــه، وقد دحضوا بذلك وســـائل التشويه والحرب النفسية المضادة، ويضيف: لقد لمسنا خلال الســـنوات الماضية صموداً وإصراراً على عدم الانجرار إلى الاحتراب العراقي؛ على الرغم من اســـتهدافهم من القوات الحكومية ومليشـــيات الســـلطة. واعتقد جازماً أنهم سيكونون جـــزءاً من قدرة العراق القادمة، المدافعة عن الوطن وتماسُـــك الشـــعب. ويشـــير (الدكتور مهند العزاوي) إلى أن الانسحاب الأمريكـــي لا يزال ضبابياً آلياتٍ ونتائجَ؛ لا ســـيما أن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم نظاماً سياســـياً فاشـــياً فاسداً يمتهن الإرهاب في العراق بما لا يتســـق مع إرادة وتطلعات الشـــعب العـــراق، مؤكـــداً أن ثقافة المقاومة ستشـــكل عنصر قوة لبناء العراق وعودتـــه إلى المكانة الطبيعية؛ خصوصاً أنهم قد حملوا السلاح لهدف سامٍ ونبيل للدفاع عن الأراضي العراقية، وأثبتوا ذلـــك بالأفعال والمواقف ولا بد أن يكون لهم دور واضح في بناء العراق تكريماً لدورهم.

ومن قبله يرى (الشـــيخ علي الجبـــوري) أن قوى المقاومة للاحتلال سلكت طريق الجهاد والمقاومة من أجل تحرير العراق من الاحتلال والنفوذ الأجنبي ومشـــاريعه المشبوهه فضلاً عن توفيـــر الحياة الآمنة الكريمة للشـــعب العراقي والحفاظ على وحـــدة العراق أرضاً وشـــعباً، والحفاظ علـــى انتمائه العربي والإســـلامي وثرواته وأمنه، وستواصل عملها حتى تحقيق هذه الأهـــداف، ولن تتوقف المقاومة حتى يخـــرج آخر جندي يمثل قـــوة احتلال في العراق، ومن واجبهـــا أيضاً تحرير العراق من الاحتلال السياســـي والاقتصادي والثقافي وهي صور مبطنة للاحتلال؛ فـــإذا تحقق ذلك فالمقاومة هي ممثل وجزء هام من الشعب العراقي وسيكون مستقبلها من مستقبل كل أبناء العراق الذين عليهم واجب حمايته وخدمته وبنائه.

وبعيداً عن جدية قوات الاحتلال الأمريكي في الانســـحاب أو عدمها، يرى (الدكتور عبد الرحمن الرواشـــدي) أن المقاومة العراقية قدَّمت نموذجاً رائعاً تجاوزت الميدان وتعدَّت العواطف، إلى إعادة تشكيل عقيلة الشباب العربي والإسلامي ضمن إطار ثقافة النصر وثقافة المقاومة، واستطاعت أن تشكِّل القدوة لكل الشـــعوب في كفاحها المشروع ضد الاستبداد والطغيان والغزو الثقافي والعسكري والاقتصادي والسياسي.

وقد حـــددت هذه المقاومة أهدافـــاً محورية لعملها تمثَّلت بإنهاء الاحتلال، وعودة السيادة والاستقلال لدولة العراق، وبناء النظام السياســـي بما يراعي قيم المجتمع وحقوق أبنائه، وأظن أنهـــا وُفِّقَت إلى حد مَّا في تحقيق الهدف الأول، ولكن التحدي في تحقيق الهدف الثاني سيكون أشد؛ ولذا فإن تعددية فصائل المقاومة كانت إيجابية في المرحلة السابقة ولكنها ستكون معوقاً في تحقيق الهدف الثاني؛ ولذا فأنا مستبشر بمستقبل المقاومة إلا أنه يســـتلزم منها الارتقـــاء في بنائهـــا التنظيمي والأمني وعملها السياسي ودورها الشعبي المحلي، وقدرتِها على توظيف الإنجازات المرحلية وعوامل البيئة من استثمار الفرص وتجاوز التحديات، وهي بلا شك كثيرة.

## المحور الثالث:
## العراق ومحيطه العربي:

**لا تـــزال العلاقـــة (العراقيـــة - العربيـــة) مثار جدل واســـع فـــي الأوســـاط المهتمَّـــة بالشـــأن العراقـــي، ومنها مســـألة عـــودة العـــراق إلـــى المجتمـــع العربـــي فـــي هذه المرحلـــة السياســـية؛ فهـــل هي عامـــل إيجابي أم ســـلبي للعمل المقاوم ولمستقبل العراق؟**

يؤكد (الشـــيخ علـــي الجبوري) أن العراق جـــزء لا يتجزء من المجتمع العربـــي؛ وإن حاول الاحتلال والحكومات الدائرة في فلكه ســـلخ العراق من هذا الانتماء عبر دستور فاسد ولأسباب طائفية وعرقية، وسبق أن أشرنا في برنامجنا السياسي المعلن أننا نحافظ على انتماء العراق العربي والإســـلامي وندعـــو المجتمعات العربية والإســـلامية لأن يكون لها دور إيجابي في هذا. وبقاء العراق ضمن انتمائه العربي والإســـلامي نافع لكل عمل صالح في العراق ومنه عمله المقـــاوم؛ لأن الوضع الطبيعي للبلد يجب أن يبقى ضمن أمته وأهله، وأن العودة المنضبطة ستساهم في استقراره وبنائه وازدهاره.

ولا يقف (الدكتور عبد الرحمن الرواشـــدي) عند إشكالية عودة العراق إلى محيطه العربي التي تعود أســـبابها إلى طبيعة من يحكم العراق اليوم سياسياً، ولكنه يرى أن الإشكالية تتمثل فـــي عودة العرب إلى العراق، فالعرب كان لهم دور ســـلبي من احتلال العراق أساسه: إما التبعية وإما الانفعالية وعدم تقدير مآلات الأحداث، ومن ثَمَّ النأي عن ممارسة دور إيجابي بذريعة تجنُّب التدخل في شـــؤون العـــراق الداخلية على الرغم من أن الســـاحة كانت مفتوحة أمام الجميع ولا سيما إيران، ثم كانت

ثالثة الأثافي في عدم احترام أو دعم الدول العربية لإرادة الشعب العراقي المقاوم والمناهض للاحتلال والنفوذ الأجنبي، ثم يحدد الرواشدي آليات العودة العربية من خلال: عمق الوصف، ودقة تشخيص الواقع العراقي الذي ينبغي التعامل معه من قِبَل العرب؛ فالعراق بلد محتل وفيه نفوذ إيراني يسيطر على كثير من الداخلين في العملية السياسية، ووجود أزمة في القيادة وفي الثقة المتبادلة والبرامج الناضجة؛ ولذا فان عودة العرب للعراق والانفتاح السياسي عليه لا بد أن لا تكون بإقرار الواقع الحالي؛ وإنما يكون بالعودة إلى مبادئ ومقررات مؤتمر الوفاق الوطني الذي تبنَّته جامعة الدول العربية في عام ٢٠٠٥م، مع الأخذ بنظر الاعتبار المشاركة الفاعلة والمؤثرة للمقاومة العراقية فيها.

أما (الدكتور مهند العزاوي) فيرى أن النظام الرسمي العربي في غيبوبة منذ غزو العراق، وقد وقف إلى جانب الغزو ضد العراق، باستثناء دولة أو دولتين معروفة بمواقفها التاريخية المبدئية، وشهدنا طيلة هذه السنوات جفاءً وتعتيماً وتشويها للمقاومة ولإرادة الشعب العراقي، بل وجدنا أن بعض الدول العربية تقوم بمحاربة الشرفاء الوطنيين والمقاومين؟ وتلك مواقف تختزنها الذاكرة العراقية بألم وحسرة؛ لأن العراق – كما يقول الدكتور العزاوي –: كان على الدوام معطاءً للعرب دون مقابل، ولكن الشعوب العربية كانت ولا تزال حية ترفد العراقيين بالأمل، وتساهم في تضميد جراحهم، ونشهد موقفاً مثيراً للريبة من الجامعة العربية وهي تكرِّم قَتَلَة الشعب العراقي وجزاريه، وتُسهِم في منحهم الشرعية، وهذا موقف مشين يُعَدُّ انعطافة خطيرة في مسار النظام الرسمي العربي.

إن الشعب العراقي كله يقاوم سياسياً وعسكرياً ومدنياً وفكرياً وإعلامياً، ومن ثَمَّ فإن ثمرات هذه التضحيات بدأت تنضج وسيقطفها الشعب العراقي محتفلاً بمسيرته الظافرة التي وإن غاب عنها الدعم العربي، فإن العراق سيبقى جزءاً لا يتجزأ من عالمه العربي والإسلامي وقلعة الوثوب إلى العالم الحر والمكانة الدولية.

## المحور الرابع:
## المقاومة وثورات الشعوب:

**شكَّلت ثورات الشعوب ضد الأنظمة الظالمة، عهداً جديداً تولى زمامَه شباب الأمة، ولكن تباينت الآراء حول إرهاصاتها؛ فهل للمأزق الأمريكي جرَّاء قوة المقاومة العراقية دور في هذه النهضة الثورية؟**

لقد اتفق ضيوفنا في إجاباتهم على أن هذه الثورات تدل على حياة الشعوب وعلى الوعي الجماهيري؛ فهي عند (الشيخ علي الجبوري) ردُّ فعل طبيعي ضد الظلم والاستبداد والقهر وأثبتت الشعوب العربية أنها حية وفاعلة ولم تخضع وتستكين كما كان يظن بعض الناس، كما كشفت هذه الثورات عن صوت الشعوب وشجاعتها وكرامتها، وجدد (الشيخ الجبوري) إيمانه بأن للمقاومة العراقية الدور الأول في إذكاء هذه المشاعر؛ لأنها هزمت أمريكا بكل قوتها وجبروتها وأثبتت أنه ليس هناك أي قوة بعيدة عن الهزيمة وأن أصحاب القضايا العادلة هم الأقوى والأقدر على النصر على الظلم مهما كان قوياً ومتجبراً لأنه في داخله ضعيف بسبب ظلمه وعدم وجود قضية عادلة يحملها وقد أكدنا مراراً أن المقاومة نقلت الشباب العربي المسلم من العيش على هامش الأحداث إلى صناعة الأحداث.

وعلى الرغم من مباركة (الدكتور مهند العزاوي) لهذه الثورات التي تدل على وعي ورقي الشعوب العربية التي شوهتها وسائل الإعلام الغربية، إلا أنه أرسل تحذيره لها من أن تُسرَق منها، داعياً الأنظمة العربية إلى مزيد من الإصلاح والتغيير، لتحقيق إرادة الشعوب ورفاهيتها، مؤكداً على ضرورة الحفاظ على وحدتنا الجغرافية، ومنع الطامع من تدمير أوطاننا، وأن التغيير قد حصل، ولا بد من الأخذ بنظر الاعتبار منع ركوب الموجة من قِبَل الغرب، ومحاولة تسييس الثورات وإرادة الشعوب واستغلالها مرة أخرى وأن مقاومة الشعوب هي التي تنتصر.

وفي السياق ذاته جاءت رؤية (الدكتور عبد الرحمن الرواشدي) لتؤكد أن الأمة ابتليت في العقود الأخيرة بتكالب الأعداء عليها وسقوط عدد من دولها تحت نير الاحتلال، ولكن الأمة اثبتت أنها حية ولها إرادة على المواجهة، فولدت فصائل الجهاد من رحم الأمة وقد حققت إنجازات ميدانية كبيرة، حينذاك أصبح الجهاد المقاوم يمثل أملاً للشعوب العربية والإسلامية في رفض الهيمنة التي تسعى إلى تغييبها وتهميشها في البناء الحضاري، وتمكَّنت المقاومة العراقية وغيرها من حركات التحرر الإسلامية في مدة

يسيرة أن تشكِّل أساساً لثقافة المقاومة لتقاوم ثقافة الهزيمة وتوفير المعرفة التي تؤدي إلى إخراج الجماهير العربية من التسلية وحالة الإحباط، وإعادة القدرة للجماهير على التعامل مع المشاريع العدوانية وسياسات الإخضاع والإذلال، من غير تهويل ولا تهوين، كما تحدَّت ثقافة الخوف الذي زرعته وسائل الإعلام الغربية والعربية أيضاً بعدم جدوى مقاومة المشاريع الأمريكية، والخروج عن الأنظمة الاستبدادية الحاكمة، وأن الواقعية تقوم على الاستسلام. ويبدو أن شباب الأمة استوعب هذه الدروس وترسخت في نفسه هذه الثقافة فخرج في تونس ومصر وليبيا ليؤكد أن إرادة الشعوب الواعية أقوى من الأنظمة الظالمة الطاغية.

ولكن على الرغم من التفاؤل الكبير بما وصلت إليه الشعوب العربية إلا أن (الدكتور الرواشدي) لم يُخفِ قلقه أيضاً من أن الأمور قد تفلت من النخبة الواعية إلى النخبة المنقادة التابعة، التي تسيِّرها أجندات تسعى إلى إعادة رسم خريطة العالَمَين العربي والإسلامي بما يتوافق مع مخططاتها الرامية إلى تجزئة المجزأ وإنشاء دويلات تقوم على أسس عرقية ودينية ومذهبية ضيقة وهزيلة؛ فالغرب يريد أن يتجاوز حدود (سايكس - بيكو) إلى حدود برنارد لويس مهندس مشروع تفتيت الدول العربية والإسلامية، وأدعو الجميع إلى المسارعة في إجراء مصالحة حقيقة بين الشعوب وقادتها، تقوم على إجراءات إصلاحية سياسية واقتصادية واجتماعية جادة، لنتجاوز بذلك طوفان التغيير السلبي الذي يفور من المحافل الغربية. نسأل الله العافية.

## والتربية والتعليم العراقي في خطر

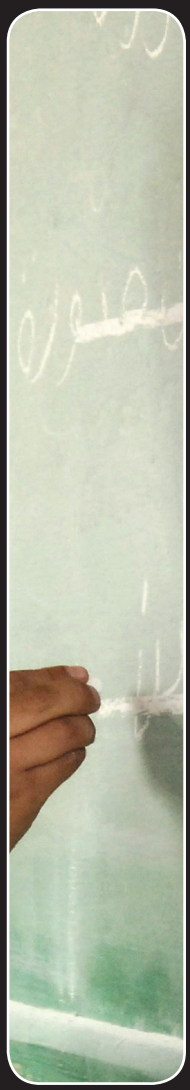

لقد انحدرت القيم التربوية والتعليمية في العراق خلال سنوات الاحتلال بشكل مهول ومخيف، وهو نتيجة طبيعية للأسباب التالية:

١ - التصفيات الواسعة للكفايات العلمية والأسرة التعليمية: فهنالك أكثر من (٥٥٠٠) قتيل ومخطوف وسجين، بين عالم ومفكر وأستاذ وأكاديمي وباحث ولا سيما علماء الذرة والفيزياء والكيمياء، وإن ٨٠ ٪ من عمليات الاغتيال استهدفت العاملين في الجامعات، وأكثر من نصف الضحايا يحمل لقب أستاذ وأستاذ مساعد، و٢٠ ٪ من العلماء المغتالين يحملون شهادة الدكتوراه وثلثهم متخصص بالعلوم والطب.

٢ - فَقْدُ الطلبة لذويهم وحرمانهم من الرعاية الأبوية: والإحصاءات السابقة تؤكد ذلك؛ فقد تراجع المستوى العلمي لأبناء القتلى والمعتقلين بنسبة ٨٢ ٪؛ وأن ٥٦ ٪ من ذويهم فقدوا معيلَهم.

٣ - غياب الطلبة عن الدراسة بسبب الاعتقال أو العنف الطائفي: فقد بلغ عدد المعتقلين (٢٣,٥٠٠) معتقل بينهم (٥٢٥) حدثًا دون سن الـ (١٨) سنة، وهناك (٣٢,٤٢٥) طالباً عراقياً مسجَّلاً بشكل رسمي في المدارس خلال العام الدراسي ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م مقارنة بنحو (٤٩,١٣٢) خلال العام الدراسي ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م، وتؤكد بعض التقارير أن ٣٠ ٪ فقط من تلاميذ العراق يذهبون إلى المدارس. وأن أكثر من ٧٠ ٪ من بنات العراق أصبحن خارج نطاق التعليم في المدارس والكليات.

٤ - شيوع ظاهرة العنف الاجتماعي والسياسي وانتقالُه بشكل مباشر وواسع إلى المؤسسات التربوية والتعليمة وبصورة متبادلة بين الفريق التعليمي والطلاب.

٥ - عودة الأمية وتفشِّيها من جديد: فقد بلغت أعداد الأميين في العراق ٥ ملايين عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩م، وباتت الأمية تهدد الوضع التعليمي في العراق بعد أن تمكَّن منذ عام ١٩٨٠م من القضاء المبرم على الأمية بشهادة المنظمات الدولية.

٦ - تراجعٌ وانحدارٌ كبير في المستوى العلمي والمهني للمعلمين والمدرسين والأساتذة؛ بسبب اعتماد تزكية الأحزاب في التعيينات، من دون مراعاة لمستوياتهم ولا صحة شهاداتهم.

٧ - التناقض الكبير بين ما هو موجود في المناهج وما يقدمه الفريق التعليمي والتدريسي، وهو ما أوقع الطلاب فريسة الصراع الطائفي والعرقي والعَلماني؛ علماً بأن وزارة التربية منذ الاحتلال وإلى اليوم تخضع لأحد الأحزاب الدينية المتنفذة في الحكم.

# عائد من بغداد

أ.د. نعمان السامرائي

غادرت بغداد إلى الرياض في ١٩٦٨/١١/٨م الموافق لعام ١٣٨٨هـ، واشتغلت بالتدريس وبدأت المتاعب تتوالى؛ فبعد أيام قليلة من وصولي إلى الرياض استلمت رسالة من الأهل تقول: وُضِع اسمك في قائمة الممنوعين من السفر، فإذا رجعت إلى بغداد فلن تغادرها. الخبر لم يكن غير متوقع؛ لأن حزب البعث الذي قام عام ١٩٥٠م وكان يجمع مجموعة من الشباب عددهم في حدود (٣٠٠)، وصل للحكم عام ١٩٥٨م وشارك أمينه العام في أول وزارة جمهورية، واصطدم البعثيون يومها بالحزب الشيوعي الستاليني، فنفخ عليه (فطار) ليعود عام ١٩٦٣م ويشارك في الحكومة التي أسقطت (د. عبد الكريم قاسم)؛ ولأن الشباب ما زالوا (مراهقين سياسياً)، فقد اصطدموا بالجيش، فوضعهم في طائرة وأبعدهم، ليعودوا للمرة الثالثة والأخيرة بعد الانقلاب على (عبد الرحمن عارف) وهم يتصارخون (عدنا لنبقى) وكان (صدام) يعلن أن سيحكم الحزب (٣) قرون لكن كان هناك خطأ مطبعي (بزيادة صفر)؛ فحكموا أكثر من (٣٠) عاماً، وما زالوا يحلمون بالعودة، وأحلام القطط كلها تدور حول (الفيران) والشكوى لله.

وصلتُ الرياض وكنت قد سجلت في جامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه في الشريعة، وكنت أمضي كافة الإجازات في القاهرة حتى حصلت على الشهادة عام ١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ.

وكنت منتدَباً رسمياً، وفي عام ١٩٧١م ألغت جامعة بغداد انتدابي وطلبت مني العودة فوراً، ولو عدت لكان مصيري - والله أعلم - كمصير المرحوم عبد الخالق السامرائي الذي أُعدِم ظلماً وعدواناً، أو كمصير الدكتور عبد الله سلوم الذي عاش مضطهَداً وفي حالة بؤس واضطهاد حتى مات، رحمه الله تعالى.

رفضتُ العودة وبقيتُ أمارس التدريس في الرياض، حتى ذهبتُ إلى السفارة العراقية لتجديد جوازات سفري وأولادي، فرفضتْ السفارة ذلك، وكان المسؤول (قاسم) الذي لا يحمل شهادة المتوسطة يعامل كلَّ مراجع أسوأ معاملة مهما كانت منزلة المراجع. سألته: لماذا هذا القرار؟ قال: أنت معادٍ للثورة والحزب. قلت: سألتكم على الهاتف،

فقلتم: احضـــر. فقطعت ألف كيلو متر حتى وصلت؛ فلماذا هذه المعاملة؟ كرر أنت معادٍ للثورة والحزب. وخشيت أن يحتفظ بالجوازات فأصير وأولادي في أسوء حال.

وبقيت ما يقارب عشـــر سنوات هكذا أنا وأولادي، ولولا لطف الله لبقي أولادي مشردين ودون دراسة وتعليم، فقررت البقاء بعيداً عن بغداد والأهل، وقـــد أصيب لي أخ بالســـرطان وجاء إلى الأردن، واعتقدت أني متى التقيت به فسوف يعاني من متاعب وتحقيقات كثيـــرة... رجع هذا المريض لبغداد وهو لا يقدر على المشي فاستُدعي للتحقيق ثلاث مـــرات في (تكريت)، والجريمـــة الكبرى أنه ذهب إلى الأردن كي يلتقي بي، ووالله ما رأيته حتى مات.

حين سقطت بغداد كما يسقط جدارُ طينٍ قديم متآكل، اشـــتريت تذكرة ســـفر وحجزت إلى عمَّان؛ كي أغادر إلـــى بغداد، وقامت مصاعب ومشـــاكل جعلتني أعدل عن الســـفر حتى عام ٢٠٠٩م. ذهبت إلى دمشـــق وأخذت الطائرة لبغداد، وفي الطريق كنت أضرب أخماساً بأسداس؛ تُرى ماذا ينتظرني؟ وكيف أتصرف؟

بعد ســـاعة من طيران حطت الطائرة الساعة (٩) صباحاً في المطار الـــذي لم أتمكن من معرفة أين موقعه من بغـداد، رحت أتطلع في الوجوه علَّني أتعرف على أحد لكنَّ هذا كان مستحيلاً.

جلست صامتاً انتظر (الشنطة) اليتيمة، ومضت (٣) ساعات جلست خلالها حتى جاءت، وقلت: هذه واحدة، وتذكرت أبا الطيب وهو يترنم:

مغاني الشِّعب طيباً في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمانِ
ولكنَّ الفتى العربيَ فيها
غريبُ الوجهِ واليدِ واللساني

شعرت بغربة مع أني كثير التجوال والترحال؛

## لأن العدل في خطر

إن آثـار الاحتـلال وحكوماته في نسـف قيمة العـدل وتبنِّي الظلم مهولـة؛ فإن نسـبة ٥٩ ٪ من المعتقلـين دخلوا المعتقـلات جراء خلافات شخصية ودعاوى كيدية، أو نتيجة استمرار الاعتقالات العشوائية التي تنفِّذهـا قـوات الاحتلال والقوات الحكومية يومياً. وإن نسـبة التعذيب في المعتقلات بلغت ١٠٠ ٪، وهي كما يلي: جميع المعتقلين تعرضوا لنوع واحـد أو أنـواع مختلفة مـن التعذيب، ولم يقـدَّم أي منهم لمحكمة وإن كان قد جرى التحقيق مع بعض منهم، وإن ٨٧ ٪ منهم لا يعرفون سبب اعتقالهم، وتراوحت مدد احتجازهم بين ثلاثة أشـهر وأربع سنوات، وإن ٨١ ٪ منهم لم يحظوا بأية زيارة من أقاربهم أو ذويهم.

وخـلال عام ٢٠٠٩م نفَّذت السـلطات الحكوميـة حكم الإعدام بما لا يقـل عـن (١٢٠) عراقياً، بينما ينتظر (٩٠٠) آخرون المصير نفسـه، ومن بينهم (١٧) امرأة، وأن كثيراً من المحكومين بالإعدام أُدينوا خلال محاكمـات غيـر عادلة بناءً علـى اعترافات انتُزِعَت بالقوة أو ممارسـة التعذيـب، وكانـت قد صدرت أحكام بإعدام نحو (٢٨٥) شـخصاً خلال عام ٢٠٠٨م، كما صدرت أحكام مماثلة عام ٢٠٠٧م بحق (١٩٩) شخصاً، في حين جرى إعدام (٦٥) شخصاً عام ٢٠٠٦م.

وهنالـك أكثـر مـن (٤٢٠) مركـز اعتقال سـري في العـراق فضلاً عـن السـجون المعلَنـة التي تقدَّر بـ (٣٧) سـجناً، تجري فيهـا انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسـان، من قِبَل قوات الاحتلال أو من قِبَل السلطات الحكوميـة، وهناك ما يزيد عن (٣٥٠٠) معتقل في أماكن سـرية تابعة لوزارة الداخلية، يمارَس ضدهم التعذيب اليومي المبرمَج، حتى أصبحوا مسـتعدين للاعتـراف بأيـة جريمة خلاصـاً من تعذيـب لا يطاق. وإن آلاف العراقيـين ما زالوا يُقتادون الى أماكن غير معروفة، اسـتناداً إلى الشـبهات وبغيـة الابتزاز مـن دون تهم أو أوامر إلقـاء قبض. وإن أغلب المحتجزيـن تعرضوا للتعليق من أرجلهم وحُرِموا من الهواء وتعرَّضوا للركل والضرب بالسياط والأيدي، والصعق بالكهرباء والاغتصاب، في إجـراء منهجي متكـرر على أيدي المحققين، وقـال كثيرون منهم: إنهم أُجبروا على التوقيع على اعترافات كاذبة.

سافرت ما بين إنكلترا وهولنداً غرباً، وماليزيا شرقاً، وبين تركيا شمالاً وجمهورية جنوب إفريقيا جنوباً وما بين ذلك؛ لكن الغربة والوحشة التي شعرت بها والخوف كان في بغداد أكبر وأعظم.

وجاء الفرج فوجدتني أقف وجهاً لوجه مع ابن بلدي النائب عبد الكريم السامرائي، حتى كأنه جاء هدية من السماء، جلسنا نتحدث لكنه اعتذر بأنه ذاهب لمجلس النواب مباشرةً، وكلَّفني باستلام حقيبته اليتيمة، وبعد أن قاربت الساعة (١٢) ظهراً استلمت الحقائب وجاء شخص مكلَّف باستقبالي، وما إن خرجنا من المطار حتى استوقفَنَا عسكري عراقي مدجج بالسلاح وأمر المرافق السائق بأن أُخلِي السيارة؛ لأنها غير مصرح لها بنقل أحد، وبعد أخذ وردٍّ استدعى سيارة (تاكسي)، وقال لي: اركب والسيارة الثانية خلفك. مشينا في حدود كيلو متر قال: انزل وادفع أجرة (٤٠) ألف دينار، وقام من استقبلني بدفعها دون نقاش، وهذه الأجرة يدفعها راكب الباص من بغداد إلى دمشق، وكانت أول مفاجأة أو فاجعة أني وجدت أن السير بين سورين من الإسمنت بارتفاع يزيد عن مترين عن اليمين والشمال، ولا يرى الإنسان شيئاً عن يمينه أو شماله، وفي الطريق إلى محل إقامتي في (اليرموك) رأيت رتلاً من الجيش الأمريكي يسير بسرعة (٢٠ - ٣٠) كيلو متر في الساعة، وعلى كل إنسان كائناً من كان أن لا يقترب من هذا الجيش وإلا فسيطلق عليه النار، وممنوع بصورة أشد أن يتجاوز هذا الجيش؛ فإن فعل فمصيره القتل. والجديد في الأمر أن الأمريكين علَّموا القوات العراقية هذا النظام حرفياً.

في بغداد وجدتُ كل شيء قد تغيَّر فقد غبت (٤٢) سنة متصلة؛ لذا لم أستطع التحرك إلا بسيارة ودليل، كذلك لم أفهم كيف يشعر الفرد العراقي بما يحصل من خلل في الأمن، كنت في منطقة (كرادة مريم) في سيارة ومعي أكثر من شاب قالوا: حصل شيء؟ قلت: لا شيء، الحركة كما هي والناس كعادتهم. لكنهم أصرُّوا: لقد حدث شيء، وتحركنا وبعد دقائق علمنا أن مفخخة أو أكثر قد ضربت وزارة الخارجية ومتصرفية بغداد، وقتلت الأطفال الذين في الروضة القريبة، وربما لم ينجُ منهم أحد.

ذات مساء ركبت سيارةً وفي (سوبر ماركت) صغير دخلت لشراء بعض الحاجيات، فلما خرجتُ وجدت الشوارع قد امتلأت بالجنود المدججين بالسلاح، فسألت السائق: ماذا حصل؟ قال: التزم الصمت. حاولنا العودة لكن وجدنا الطرق قد أُغلِقت، وكلَّفَنا الأمرُ أن ندور بالسيارة أكثر نصف الساعة حتى عدنا لمكان السكن وبينه وبين (السوبر ماركت) (٥٠) متراً.

مما أثلج صدري أنني ذهبت للسوبر ماركت وكانت امرأة تقف لتدفع النقود، فلما انتهت وخرجت عادت مسرعة وبيدها كمية من النقود، وهي تقول: لقد دفعت لي أكثر من حقي. ورمت النقود وانصرفت، قلت للواقف على الصندوق: ما شاء الله، هذه أمانة رائعة! قال: الحمد لله، هذا يحدث كثيراً.

لي قريب فقد بصرَه زارني فقدَّمت له ورقة (أي: مئة دولار) وهي تساوي أكثر من مئة ألف دينار، فرفضها وقال: الحمد لله أنا غير محتاج. فلم يأخذها إلا بعد إلحاح شديد.

وهذه امرأة أحد المشايخ قُتِل زوجها وخلَّف لها أولاداً صغاراً، حاولتُ عن طريق بعض النساء أن أدفع لها (ورقات) فرفضتْ كلِّياً وهي تقول: أهل زوجي يتكفلون بنا، ونحن لا نستحق الصدقة، وفي البلاد مستحقون كثر.

وعكس هذا ثمة رجل (بدون ذرة رجولة) له امراة غنية، طلب منها أن تأخذ الأولاد وتسافر إلى دولة عربية مجاورة حرصاً منه على أمنهم وحياتهم، وأن تعمل له تفويضاً ليقوم بتصريف الأعمال؛ فباع العقارات وكلَّ ما تملك ولفِّق لها (تهمة) وأفهمها أنها متى عادت لبغداد فسوف تُسجَن... إنه رجل نذل وبلا رجولة!

عشت في بغداد ثمانية أشهر، لكنَّ وجود (صبات الكونكريت) التي تفصل الأحياء عن بعضها؛ حتى ليمكن ضرب الحي بالطائرات دون أن يصاب الحي المجاور... كان

شيئاً مخيفاً.

لقد ألِف الناس الموت إلفاً غريباً، بل صار (حديث الساعة)؛ فالمفخخات أسبوعية، والعبوات توضَع تحت السيارات يومياً، والأمراض السرطانية والضغط وأمراض القلب والتنفس لا ينجو منها بيت، والتعليم في هبوط والدروس الخصوصية في تمدُّد وانتشار. أما البطالة فشيء يفوق التصور، والناس في ضيق لا يُتصَور.

ويوجد اليوم بحسب إحصائيات هيئة الأمم المتحدة أربعة ملايين يتيم ومليون أرملة، وهذا العدد يساوي سدس الشعب العراقي، وهؤلاء الأيتام إن لم يتولاهم أحد فبعد سنوات سيكون في العراق جيش من المجرمين واللصوص والنشالة والعاطلين والمتخلفين والجهال والحاقدين؛ لذا أدعو إلى قيام جمعيات تتكفل بهم، وهناك قصور وعقارات (لصدام) وأفراد النظام تساوي اليوم (مليارات) تخصَّص حصراً لهذه الفئة المطحونة، ولا تكلِّف الدولة سوى حصر هذه القصور والعقارات وتسجيلها لحساب (الأيتام والأرامل).

الزراعة بأنواعها في تدهور؛ لقلة الماء وغلاء أسعار الديزل ومشتقات النفط، والعراق اليوم يعيش على الاستيراد بما في ذلك ماء الشرب من الكويت والأردن وسوريا والسعودية؛ فمن يصدق ذلك؟

والمشكلة الكبرى في العراق أنه بات منطقة تجاذب وساحة مصارعة، وهناك مَثَل هندي يقول: حين تترمل امرأة تريد أن تعيش (بشرف) لكن جيرانها لا يسمحون لها!

وأخيراً: ينتشر ملايين من العراقيين تحت كل نجم وفي كل القارات. وهؤلاء سيضيعون، وفيهم أصحاب كفايات لا يستغني العراق عنهم، ولا في مقدوره أن يعوض عنهم في القريب العاجل...

آهٍ يا بغداد! سمَّوك (دار السلام)، فصرتِ دار الموت والخطف والقتل والاعتقال، ولا يعلم أحد اليوم عددَ الذين قُتلوا أو شُرِّدوا، أو غيبتهم السجون والمعتقلات، والذين جرب فيهم الجيش الأمريكي كلَّ ألوان التنكيل والاحتجاز سنوات بدون تحقيق، ولا محاكمة!

ويبدو أن هذه (الديمقراطية) كانت (هدية أمريكا) للعراق وأهل المنطقة. يقول الشاعر:

ومن يجعلِ الضرغامَ صيداً لبازهِ
تصيَّده الضرغامُ في ما تصيَّدا

## المرأة العراقية في خطر

العنف ضد المرأة في تصاعد؛ حيث بلغ عدد الحالات التي سجلتها مراكز الشرطة عام ٢٠٠٩م في المحافظات الكردية الثلاث فقط (١٠٧٩) حالة، مقارنة مع (٧١٥) حالة عام ٢٠٠٨م، وإن حالات الانتحار حرقاً ارتفعت من (١١٩) حالة عام ٢٠٠٨م إلى (٢٤٥) عام ٢٠٠٩م.

وإن عدد المعتقلات العراقيات تجاوز (١٠ آلاف) معتقلة يتعرضن للضرب بشكل روتيني ويتعرضن للمضايقات ويُغتصَبن في السجون الأمريكية والعراقية على حد سواء، ومع ذلك فإن الحكومة العراقية تتجاهل بتعمُّد معاناة وحاجات الأطفال والنساء وهذا بحد ذاته احتقار وإهانة لحقوق المرأة.

وهناك على الأقل (٢٠٠) امرأة عراقية تُباع في «أسواق تجارة الجنس» كل سنة، برغم أن منظمة مراقبة حقوق الإنسان (مقرها في الولايات المتحدة) حذرت من أنَّ الأعداد قد تكون أعلى، إذا ما جرى إحصاء عمليات المتاجرة بالنساء اللاجئات إلى كلٍّ من سوريا ولبنان. بل هناك آلاف من النساء العراقيات تحوَّلن الى «ضحايا القهر الاجتماعي والسياسي» من خلال بيعهن سنوياً في هذه الأسواق التي تنشط داخل العراق وخارجه لتهريب نساء وبنات لا يتجاوزن أحياناً عمر الـ (١٢) سنة. وتشير مصادر إلى أنَّ العدد يتزايد سنوياً بسبب تضاؤل الإمكانات الاقتصادية، والحالة الأمنية المريعة التي يعيشها المجتمع العراقي منذ سنوات، وبالتحديد مرحلة ما بعد الغزو الأميركي سنة ٢٠٠٣م.

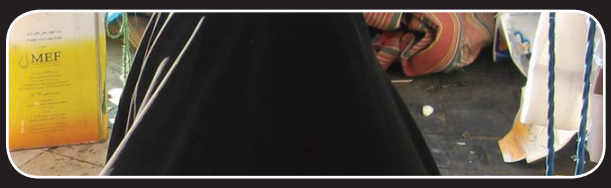

# حزب اللّه في السنغال

عبد الله بابا جنع السنغالي
Dieng175@gmail.com

**في يوم الثلاثاء ٢٢ فبراير ٢٠١١م أعلنت السنغال قطع علاقتها الدبلوماسية مع جمهورية إيران بعد تحقُّقها مع أجهزتها الأمنية أن إيران أرسلت ثلاث عشرة حاوية مملوءة بالأسلحة الفتاكة المدمِّرة إلى المتمردين في جنوب السنغال.**

**والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا أرسل الإيرانيون هذه الأسلحة الكثيرة إلى المتمردين؟ وما هي الأسباب والدوافع التي دفعتهم إلى ذلك؟**

أسمع من الصحفيين والمحللين والسياسيين منذ أن كُشفَت شحنة الأسلحة من قِبَل السلطات النيجيرية أنهم يحاولون معرفة حقيقة دوافع إيران إلى فعلهم الخبيث. فنسمع تارة من يقول: أن غامبيا هي التي اشترت الأسلحة، وتارة من يقول: المتمردون هم الذين اتفقوا مع إيران خفية لتدعمهم بالأسلحة، وتارة تقول الحكومة: نحن على يقين أن الأسلحة من إيران متوجهة إلى المتمردين. ولا نعرف ما السبب الذي دفع إيران إلى ذلك إلى الآن رغم طلبنا توضيح الحقيقة منهم.

ولكن الحقيقة المخفية، والسبب الذي لا أشك فيه قيد أنملة هو غير ما ذُكِر، وسأخبرك عنه بتفصيل ولا ينبئك مثل خبير:

لقد وضعت إيران خطة لتشييع إفريقيا خلال خمسين سنة وهي التي تسمى (الخطة الخمسينية الخمينية)، فلما خلت منها

مـــدة طويلة ولم تتحقق هذه الخطة مع ما أنفقوا في إفريقيا من ملايين الدولارات قالوا: (لا بد من استعمال العنف والقوة، ولا بـــد من زعزعة أمن المنطقة حتى يشـــتغل أهلها بالحرب الأهلية؛ كي نتمكن من تمرير عقيدتنا الشـــيعية الجعفرية في القارة).

فوضعوا خطة لإيجاد معســـكرات بجنود أفارقة شـــيعيين مرتزقة باسم (حزب الله) مزودين بالأسلحة على غرار ما فعلوا في لبنان مع (حزب اللـــه). فاختاروا دولتين في إفريقيا (وهما نيجريا والسنغال) لموقعيهما الإستراتيجيين في المنطقة، فنجحت محاولتهـــم في نيجريا لعدم اســـتقرار أمنهـــا، ولوجود حروب أهليـــة وقَبَلية ودينية منذ مدة؛ حيث وجدت الشـــيعة في زاريا في ولاية كادونا حركة شـــيعية مدججة بالأسلحة باسم (الحركة الإسلامية) - والإسلام منهم بريء؛ لأنه ليس دين العنف، وخلق الفتن بين المسلمين - يرأسها إبراهيم زكزكي الشيعي النيجيري، وهي حركة (سياســـية، اجتماعية، جعفريـــة)، وهي أكبر تنظيم يضم الشـــيعة الإمامية في نيجيريا. لهم احتفال سنوي يحضره جميع الشـــيعة، والخطر أنهم لا يبالون بقـوانين البلد، ويفعلـون ما يشاءون، ويفسدون ولا يصلحون.

ومن هنا قالـــوا (أي الإيرانيون): لقـــد آن الأوان بإعادة المحاولـــة نفســـها مع الســـنغال، فلم يروا مكاناً أنســـب من الجنوب؛ لعدم اســـتقرار الأمن فيه، ولعدم سيطرة الحكومة السنغالية عليه كلياً، فتفاهموا مع المتمردين أن يأتوا بحاويات كثيرة من جميع أنواع الأســـلحة المدمرة شريطة أن يخصصوا للمتمردين ثلثها، وتبقى البقية تحت تصرف حزب الله الشيعي الذي يؤســـس في المنطقة. فوافقت حركة التمرد بكل ارتياح دون أدنى تردد لحاجتهم الماسة لها.

هـــذه هي الحقيقة المخفية، والســـبب الـــذي دفع هؤلاء الإيرانيين لإرســـال هذه الأسلحة، وليحرموا شعبنا من الأمن والاستقرار، فيصبح الشعب في حرب دامية، أهلية لا تنتهي، فينشروا عقيدتهم الفاسدة.

وليس الأمر كما يظن بعض الناس أن دولة غامبيا متورطة في القضية؛ فهذه الدولة الشـــقيقة ليـــس لها أي تدخل في ذلك، وهي بريئـــة براءة الذئب من دم ابـــن يعقوب؛ إذ كيف تتورط في ذلك وقد توتَّرت علاقتها مع إيران منذ زمن بعيد؛ وذلك لما عرف الرئيس الغامبي خبثَهم وفتنتَهم وأنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون. ففي يـــوم الخميس ٢٠٠٨/٧/٢٤م أعلن الرئيس يحيى جامي براءته من إيران أمام الملأ بحضرة وســـائل الإعلام في (المجلس الأعلى للشـــؤون الإســـلامية) بســـيريكوندا. بل صرَّح فـــي ذاك اللقاء بلســـان ولفي مبين (والشـــريط محفوظ عندي) أنه ذهب إلى طهران وقبل صلاة الجمعة جـــاء البروتوكول الإيراني ليذهب به إلى المصلى فأبى وقال له: أنا لا أصلي وراءكم؛ لأنكم لا تغســـلون أرجلكم عند الوضوء، وصلى في الفندق ولم يبالِ بغضبهم. فمَنْ عنده هذه المواقف تجاه إيران والشيعة لا يورط نفسه في التعاون معهم لتدمير السنغال.

وفي ذلك اللقاء طـــرد يحيى جامي مدير المجلس الأعلى ومعاونيه آنذاك لتعاطفهم مع الإيرانيين، وحل محلَّهم مشايخ وعلمـــاء فضلاء أعرفهم عـــن كثب ويعرفوننـــي جيداً. ففي اليـــوم الذي أعلنـــت فيه حكومة الســـنغال قطع علاقتها مع إيـــران كنت في غامبيا في المجلس الأعلى ألقي لهم محاضرة حول معتقدات الشيعة ومخططاتهم الخبيثة، وعداوتهم تجاه المسلمين ومحبي الصحابة.

والذي أرى ضرورته: التحقيق مع بعض السنغاليين الشيعة الذين يعملون في الســـفارة الإيرانيـــة، والذين لهم علاقات مشـــبوهة معهم؛ لأنه لا يمكن أبداً أن تتـــم هذه المفاوضات الســـرية بين إيران والمتمردين دون وجود عناصر سنغالية ولو بدَوْر الترجمة والوساطة.

وإنـــي لا أتهم أحداً بعينه، ولكن لي حق الحرية والمواطنة أن أطلـــب من رجال الأمـــن التحقق مع صاحب (مؤسســـة

المزدهر الدولية)، الذي له علاقة مشبوهة مع الإيرانيين، وله تمويلات مشبوهة المصدر أيضاً. وكذلك أيضا ينبغي التحقق مع المقربين للسفير الإيراني.

وفي ختام هذا المقال لا بد من ذكر الدروس والعبر التي تُستفَاد من تصرُّف هؤلاء الإيرانيين، ومن ذلك ما يلي:

١ - أن السنغال حكومة وشعباً يستنكر فعل الإيرانيين، ويساند الرئيس على موقفه النبيل، الذي يتمنى الشعب السنغالي المسالم أن يصمد عليه، حفاظاً على أمن الناس واستقرارهم. وأن لا يتعاون مع أي دولة تسبِّب لنا الفتن والمصائب.

٢ - أن دولة إيران منذ ثورتها عام ١٩٧٩م تسعى بكل السبل الجائزة وغير الجائزة لإدخال الناس إلى عقيدتهم الشيعية، مهما كلَّفتهم من أموال وقتل وزعزعة للأمن.

٣ - أن الحكومة السنغالية ينبغي أن تأخذ موقفاً صارماً من المراكز التي كان تديرها السفارة الإيرانية بدكار: كالقسم الفارسي بجامعة دكار، وجامعة المصطفى العالمية بجنب السفارة السودانية وغيرهما مما لا تقل خطورة عن سفارتهم، فحذارِ حذارِ من التساهل فيها.

٤ - أن الدولة الإيرانية الخمينية الحديثة هي امتداد للدولة الصفوية الإيرانية القديمة.

ومن أعاد التاريخ إلى الوراء قليلاً لا يستغرب من فِعْل هؤلاء الشيعة الإيرانيين. فمن أقوالهم المدونة في كتبهم المطبوعة الدالة على حقدهم وبغضهم للمسلمين غير الشيعة ما يلي:

قالوا باستباحة أموال ودماء المسلمين غير الشيعة، ولعن أمواتهم عند صلاة الجنازة. فإذا كان الناس يدعون للميت بالمغفرة، فإن الشيعة يدعون له بالهلاك والعذاب.

قال نعمة الله الجزائري الذي كان يعيش في الدولة الإيرانية الصفوية في رواية أسندها إلى الصدوق: إن داود بن فرقد (سأل أبا عبد الله - عليه السلام -: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء؛ لكي لا يشهد به عليك فافعل. فقلت: ما ترى في ماله؟ قال: خذ ما قدرت)[١].

وقال آية الله الخميني صاحب الدولة الإيرانية الحديثة: (... فلا شبهة في عدم احترامهم أي المسلمين، بل من ضروري المذهب كما قال المحققون، بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقيعة فيهم)[٢]

وقالوا: الصوفيون خلفاء الشياطين في الأرض، وأنهم يعبدون الأصنام والأوثان، وأنهم يخلدون في النار.

قال أحمد الأردبيلي: (لا تلتفتوا إلى الصوفيين؛ فإنهم خلفاء الشياطين، ومخربوا قواعد الدين؛ ينزحون لإراحة الأجسام، ويتهجدون لتصييد الأنام؛ فمن أعان أحداً منهم فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان)[٣]

وقالوا: (لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني وإنهم يهود أمتي، يحلقون للذكور رؤوسهم، ويرفعون أصواتهم للذكر، يظنون أنهم على طريق الأبرار، بل هم أضل من الكفار، وهم أهل النار، لهم شهقة كشهقة الحمار، وقولهم قول الأبرار، وعملهم عمل الفجار)[٤].

(١) الأنوار النعمانية: ٢/٣٠٨.
(٢) المكاسب المحرمة: ١/٢٥١.
(٣) حديقة الشيعة: ص ٥٦٤.
(٤) انظر الكافي للكليني: ٣/٢٦٩، والفصول المهمة لعبد الحسين الموسوي: ٢\٦٢، ووسائل الشيعة للحر العاملي: ٤/٣١.

مجلة البيان

# جديد مجلة البيان

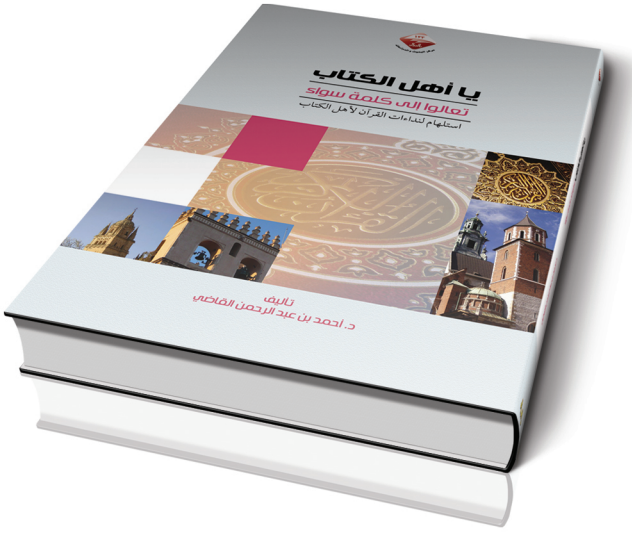

www.albayan.co.uk


الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

## مرصد الأخبار

### جلسة بالكونغرس لمناقشة «الخطر الإسلامي»

انشغلت أوساط الكونغرس الأمريكي بالتحضير لجلسة دعا إليها النائب الجمهوري عن ولاية نيويورك، بيتر كينغ، الذي طلب عقد جلسة لمناقشة ما يعتبره «خطراً إسلامياً» على الولايات المتحدة.

وكان كينغ قد قال: إن هناك «أمراً ما» داخل المجتمع الإسلامي يشكل خطراً على الأمن الأمريكي. وأضاف أن التحقيق يرمي إلى التعرُّف على «مصدر هذا التهديد».

وشرح قائلاً: «نحن نتحدث عن تنظيم القاعدة، وهناك حالات يظهر فيها التطرف بشكل فردي داخل المجتمع الإسلامي، صحيح أنها ضمن أقلية محدودة، ولكنها موجودة والخطر يأتي منها».

ولدى سؤاله عن التحذيرات التي أطلقتْها قيادات إسلامية رافضة لهذه الجلسة قال كينغ: إن الأفضل هو مراقبة أحداث الجلسة قبل الحكم عليها، وأضاف أن المناقشات ستتناول مواضيع لم يجرِ التطرق إليها في السابق.

[موقعي المسلم، وسي إن إن بالعربي ٢٠١١/٣/٧م]

جلال سعد الشايب
galal_elshayp@hotmail.com

### «لا نستسلم... ننتصر أو نموت» شعار ثوار ليبيا

أصدر المحتجون في مدينة بنغازي، أول صحيفة أطلقوا عليها اسم (ليبيا)، حملت شعار (نحن لا نستسلم... ننتصر أو نموت) الذي أطلقه شيخ المجاهدين الليبيين عمر المختار، بالإضافة إلى علم الاستقلال عام ١٩٥٢م. وذكر الموقع الإلكتروني لصحيفة (أويا) أن من أبرز الموضوعات المنشورة على الصفحة الأولى: (الثورة مستمرة... بالحياة وأهالي بنينا وحسن الضيافة)، إلى جانب تعليق بعنوان (المذعور والكلمة الأخيرة)؛ وذلك رداً على كلمة للعقيد الليبي معمر القذافي قبلها.

كما نشرت صحيفة (ليبيا) في صفحاتها الداخلية أخباراً عن الحملات التطوعية للشباب الحر، مثل: تنظيم حركة السير، وجمع الأسلحة، وتوزيع الأكل والشرب في ميدان محكمة شمال بنغازي .

ونشرت الصحيفة وجموعة صور على صفحتها الأخيرة تظهر فيها بنغازي منذ بدء الأحداث.

[وكالة أنباء شام برس ٢٠١١/٢/٢٣م]

### تعليق الحوار بين جنوب السودان وشماله

قال الأمين العام للحركة الشعبية لتحرير السودان باغان أموم: إن الحركة الشعبية تعتزم قطع إمدادات النفط عن الشمال رداً على مؤامرة إسقاط حكومة الجنوب.

وكان قد أعلن قادة جنوب السودان تعليق الحوار مع حكومة الخرطوم؛ بعد اتهامها بأنها تسعى إلى إسقاط حكومة جنوب السودان قبل الاستقلال المقرر في يوليو القادم.

وأكد أموم على أن لديهم «تفاصيل عن مؤامرة لقلب نظام جنوب السودان يشرف عليها الرئيس عمر البشير»، مضيفاً: «هذا المشروع الذي يهدف إلى خلق اضطراب في الجنوب تنفذه أجهزة المخابرات مع مستشاري الرئيس»، موضحاً أن الحوار مع الخرطوم عُلِّق لهذا السبب.

وقال: «إن الحركة الشعبية تعرف أسماء الأشخاص الضالعين في المؤامرة، وإنها طلبت من الأمم المتحدة التحقيق في «الجرائم ضد الإنسانية» التي ارتكبها في الأيام الأخيرة متمردون في ولايتي جونقلي وأعالي النيل. وتتهم الحركة الشعبية حكومة الخرطوم بدعم هؤلاء المتمردين».

[موقع بي بي سي العربي ٢٠١١/٣/١٢م]

## سياسة حرق الملفات الأمنية

تضاربت الأنباء في الأيام الماضية حول حرق ملفات تدين عناصر من الأمن السياسي في مدينة القصرين غرب تونس؛ وذلك غداة إعلان الحكومة عن حل هذا الجهاز المسؤول عن ملاحقة وتعذيب المعارضين في عهد الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي.

وقد أكد حقوقيون في تونس مشاهدتهم لوثائق محروقة تتعلق بملاحقات استهدفت ناشطين معارضين لنظام بن علي السابق، وجاء ذلك في محاولة للتخلص من أرشيف ما يُعرَف بالبوليس السياسي في مدينة القصرين عقب نشر لائحة أعدَّتها لجنة حقوقية تضم أسماء ١٣٣ ضابطاً من ضباط الأمن المتهمين باقتراف انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان.

وفي الشأن نفسه أصدرت النيابة العامة المصرية قراراً بحبس ١٠ ضباط على ذمة التحقيقات، في واقعة حرق ملفات مقار مباحث أمن الدولة، واستمرار التحقيق مع اللواء حسن عبد الرحمن، رئيس جهاز أمن الدولة السابق، في القضية نفسها.

وكان «رئيس جهاز أمن الدولة السابق» قد اعترف في التحقيقات بأنه أمر قيادات الجهاز بحرق الملفات خوفاً من استيلاء المتظاهرين عليها؛ حماية للبلاد على حد قوله وظنه.

[مواقع تونسية ومصرية]

## جيش واحد لخدمة لبنان لا لخدمة إيران

تحت عنوان «لا لوصاية السلاح»؛ نظمت قوى الـ ١٤ من آذار في لبنان تجمعاً جماهيرياً حاشداً في ساحة الشهداء وسط العاصمة بيروت، طالب فيه الحريري بدولة جيشها واحد، داعياً لضرورة الإحساس بالخطر الذي يتهدَّد لبنان جراء السلاح الخارج عن الشرعية، وَفْقَ وصفه.

وقد شددت الكلمات التي أُلقيَت في التجمع على أنها لا تريد سلاحاً إلا سلاح الجيش اللبناني، وترفض إقامة «دويلة داخل الدولة اللبنانية» وَفْقَ وصفهم أيضاً.

وطالب الحريري بدولة فيها جيش واحد يقف في وجه العدو الإسرائيلي، وليس دولة فيها جيش خارجٌ عن الجيش والقانون، مضيفاً: أنه من غير المقبول أن يبقى السلاح مرفوعاً في وجه إرادة الشعب.

وقد حمل رئيس الهيئة التنفيذية للقوات اللبنانية سمير جعجع على سلاح حزب الله بشدة، معتبراً أنه لا يمكن أن يوصف بأنه سلاح المقاومة؛ وإنما هو في خدمة دويلة داخل الدولة خادمة لإيران.

[وكالة الأنباء اللبنانية «وال» ٢٠١١/٣/١٤م]



## تهم بالقتل لوزيري الداخلية التونسي والمصري

من عجائب الأقدار أن يوجِّه القضاء التونسي رسمياً تهمة «القتل العمد» لوزير الداخلية التونسي السابق (رفيق بلحاج قاسم) المعتقل حالياً، وهي تهمة تصل عقوبتها إلى الإعدام في القانون التونسي؛ وذلك على خلفية أحداث العنف التي استهدفت المحتجين على نظام الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي خلال شهري ديسمبر ويناير الماضيَيْن.

كما وجه القضاء المصري رسمياً لوزير الداخلية السابق (حبيب العادلي) اتهامات بـ «القتل العمد» للمتظاهرين؛ وذلك باتهامات تتعلق بوقائع يوم ٢٨ يناير الماضي المعروف بجمعة الغضب في القاهرة ومدن رئيسية أخرى. وتشمل هذه الاتهامات قَتْلَ المتظاهرين عمداً بالاشتراك مع آخرين، والشروعَ في القتل، وإلحاقَ أضرار بالممتلكات العامة والخاصة والإضرار بالمركز الاقتصادي للبلاد، وإحداث فراغ أمني وإشاعة الفوضى وتكدير الأمن والسلم العامَّين وترويع المواطنين.

[جريدتي الجزيرة والحياة]

## علامة تعجب

### عباس: لن أسمح بانتفاضة ثالثة

في خطوة لافتة للنظر من حيث التوقيت أجرت الإذاعة الإسرائيلية الرسمية باللغة العبرية (ريشيت بيت) لقاءً مع محمود عبَّاس (رئيس السلطة الفلسطينية)؛ حيث شدد على أنه لن يسمح بانتفاضة ثالثة حتى ولو بالقوة، قائلاً: «أنا لا أسمح ما دمت موجوداً على الكرسي، وسأمنع الانتفاضة بقرار؛ يعني أي واحد بيسوِّي لعب هيك سأمنعه بقرار وبقوة». كما أنه لن يوقف التنسيق الأمني مع الأجهزة الأمنية في الدولة العبرية، على حد قوله.

وشدد عباس في سياق حديثه على أنَّ يده ممدودة للسلام، وإذا تمَّ اختراق الجمود الذي يحيط بما يُسمى بالعمليَّة السلميَّة، فإنَّه سيستغل هذه الفرصة، حتى في الوقت الذي تنشغل فيه الدول العربيَّة بالأمور التي تجري داخلها.

[منتديات الجزيرة توك نقلاً عن القدس العربي ٢٠١١/٣/١٥م]

## (س) و (ج)

### س: هل المواطنة لا بد أن تكون علمانية؟ وهل تحقُّقُها يستلزم التخلي عن المرجعية الإسلامية في القانون والتشريع؟

ج: المواطنة: هي علاقة تفاعل بين الإنسان المواطن وبين الوطن الذي ينتمي إليه ويعيش فيه، ويترتب عليها كثير من الحقوق والواجبات؛ فلا بد لقيام المواطنة أن يكون انتماء المواطن وولاؤه كاملين للوطن، يحترم هويته ويؤمن بها وينتمي إليها ويدافع عنها بكل ما في عناصر هذه الهوية من ثوابت اللغة والتاريخ والقيم والآداب العامة، والأرض التي تمثل وعاء الهوية والمواطنين. وولاء المواطن لوطنه يستلزم البراء من أعداء هذا الوطن طالما استمر هذا العداء.

وكما أن للوطن هذه الحقوق التي هي واجبات وفرائض على المواطن، فإن لهذا المواطن على وطنه ومجتمعه وشعبه وأمته حقوقاً كذلك؛ من أهمها المساواة في تكافؤ الفرص، وانتفاء التمييز في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب اللون أو الطبقة أو الاعتقاد، مع تحقيق التكافل الاجتماعي الذي يجعل الأمة سدّاً واحداً والشعب كياناً مترابطاً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضاء الجسد الواحد بالتكافل والتضامن والتساند والإنقاذ.

وإذا كان التطور الحضاري الغربي لم يعرف المواطنة وحقوقها إلا بعد الثورة الفرنسية (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) بسبب التمييز على أساس الدين بين الكاثوليك والبروتستانت، وعلى أساس العرق بسبب الحروب القومية، وعلى أساس الجنس بسبب التمييز ضد النساء، وعلى أساس اللون في التمييز ضد الملونين. فإن المواطنة الكاملة (والمساواة في الحقوق والواجبات) قد اقترنت بظهور الإسلام، وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة سنة ١ هـ وسنة ٦٢٢م على عهد رسول الله ﷺ وتحت قيادته.

ولقد وضعت الدولة الإسلامية فلسفة المواطنة في الممارسة والتطبيق، وفنَّدتها في المواثيق والعهود الدستورية منذ اللحظة الأولى لقيام هذه الدولة في السنة الأولى للهجرة.

فأول دستور لهذه الدولة أُسِّس على التعددية الدينية، وعلى المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين المتعددين في الدين والمتحدين في الأمة والمواطنة، فنصَّ هذا الدستور (صحيفة دولة المدينة) على أن (اليهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن لهم النصر والأسوة مع البر من أهل هذه الصحيفة. ينفقون مع المواطنين ما داموا محاربين. على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم... وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من اشتجار ويخاف فساده فمرجعه إلى الله وإلى رسول الله)... وهكذا تأسست المواطنة في ظل المرجعية الإسلامية منذ اللحظة الأولى لقيام دولة الإسلام.

[بتصرف من مقال مفهوم المواطنة في التشريع الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، جريدة الغد الأردنية]

قدَّرت شركة «إيكيكات» Eqecat للاستشارات الأمريكية قيمة خسائر هزة اليابان المدمرة، التي بلغت قوتها ٨,٩ درجات بمقياس ريختر، بـ ١٠٠ مليار دولار على الأقل، منها ٢٠ ملياراً خسائر ناتجة عن حجم الأضرار التي لحقت بالعقارات السكنية، و٤٠ مليار دولار عن الدمار الذي لحق بالبنية التحتية: كخطوط السكة حديد والشوارع والموانئ البحرية.

ويقول «هيروميشي شيركاوا» المحلل ببنك كريديت سويس ومحللون آخرون بمؤسسة باركليز كابيتال المالية: إن الأضرار الذي خلفها الزلزال قد تصل إلى ١٥ تريليون ين (١٨٣ مليار دولار)؛ أي ما يعادل ٣ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي. كما يشير إلى أن الخسائر المباشرة الناتجة عن تدمير المباني قد تصل إلى ٦ تريليونات ين (٧٣ مليار دولار)، يضاف إلى ذلك الخسائر الناتجة عن توقف الإنتاج، كما حذَّر خبراء من أن الاقتصاد الياباني قد ينكمش لربعين متتاليين من العام.

[موقع الـ cnn والأيام الجزائرية ٢٠١١/٣/١٤م]

كشف استطلاع رأي عام سنوي أجرته شبكة «بي بي سي» الإعلامية البريطانية عن تدهور شعبية الكيان الصهيوني عالمياً؛ حيث باتت مصنفة ضمن المراتب الأخيرة.

وشمل الاستطلاع ٢٧ دولة مختلفة، وشارك فيه ٢٨ ألف شخص تم استطلاع آرائهم تجاه الدول المختلفة؛ حيث عبر ٢١ ٪ فقط من مجموع المستطلَعة آراؤهم عن دعمهم للكيان الصهيوني مقابل ٤٩ ٪ لا يؤيدونه.

وبرز من بين الدول التي يحظى الكيان بتأييد شعبي فيها، الولايات المتحدة؛ حيث عبَّر ٤٣ ٪ عن دعمهم للكيان مقابل ٤١ ٪ لا يؤيدونه، وفي روسيا عبَّر ٣٤ ٪ عن دعمهم مقابل ٢٧ ٪، وبعدها غانا ٣٢ ٪ مقابل ٢٧ ٪، والهند ٢١٪ مقابل ١٨٪.

[تليفزيون bbc ٢٠١١/٣/٧م]

كشفت معطيات رسمية نشرها مكتب الإحصاء المركزي الصهيوني، أنه منذ إعلان انتهاء فترة «تجميد» البناء في المغتصبات قبل نحو خمسة أشهر، ارتفعت وتيرة البناء الاستيطاني في الضفة الغربية بأربعة أضعاف بالمقارنة مع فترة «التجميد».

وبيَّنَت المعطيات أنه يجري بناء ١١٤ وحدة استيطانية جديدة بمعدل شهري، وأن المغتصبين استكملوا بناء ١١٧٥ وحدة إضافية بدأ البناء فيها قبل مدة «التجميد»، مشيرة إلى أنه في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ٢٠١٠م، وبعد انتهاء فترة التجميد، بدأ ببناء ٤٢٧ وحدة استيطانية جديدة مقابل ١١٤ وحدة سكنية في التسعة أشهر الأولى من العام نفسه.

وأكدت مصادر في مكتب الإحصاء المركزي أن معطيات البناء هذه جزئية، ولا تكشف العدد الحقيقي للوحدات الاستيطانية التي تم بناؤها، وتلك التي في طور البناء لعدة أسباب، منها: أن مكتب الإحصاء لم يعتمد أخبار السلطات المحلية وإنما على تصاريح البناء، وأن المعطيات لم تعتمد على البناء غير القانوني في المغتصبات ووضع الكرافانات فيها، وأن السلطات المحلية لم تتحدث في هذا الأمر بشكل واضح، بحسب المصادر.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١١/٣/٦م]

أعلنت بريطانيا إلغاء ١١ ألف وظيفة في قُوَّاتها المسلحة بإطار اقتطاعات في الميزانية بهدف تقليص العجز العام غير المسبوق في البلاد.

ويؤكِّد هذا الإعلان ما كان ذكره في أكتوبر الماضي وزير المالية جورج أوسبورن حول اقتطاعات في الميزانية في كل القطاعات، وطلب خصوصاً من وزارة الدفاع توفير ٨ ٪.

ووَفْقَ ما نشرته صحيفة التليغراف، فإنَّ الحكومة أبلغت الجيش أنَّ الكتيبة المشاركة في احتلال أفغانستان لن تتأثر بتقليص العدد، وينتشر ٩٥٠٠ عسكري بريطاني في إطار القوات الدولية في أفغانستان (إيساف).

[موقع الإسلام اليوم عن صحيفة التليغراف ٢٠١١/٣/٢م]

أكَّد الدكتور محمد البلتاجي القيادي في جماعة الإخوان المسلمين بمصر، أنه تَمَّ اعتقال نحو ٤٠ ألفاً من الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٩٢م إلى اليوم، ثم بدأت عمليات الإحالة إلى المحاكمات العسكريَّة ومحاكم أمن الدولة العليا طوارئ، إلى أن وصلت إلى محاكم الجنايات والجنح لمن يقومون بمجرد تعليق اللافتات الانتخابية. مُشيراً إلى أن التوتر بدأ بعد وصول جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة في الجزائر إلى الحكم.

[التلفاز المصري ٢٠١١/٣/١٧م]

أَكَّد تقرير لصندوق النقد العربي أن أسواق الأسهم في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فقدت ١٤٠ مليار دولار من قيمتها السوقيَّة في الأسابيع الخمسة الماضية مع اتساع نطاق الاضطرابات في المنطقة.

وذكر التقرير أن القيمة السوقية للأسهم في ١٦ بورصة عربية تراجعت إلى نحو ٨٦٢ مليار دولار في الرابع من مارس الجاري مقارنةً مع أكثر من ترليون دولار في ٢٥ يناير الماضي، حسبما أفادت قناة «الجزيرة» الفضائيَّة.

[مصادر اقتصادية مختلفة ٢٠١١/٣/٨م]

# المسلمون في الكاميرون

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

تقع الكاميرون في وسط القارة الإفريقية، تحدُّها نيجيريا شمالاً وغرباً، والمحيط الأطلنطي من الجنوب الغربي، وغينيا الاستوائية والغابون والكونغو جنوباً، وإفريقيا الوسطى شرقاً، وتشاد من الشمال الشرقي. يبلغ عدد السكان حوالي ١٨ مليون نسمة، وتتوزع الأديان فيها على النحو التالي: مسيحيون (٥٣ ٪)، (مسلمون ٢٢ ٪)، معتقدات تقليدية (٢٥ ٪).

الجماعات الإثنية: توجد حوالي ٢٥٠ جماعة عرقية، منها: الباميلكي والبامون، الباسا والدوالا، الإيوندو والبولو، الفانج والماكا والأقزام «باكاس»، وجماعات الفولالني، وجماعات الكيردي.

بدأت الدعوة للإسلام على يد الزعيم الإسلامي عثمان فوديم الذي وصل الكاميرون قبل ١٦٠ عاماً وساهم في نشر الإسلام في الجزء الشمالي من البلاد، وأسس أنصاره مملكة إدماوا الإسلامية في عام ١٨٢٦م، وساهمت قبيلة الهوسا في نشر الإسلام في الكاميرون عبر عملهم في التجارة. أما في مناطق الجنوب فقد بدأ الإسلام في الانتشار في العقود الثلاثة الأخيرة عبر عدد من الدعاة.

وقد أدت سلوكيات المسلمين وأخلاقهم المتواضعة دوراً كبيراً في اعتناق آلاف النصارى والوثنيين مبادئ الإسلام الحنيف، ومن أبرز الزعماء المسلمين هناك (أحمد إيجو) الذي استمر في الحكم أكثر من عشرين عاماً أسهم خلالها في دعم المؤسسات الإسلامية وشهد عصره انتشاراً للإسلام في معظم أنحاء البلاد وليس الأجزاء الشمالية منها فقط. لكن تبدلت الأوضاع وتصاعد نفوذ النصارى حين وصل إلى حكم البلاد (بول بيا)، الذي يعتمد على أعداد كبيرة من المستشارين الصهاينة الذين تغلغلوا في جميع مؤسسات الدولة.

ويوجد في الكاميرون أكثر من ١٢٠٠ مسجد، حالة معظمها سيئة جداً، ولا يوجد دعم إلا من عدد قليل من بعض مؤسسات الإغاثة في الكويت والإمارات التي قامت بإنشاء عدد من المدارس والمراكز الإسلامية في العاصمة ياوندي التي يعيش فيها أكثر من ٩٥٠ ألف مسلم.

وينتشر الفقر في مناطق المسلمين وفي مدنهم الكبرى: في ناروا وماروا وساميان؛ وهو ما أعطى فرصة ذهبية لمنظمات التنصير كي تنشر سمومها؛ حيث تنتشر في الكاميرون كثير من الإرساليات التنصيرية، منها: الإخوة الكومبنيون، وإرساليات إفريقيا المعمدانية، ومنظمة كاريتاس، ورغم إنفاق هذه المنظمات ملايين الدولارات لتنصير المسلمين هناك؛ إلا أن النتائج التي حققتها هذه المنظمات ضئيلة جداً. ويقابَل هذا الغزو التنصيري الكثيف بغياب إسلامي شبه كامل؛ فلا توجد في الكاميرون مؤسسات إغاثة إسلامية إلا القليل جداً بعد تشديد الدولة ضغوطها على الجمعيات الإغاثة الإسلامية التي كانت تعمل في الكاميرون قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

والصلات بين الكاميرون والعالم الإسلامي شبه مقطوعة وتقتصر على بعض المنح التي تقدِّمها جامعات إسلامية لطلاب كاميرونيين للدراسة في جامعة الأزهر في مصر والجامعة الإسلامية بالسعودية. ونادراً ما نجد في العاصمة ياوندي أو أي من المدن الكاميرونية بناءً أسهمت دولة عربية في بنائه أو مسجد شيدته، حتى التي يوجد لها كليات أو جامعات إسلامية متخصصة في الدراسات الإسلامية أو اللغة العربية. إلا أننا نفاجأ بأن ٤ ٪ من الكاميرونيين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ويحفظون أجزاءً من القرآن الكريم، وهو ما يشير إلى أن الظروف الصعبة التي مر بها المسلمون في الكاميرون لم تؤثر سلباً على مستقبل هذا الدين الحنيف في البلاد.

ومن نتائج نشاط الدعاة الكاميرونيين في عام ٢٠٠٩م ما صرَّحت به الندوة العالمية للشباب الإسلامي من أن ما يقرب من ٧ آلاف كاميروني اهتدوا للإسلام بفضل الله وهم يشكلون سكان ٨ قرى.

ولقد نشر موقع الندوة أن ثلاث قرى من قرى الكاميرون هي «كوادي»، و «تولوم»، و «بيزيل» أسلمت واحدة تلو الأخرى واعتنق الإسلامَ ثلاثةُ آلاف شخص فيها. كما قام دعاة من المهتدين الجدد بنشر الإسلام بين الناس في قرى مجاورة، حتى أسلمت ٥ قرى أخرى على أيدي هؤلاء الشباب. وصار عدد المهتدين للإسلام ٧ آلاف شخص.

وصرح أيضاً الداعية الكاميروني عبد الكريم أبو يريما موضحاً أسلوب عمل الدعاة فقال: إن الدعاة يبذلون جهودهم في اتجاهين:

الأول: نحو المسلمين ليتعرفوا دينهم أكثر، ويلتزموا به بصفته نظاماً للحياة.

والثاني: مع غير المسلمين ليتعرفوا الإسلام وتعاليمه؛ رجاء أن يهديهم الله للإسلام

وقال أيضاً: إن المنطقة التي تقع فيها تلك القرى، كانت تدين بالوثنية وتتصَّر معظم أهلها بسبب نشاط التنصير المنتشر هناك؛ حيث يصل إلى كل بيت وكل شخص، ووضح أن هؤلاء المنصرين لديهم من إمكانات ما لا قِبَل للدعاة المسلمين بها. ودعا الهيئات والمنظمات الإسلامية لمساعدة مسلمي الكاميرون للتصدي لتلك التحديات.

**المصادر:**

- موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي بجدة.
- موقع نور الحق.
- fact book.
- د. محمد عاشور، دليل الدول الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٨.

# يا سبتة الأمجاد

عمر عبد الله البخاري

كما لا يخفى على ذي عقل، فسبتتنا الحبيبة المغربية محتلة من طرف جيراننا الإسبان الذين يعلمون أنها للمغاربة، وقد كنتُ في أحد الأيام أحادث أحد الأصدقاء الأعزاء، وقد اتفق أنه من أبناء سبتة، فكنت أحدثه عن استعمار الإسبان لهذه المدينة المغربية، فأظهر لي وبيَّن أنه متضجر ومتضايق من ذلك وسألني قائلاً: هل تحسن قرض الشعر فأجبته بأنني أحسن النظم فقط، فسألني أن أنظم له قصيدة يتمثلها في حياته دائماً فكتبت له هذه القصيدة:

يا سبتةَ الأمجادِ والأجدادِ!
سأعود رغم تكالبِ الحسادِ

سأعود ليثاً ناشباً أظفارَه
في كل علجٍ ظالمٍ متمادي

سأعود أُوصِد كلَّ بابٍ للعِدا
وأثور فيكِ منادياً لجهادِ

وأُبيدُ محتلاً طغى في أرضنا
وأُعيدُ عزاً ضائعاً لبلادي

وأذبُّ عنكِ وعن حياضكِ دائماً
بجميع أسلحتي وكلِّ عتادي

يا سبتة! فيها وُلدْت مهمشاً
سأعود فيها سيِّد الأسيادِ

سأعود أنشرُ ديننَا في أرضها
في كلِّ رابيةٍ بها أو نادِ

كعياض حين أقام فيها ناصحاً
ومعلماً للمَكرُماتِ ينادي

هذا لعَمري وَعْدُ حرٍّ لا يرى
تَرْك السليبةِ في يَدِ الأوغادِ

يا سبتة! سأردُّها رغم العِدا
والشامتين وكلِّ ذي أحقادِ

يا سبتتي! يا مهجتي وحبيبتي!
يا سبتتي يا فلذة الأكبادِ!

لن أُخلِف الوعدَ الذي أعطيتُه
فتمهَّلي يا سبتة الأمجادِ!

فالحرُّ يدحر من يراه محارباً
للدين أو للأرض والأولادِ؛

ولذاك أدعو ربنا وإلهنا
ليمدَّني من عندِه بسدادِ

# التقديرات الصهيونية للتعامل مع غزة

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

**زعمت أوساط عسكرية مقرَّبة من الجيش الصهيوني أنَّ «إسرائيل» أطلعت مصر على نيَّتها توجيه ضربات عسكرية مدروسة وتصعيد عملياتها المنهجية ضد المنظمات الفلسطينية في قطاع غزة دون اللجوء إلى مواجهة مباشرة في المرحلة الحالية.**

**وقد أوضحت مصادر في قيادة المنطقة الجنوبية بالجيش الصهيوني أنَّ تلك العمليات ستشمل توجيه ضربات نوعية لمخازن التسليح وطرق نقل الأموال، وتشديد الضربات على أنفاق رفح التي تُستَخدَم لنقل الأسلحة إلى قطاع غزة في ظل انهيار أي رقابة من قِبَل الجانب المصري. ومن المحتمل أن تمتد ما وصفتْها بـ «الضربات الاستباقية» إلى خارج حدود قطاع غزة.**

**وأفادت الأوساط أن «تل أبيب» أبلغت القاهرة بقلقها مما يحدث على حدود غزة، وعن نيتها عدم السماح بتهديد أمنها، ولو أدى الأمر إلى تنفيذ عملية واسعة في القِطاع في أعقاب قصف مدينتَي «نتيفوت وبئر السبع» جنوب إسرائيل بصواريخ «غراد»، وخصوصاً أن دقة تصويب الصواريخ، التي دلت على مهارات تدريب عالية تم اكتسابها خارج القطاع، أثارت انزعاج القيادة العسكرية الصهيونية.**

## تهديدات متواصلة:

كانت مصادر صهيونية قد زعمت أنَّ المنظمات المسلحة في قطاع غزة تحاول اختبار قوة الجيش «الإسرائيلي» في ظل التطورات المتسارعة في المحيط العربي، وسقوط أنظمة حكم أقامت علاقات سرية وعلنية مع الكيان الصهيوني.

حيث أكد وزير الأمن الداخلي الصهيوني، «يتسحاك أهرونوفيتش» على أن رد «إسرائيل» على إطلاق الصواريخ باتجاه أراضيها، يجب أن يكون قاسياً ومؤلماً أكثر، مشدداً على ضرورة أن تُعيد «إسرائيل لنفسها قدرة الردع تجاه المنظمات المسلحة في قطاع غزة.

كما ألمحت أوساط عسكرية صهيونية إلى أن رئيس هيئة الأركان الصهيوني الجديد، «بيني غانتس»، لا ينوي التراجع بأي حال من الأحوال عن القيام بخطوة مؤلمة ضد قطاع غزة؛ وخاصةً أنه يؤمن بأن منح الفصائل الفلسطينية فرصة العمل بحرية في القطاع، سيؤثر سلبياً على أمن «إسرائيل» واستقرارها.

وفي سياق متصل استبعد المحللان «عاموس هارئيل» و «آفي يسخروف» أن يكون للتصعيد الأخير على حدود قطاع غزة أي معنى إستراتيجي، وأن الأمر لا يتعدى كونه مواجهة موضعية غير مدبَّرة مسبقاً، بعد قيام طائرات سلاح الجو الإسرائيلي بسلسلة هجمات جوية ضد أهداف تتبع لحركة حماس في غزة.

وهو ما يعزز الاعتقاد الصهيوني السائد في المحافل الأمنية والاستخبارية أن حماس غير متحمسة لمواجهة الجيش «الإسرائيلي» في الوقت الراهن، وأن الفرص جيدة الآن لوقف التصعيد في غزة خلال أيام معدودة،

(*) كاتب فلسطيني.

وخاصة أنه تبيَّن من المعلومات المتراكمة، أنه ليس فقط الجيش الصهيوني الذي قد تفاجأ من هذا القصف، بل قيادة حماس في القطاع؛ حيث لم يكن هناك أي معلومات مسبقة عن نوايا قصف بئر السبع.

## ردود مصرية:

في السياق ذاته، سيطرت تسريبات صهيونية بشأن وجود خطة عسكرية سرية لضرب غزة على المشهد الإعلامي في تل أبيب، وأثارت كثيراً من الجدل بين العسكريين في ظل وجود مخاوف من الرد المصري؛ خاصة مع انشغال وحدات الجيش المصري بالأوضاع الأمنية الداخلية، ومنحها الأولوية المطلقة دون غيرها، وهو ما وفَّر للفصائل الفلسطينية نجاحاً في استغلال الغياب الأمني على الحدود مع مصر، وأدخلت كثيراً من القطع والتقنيات العسكرية المتميزة التي تؤهلها لمواصلة عملياتها، وهو ما يجعل من المبادرة لضرب قطاع غزة أمراً حيوياً وضرورياً لأمن «إسرائيل».

إن اللافت للنظر في هذا الأمر، أنَّ الأوساط الإعلامية «الإسرائيلية» أشارت صراحة إلى غضب القاهرة الشديد من تلويح تل أبيب بضرب غزة، من خلال رفضها التعليق على مساعي توجيه الضربة، في تلميح إلى تخوُّف «إسرائيلي» من إمكانية أن يردَّ المجلس العسكري الموجود على رأس السلطة في مصر بقوة على «إسرائيل» إن بادرت بضرب غزة؛ سواء على المستوى السياسي أو الدبلوماسي، وهو ما أوجد تردداً داخل تل أبيب بشأن القيام بهذه الضربة.

وتزداد هذه التخوفات مع العلم الصهيوني بأن غالبية القادة العسكريين الموجودين في المجلس المصري لا يشجعون على تعميق العلاقات مع «إسرائيل»، ويرون أن التعاون معها يمثل أزمة تدعو إلى سخط المصريين على النظام، وهو ما دفع لاعتقاد أن توجيه ضربة إلى غزة الآن، قد يعني بداية النهاية للعلاقات المصرية «الإسرائيلية» على الرغم من تعهُّد المجلس العسكري باحترام اتفاقية «كامب ديفيد»، والمحافظة على مستوى العلاقات مع «إسرائيل» بصورة جيدة.

## الجيش النظامي:

أكد قائد سلاح البر في الجيش الصهيوني، «سامي تورجمان»، ضرورة القيام بمناورات وصفها بأنها «سريعة وفتاكة» في ضوء التغيرات في سمات الصراع؛ لتقليص مدة أي حرب مستقبلية، مع الاحتفاظ بالمفهوم القديم للأمن، القائم على نقل العمل لأراضي العدو بأسرع ما يمكن.

وكشف «تورجمان» عن تزود سلاح البر الصهيوني بصواريخ «سبايك» لزيادة دقة الهجمات، يصل مداها إلى ٢٥ كيلو متراً، وهي نسخه محسَّنة من صاروخ «السبايك» المضاد للدروع، لتحسين قدراته على مواجهة المدفعية التابعة للمنظمات المعادية، ويتم إطلاقها من مركبات أو مروحيات، وهي مزودة بجهاز توجيه لتحسين قدرتها على إصابة الأهداف، وتستعمل نظام الـ GPS.

كما أشار إلى تزوُّد الجيش بمجموعة من أنظمة «كاردوم» لقذائف الهاون الدقيقة، فضلاً عن ربط جميع الفرق العسكرية بـ «برنامج الجيش الرقمي الجديد»، لمساعدة القادة، وتدريبهم على التحكم بالعمليات؛ حيث شهد العام الجاري زيادة في مستوى صعوبة التمرينات في ألوية الاحتياط بشكل ملحوظ، بما فيها تدريبات النيران الحية، وسيشهد تزويدَ سلاح المشاة بنظام القيادة والتحكم المحمول.

وكشفت محافل عسكرية عن تعزيزٍ وتوسيعٍ كبيرين للتدريبات العسكرية تمهيداً للحرب القادمة، في ضوء اليقين الصهيوني بأن حرباً قادمة ستشتعل في المنطقة، وسيكون للقوات البرية دور أساسي فيها؛ لأنها ستشتمل على حرب شوارعَ داخل المدن والأنفاق، وستكون بمثابة تحدٍّ كبير للجيش، المعروف بقدراته القتالية وأسلحته المتطورة (براً، وجواً، وبحراً)، لكن أعداءنا لا يعرفون كفاءاتنا في القتال المباشر، وحان لهم أن يعرفوا، حتى يكفُّوا عن إيهام أنفسهم بأنهم قادرون على هزيمتنا.

وتتفق هذه التصريحات مع ما ذكرته مصادر عسكرية صهيونية في الآونة الأخيرة من تدريبات يقوم بها الجيش لمواجهة حماس في قطاع غزة، من خلال معرفته بأنها حفرت شبكات واسعة جداً من الأنفاق تحت الأرض، وأنها تمكَّنت خلال السنوات الأخيرة من تطوير آلياتها وقدراتها الحربية، ليس فقط من ناحية مضاعفة عدد ونوعية الصواريخ، بل من ناحية أجهزة الاتصال الإلكترونية، وزادت من تدريبات قواتها لتصبح مثل جيش نظامي، وضاعفت طول الأنفاق تحت الأرض عشرات المرات، مما كان عليه الحال قبل الحرب الأخيرة.

# حقاً تَحتَ قَدَمَيكِ!

محمود حسين عيسى

لم تسمع صوت حركاته الهادئة التي اعتادت عليها مذ أن كان طالبـاً في كلية الطب، ولم ينقطع عنها ليلة مَّا. إنه ابنها الوحيد، وسـندها في الحياة بعد أن أفقدها المرض الخبيث زوجها.

تذكرت ليلةَ قالت له مشفقة: يا بني! أراك تُجهِد نفسك كثيراً؛ فأنت قضيت جُلَّ ليلتك في طلب العلم ولم تنم سـوى ساعة واحدة.

قَبَّل يدها قائلاً: يا أمي! قيام الليل شرف المؤمن.

قالت في نفسـها: عـلَّ النوم غلبه فأضـاع عليه ثواب التهجد. راحت تطرق الباب برفق لإيقاظه كي يدرك جماعة صلاة الصبـح التي بـدأت، لكنها لم تسـمع صوتاً يجيب طرقاتهـا! ولجت داخل الغرفة واسـتدارت لتضغط على زر المصبـاح وهي تنادي بصوت رقيق: اصـح يا أحمد! لكن لا مجيب! التفتت إلى سـريره فلم تجده ووجدت ورقة مطوية تركها على وسادته. أخذتها بشغف وشرعت في قراءتها بلهفة واضطراب.

سـطَّر أحمد قائلاً: أمي الحبيبة! غادرتُ إلى المسـجد مبكراً وسـوف أنتظر الشـروق، ثم أنطلق إلى ميدان الحرية الـذي تخلَّفت عنه ثلاثة الأيام الماضية؛ ليس حرصاً منِّي على حياة، بل إشـفاقاً منِّي عليك. أمي الحبيبة! أسمع بكاء قلبك فينفطر قلبي، وأرى دمعة عينك فينهمر دمعي، وأشعر بلهفتك إليَّ وخوفك عليَّ، ولهفي إليك أشدُّ وخوفي عليك يمزق قلبي؛ لكنها الحرية والكرامة يا أمي! لم أنس كلامك الذي نقشتِه في عقلي وحواه صدري: لا تعش عيشـة الجبناء؛ بل عش عيشة الشـجعان. وأرى الشـجاعة الحقيقية - يا أمي - هناك في الميدان. لم أنس - يا أمي - سرد أبي غزوة بدر على مسامعي وأنـا طفل صغير. لم أنس كلماتـه الواثقة المطمئنة التي بثها في وجداني: إن الفئة المؤمنة لا تَغلِب بكثرة عدد أو عتاد. وإن الحق يعلو دائماً ولا يعلى عليه. لم أنس - يا أمي - ترديد أبي: الحريـة - يا بُنَي - لا توهب من ظالم مسـتبد؛ بل تُنتَزَع من بين يديه. الحرية - يا بني - حق للإنسـان الحر الذي خلقه الله حراً وليس عبداً لأحد سـواه؛ كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. لم أنس قولك - يا أمي -: عش حراً في نفسك دوماً حتى ولو كنتَ أسير الأغلال. أعلم - يا أمي - أني أخطأت في عدم استئذانك؛ ولكن عذري أني خشيت أن تمنَعني نظراتُك،

ويحجبني أنينُك، ولو نطق لسانك أو أشارت يدك لي بالخروج. سامحيني يا أمي! سوف أعود إليك منتصراً بإذن الله، وإن كانت الأخرى فسأنتظرك هناك.

خفق قلبها، ودار رأسها، وزاغ بصرها، وماجت الأرض تحت قدميها، واصطدم جسدها بسريره وأجهشت في بكاء ونحيب مستمرَّين حتى غلبتها سِنَة من نوم أفاقت منها سريعاً، وراحت تمنِّي نفسها: مؤكد أنه سيتصل بي كي يعدَني بالعودة. أكيد شعر بعدم قدرتي على فراقه. سأعاتبه: أطاوَعَك قلبُك - يا حبيبي - أن تخرج من دون أن أودعك، من دون أن أملأ عيني بصورتك وأُحكِم عليها جفوني، من دون أن أملأ صدري بعبيرك؟ لا لن أعاتبه؛ فهو رقيق المشاعر، مرهَف الحس ستخنقه عبارات الاعتذار، وأنا أخشى عليه.

أخرجها صوت الهاتف من حوارها فانطلقت نحوه كسهم راعٍ غادر قوسه متجهاً نحو ذئب يريد افتراس شاة قاصية. وقفت أمام الهاتف لتلتقط أنفاسها اللاهثة، وتنتظم ضربات قلبها المضطربة؛ خوفاً أن تعكس نبرات صوتها ما يدل على خوفها وقلقها أو عتابها. ولكن نبضات قلبها ازدادت، وسار في جسدها إحساس شعرت به لحظة فراق زوجها فزلزل كيانها، وجمَّد أطرافها. لكن سرعان ما استرجعت فلهج لسانها بالدعاء والتوسل إلى الله...

التقطت سماعة الهاتف بيدٍ مرتعشةٍ قائلةً:

السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أنا عمر زميل أحمد في المستشفى.

هل أصاب أحمدَ مكروه؟

- الحمد لله على كل حال: إصابة بسيطة، وهو يريد أن يراك، وسوف آتي لاصطحابك.

قال عمر وهو يقود سيارته ماسحاً دمعةً حارة ألهبت وجنتيه: اطمئني يا خالتي! سيشفى إن شاء الله. لقد تعاهدنا ألا نترك ساحة الميدان. أحمد كان بطلاً شجاعاً لم يعبأ بالحجارة ولا الرصاص الحي ولا المطاطي الذي كان ينهمر على الأبطال العزَّل كالمطر. كان همه الأول إسعاف الجرحى، ولم يبالِ بما أصابه حتى سقط فاقداً الوعي...

نظرت إليه وهو طريح الفراش لا يحرك ساكناً وقد لُفَّ رأسه بعمامة بيضاء نقية، رغم تغير لونها بدمه الزكي.

حدقت في وجهه وقد بدا كالبدر ليلة اكتماله. انهمرت دموعها، وارتعشت شفاهها متمتمة: حسبي الله ونعم الوكيل. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

# حجاب الفقراء

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

كتب الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - مقالاً ماتعاً وطريفاً عن الحجاب استهلَّه بهذه الديباجة: «ليطمئن السيدات، فليس الكلام عن حجاب النساء، ولكن عن حجاب الأمراء، وإن كان الصنفان يتشابهان في أمور كثيرة:

- في الحروف (امرأة - أمراء) كلها من (أ، م، ر)، وأثقل القول على النفس فِعْل الأمر.

وفي أنَّا إن خضعنا للنساء طَغَيْن طغيان الأمراء، وإن لِنَّا للأمراء (تدلَّلوا) دلال النساء.

وفي الحجاب الذي يغري ولا يغطي، ويُطمِع ولا يطعم، يلبس النساء العديد من الثياب ولكنها ثياب لا تستر جسداً، ويتخذ الأمراء الواسع من الأبواب ولكنها لا تُدخِل أحداً.

والحجاب عند الصنفين زينة وفخر، ولو تعرَّى الأمراء عن الشارات والزينات والأبواب والحجاب لخسروا أغلب هيبة الحكم...»[1].

وقد أشار الشوكاني - رحمه الله - إلى هذه البَهرَجة والتهويل في إيوانات السلاطين، وأن رسولاً قدم من بلاد نائية إلى أحد خلفاء بني العباس، وعاين هذه التهاويل والعجائب، فامتلأ قلبه مهابة وروعة، وتعاورته أسباب التعظيم والانبهار من كل حدب وصوب، فما إن وقعت عين هذا البائس على الخليفة حتى قال: أهذا الله؟ فقالوا: لا. بل هذا خليفة الله. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[2].

وبيَّن صدِّيق حسن القنوجي - رحمه الله - أن إيوانات السلاطين التيمورية بالهند على هذا المنوال، وأن الرِّعدة تعتري أجسام الأقوياء، ويلحقهم الذهول والاندهاش إثر معاينة التزويقات والزينات[3].

ولئن كانت هذه الأبهة والتهويل ترسِّخ تأليهاً وتعظيماً للسلاطين، وتثبيتاً للوثنية السياسية، فإن الغلو في القبور بإسراجها والبناء عليها يجلب وثنية الأضرحة وعبادتها، وقد أوضح الشوكاني ذلك بقوله: «لا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زيَّنه الشيطان للناس:

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) فكر ومباحث، ص١٢٢ = بتصرف يسير.

(٢) ينظر: فتاوى صديق حسن، ص١٠٧، والمنتظم لابن الجوزي: ١٣ / ١٧٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٠٨.

من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنيَت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستورَ الرائعة، والسرجَ المتلألئةَ، وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شك أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية»[1].

ومهما يكن الحجاب للمرأة والأمير، فإن للفقراء (الصوفية) حظاً وافراً من هذا الحجاب؛ ولا سيما أن الفقراء لهم صِلات حميمة بالأمراء وأصحاب النفوذ في القديم والحديث، ومن ذلك أن صوفياً وعظ أحد الأمراء الظَّلَمة فأعطاه شيئاً فقبله، فقال الظالم: كلنا صيَّادون، وإنما الشباك تختلف[2]، بل ربما أفضى بهم الحال إلى تأييد الأعداء والمستعمرين.

وقد وصف ابن تيمية الصوفية قائلاً: «بل أكثرهم يكرهون متابعة الرسول ﷺ، وهم مِنْ أبعد الناس عن الجهاد في سبيل الله، بل يعاونون أعداءه ويدَّعون محبته»[3].

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، ص١٧.
(٢) ينظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص٢٠٧.
(٣) منهاج السنة: ٥/٣٢٩.

ومن ذلك أن صوفية داغستان جاهرت بتأييدها للزعيم الشيوعي «لينين»، وصوفية العراق باركت الاحتلال الأمريكي للعراق، وصوفية مصر تقيم المظاهرات لأجل تأييد حسني مبارك[4].

كما أن للصوفية ولعاً بالنساء؛ حتى استحلَّ بعضهم مؤاخاة النساء والخلوة بهنَّ[5]. والقوم تحرِّكهم العاطفة والسماع، ويؤثرون التواجد والرقص كالنساء، ويعشقون الأصوات الحسنة والصور الجميلة[6].

وسأكتفي بمثالين على حُجُب الصوفية:

أولاهما: أن أبا الحسن الباهلي (تلميذ أبي الحسن الأشعري) كان يحتجب عن الرجال، فكان تلاميذه كالباقلاني وابن فورك يحضرون درسه، وقد أرخى الستر كي لا يروه! ولما سألوه عن ذلك، أجاب: إنهم يرون السُّوقة (وهم أهل الغفلة)

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتاب التصوف للمقدي، ص٨١ – ٩٣.
(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤٢١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: ١١/٤٠٥، ٥٠٥، ٥٣٧. ٣٢/٢٤٨.
(٦) انظر الاستقامة: ١/٣٠٥ – ٣١٩.

فيروني بالعين التي يرون أولئك بها[1].

وهذا أنموذج للفساد: النساء الورع والتعبُّد المتنطِّع، وإلا فقد كان سيد المرسلين ﷺ يعاين الكفرة كفرعون هذه الأمة أبي جهل وغيره من أئمة الكفر، ويغشى أسواق قريش، ويطوف بالكعبة وحولها ستون وثلاثمائة صنم.

وثانيهما: ما ادَّعاه أبو حامد الغزالي في إحيائه حيث قال: «مقصود الرياضة تفريغ القلب، وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم، فإن لم يكن مكان مظلم فيلفُّ رأسه في جبَّة، أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال حضرة الربوبية».

وقد تعقَّب ابن الجوزي هذا الصنيع فقال: «انظر إلى هذه الترتيبات، والعَجَب كيف تصدر من فقيه عالم! ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق، وأن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمِّنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات: المالیخوليا[2]، وقد يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوساوس؛ إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء.. نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة»[3].

وخيالات وأوهام الغزالي - عفا الله عنه - تعكس نكوصه عن نوازل عصره، وتنصُّله عن الالتفات إليها، فإن «الإحياء» ألِّفه زمن الحروب الصليبية الأولى.. ومع ذلك فالغزالي غارق في خلواته، متيَّم بالتدثر. فلم يُقِم لهذه الحروب وزناً ولا أثراً.

ثم إن هذه الأحوال لا تحقق علماً نافعاً، ولا عملاً صالحاً، وإنما هي أوهام وسلوب لا حقيقة لها في الأعيان.

وما أجمل ما حكاه ابن تيمية قائلاً: «غاية كلام الغزالي في السلوك ينتهي إلى التعطيل؛ ولهذا ذاكرني مرة شيخ جليل له معرفة وسلوك وعلم في هذا، فقال: كلام أبي حامد يشوقك فتسير خلفه منزلاً من منزل، فإذا هو ينتهي إلى لا شيء»[4].

والناظر إلى أحوال الصوفية وسلوكهم، يجد أن كثرة التنقلات هو دأبهم، وأن تفسُّخ العزائم ونقض الهمم غالب عليهم مع كثرة دعاويهم المثالية الجامحة.. فقد تشددوا في العبادة ثم أعقب ذلك التحلل والفجور، وتنطعوا في دقائق الورع ثم انهمكوا في أكل أموال الناس بالباطل كما هو مبسوط في موضعه، وكذا الحجاب والاستتار، فقد آل الأمر بمتأخريهم إلى التجرُّد من الثياب وكشف العورات كما في مجاذيبهم؛ فمنهم من أطربه السماع، فمزق الثياب، وخرج عارياً إلى الصحراء[5]، ومنهم « شعبان المجذوب كان عريانـاً لا يلبس إلا قطعة جلد يغطي قُبُله ودُبُره فقط.. وكانت الخلائق تعدُّ رؤيته عيداً»[6]!

ومن بوائق زنادقة الصوفية أن «الفاجر» التلمساني يجيز نكاح المحارم، ويقول: الجميع عندنا حلال - يعني نكاح الأم والأجنبية - ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام. فقلنا: حرام عليكم[7].

وهكذا جعل هذا الزنديق المأفون لزومَ الشرع المنزَّل حجاباً.

إن الحجاب حقيقة هو الإعراض عن محبة الله - تعالى - وقصده وعبادته، وتنكُّب سبيل السُّنة والاتباع.

كما شرحه ابن القيم قائلاً: «إذا دعى الله عبده إلى معرفته ومحبته وشكره، فأبى العبد إلا إعراضاً وكفراً، قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره، وصدَّه عن الإيمان به، وحال بين قلبه وبين قبول الهدى، وذلك عدلٌ منه فيه، وتكون عقوبته بالختم والطبع والصدِّ عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار، كما قال - تعالى -: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦] فحجابه عنهم إضلال لهم وصد عن رؤيتهم وكمال معرفته، كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدِّها عن الإيمان» إلى أن قال: «وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، والمعنى: جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجاباً يحول بينهم وبين فهمه وتدبُّره والإيمان به «فالحجاب يمنع رؤية الحق»[8].

«فنسأل الله - تعالى - علماً نافعاً فهو الأصل؛ فمتى حصل أوجب معرفة المعبود - عز وجل - وحرك إلى خدمته بمقتضى ما شرعه وأحبه، وسلك بصاحبه طريق الإخلاص، وأصل الأصول العلم. وأنفع العلوم النظر في سير الرسول ﷺ وأصحابه، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]»[9].

(١) انظر: طبقات السبكي: ٣/ ٣٦٩.
(٢) مرض عقلي يورث فساداً في التفكير، وخللاً في التصورات.
(٣) تلبيس إبليس، ص٣٢٣ = باختصار.
(٤) النبوات: ١/ ٣٨٧.
(٥) رؤية شرعية في الطبقات الكبرى للشعراني لأكرم عصبان، ص٢١٩.
(٦) المرجع السابق، ص٢٤٤.
(٧) انظر: الجواب الصحيح: ٣/ ٢٠١.
(٨) شفاء العليل، ص ١٨٥، ٢٠١ = باختصار.
(٩) صيد الخاطر لابن الجوزي، ص ٨٣.